

الفتاوى في التوراة

وأثره في الأعماس السليبية لليهود

تأليف

حامد عيدان حمد الجبوري



دار الكتب العلمية

أسسها محمد علي بيضون سنة 1971

<http://kotob.has.it>

التيقُّضُ فِي التَّوْرَةِ

وَأَثَرُهُ فِي الْأَعْمَالِ السَّالِسَةِ لِلْيَهُودِ

تَأَلَّفَ

حَامِدٌ عَيْدَانُ حَمْدًا جَمُوعِيًّا



دار الكتب العالمية

أسسها محمد علي بيضون سنة 1971

بيروت - لبنان

Title: Al-tanāquḍ fi al-Tawrāt
wa-ʿaṭaruh fi al-ʿaʿmāl al-salbiyah lil-Yahūd
(The contradiction in Torah
and its effect on the passivism of Jews)

Author: Ḥāmid ʿAydān Ḥamad al-Jabūri

Publisher: Dar Al-kotob Al-Ilmiyah

Pages: 288

Year: 2007

Printed in: Lebanon

Edition: 1st

الكتاب: التناقض في التوراة
وأثره في الأعمال السلبية لليهود

المؤلف: حامد عيدان حمد الجبوري

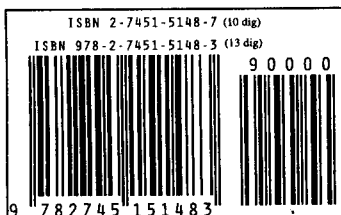
الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت

عدد الصفحات: 288

سنة الطباعة: 2007 م

بلد الطباعة: لبنان

الطبعة: الأولى



مَشْهُورَاتُ مَحَدِ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ بِبَيْرُوتِ



بيروت - لبنان
دار الكتب العلمية

جميع الحقوق محفوظة

Copyright

All rights reserved ©
Tous droits réservés ©

جميع حقوق الملكية الادبية والفنية محفوظة
لدار الكتب العلمية - بيروت - لبنان
ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب كاملاً أو
مجزأً أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر
أو برمجته على اسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً.

Exclusive rights by ©

Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Beirut - Lebanon

No part of this publication may be translated, reproduced, distributed in any form or by any means, or stored in a data base or retrieval system, without the prior written permission of the publisher.

Tous droits exclusivement réservés à ©

Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Beyrouth - Liban

Toute représentation, édition, traduction ou reproduction même partielle, par tous procédés, en tous pays, faite sans autorisation préalable signée par l'éditeur est illicite et exposerait le contrevenant à des poursuites judiciaires.

الطبعة الأولى

٢٠٠٧ م. ١٤٢٨ هـ

مَشْهُورَاتُ مَحَدِ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ بِبَيْرُوتِ

بيروت - لبنان
دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

Mohamad Ali Baydoun Publications Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

الإدارة: رمل الظريف، شارع البحري، بناية ملكارت
Ramel Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg., 1st Floor
هاتف وفاكس: ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ (١ ٩٦١)

فرع عرمون، القبعة، مبنى دار الكتب العلمية
Aramoun Branch - Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.

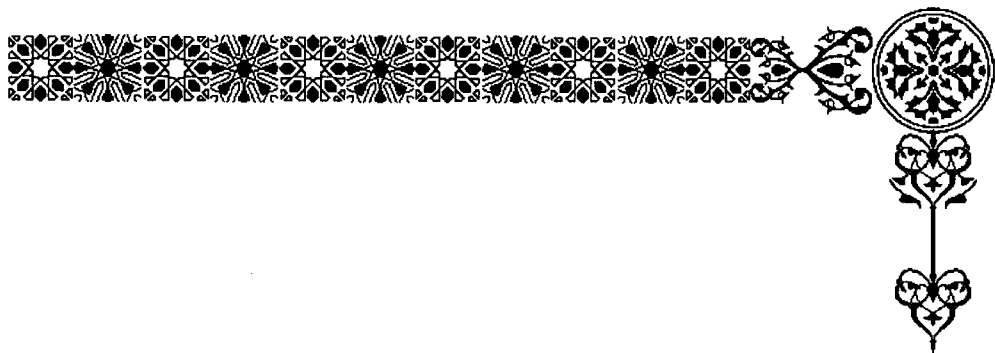
هاتف: ١١ / ٨٠٤٨١٠ - ٩٦١
فاكس: ٨٠٤٨١٣ - ٩٦١
ص ب: ٤٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان
رياض الصلح - بيروت ١١٠٧٢٢٠

<http://www.al-ilmiyah.com>

e-mail: sales@al-ilmiyah.com

info@al-ilmiyah.com

baydoun@al-ilmiyah.com



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩].

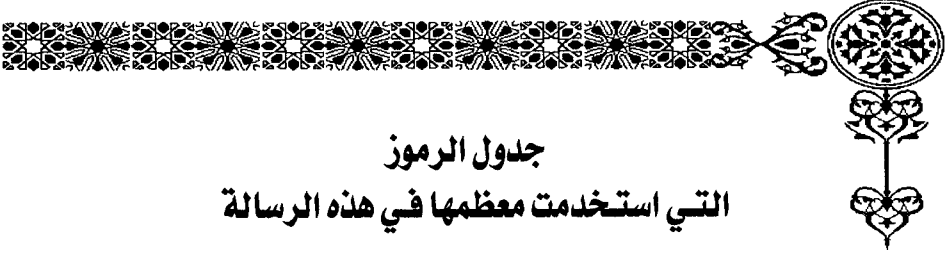


الإهداء

- إلى روح الشهيد أحمد الجبوري.
- إلى روح والدتي ووالدي برأ وإحساناً.
- إلى كل من علمني وأحسن إلي.

المؤلف





جدول الرموز

التي استخدمت معظمها في هذه الرسالة

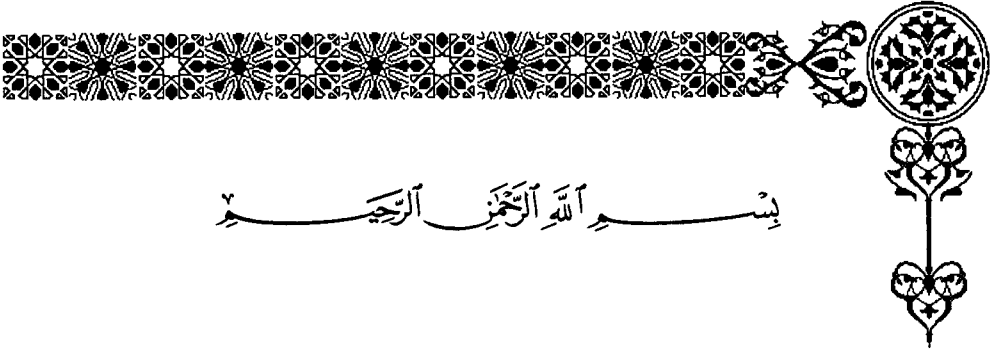
- | | |
|-------------------------------------|------------------------------------|
| (٢) سفر الخروج: خر. | (١) سفر التكوين: تك. |
| (٤) سفر العدد: عد. | (٣) سفر اللاويين: لا. |
| (٦) سفر يشوع: يش. | (٥) سفر التثنية: تث. |
| (٨) سفر راعوث: را. | (٧) سفر القضاة: قض. |
| (١٠) سفر صموئيل الثاني: ٢ صم. | (٩) سفر صموئيل: ١ صم. |
| (١٢) سفر الملوك الثاني: ٢ مل. | (١١) سفر الملوك: ١ مل. |
| (١٤) سفر أخبار الأيام الثاني: ٢ أخ. | (١٣) سفر أخبار الأيام الأول: ١ أخ. |
| (١٦) سفر نحميا: نج. | (١٥) سفر عزرا: عز. |
| (١٨) سفر يهوديت: يه. | (١٧) سفر طوبيا: طو. |
| (٢٠) سفر أيوب: أي. | (١٩) سفر استير: اس. |
| (٢٢) سفر الأمثال: مثل. | (٢١) سفر المزمير: مز. |
| (٢٤) سفر نشيد الأناشيد: نش. | (٢٣) سفر الجامعة: جا. |
| (٢٦) سفر ابن سيراخ: سير. | (٢٥) سفر الحكمة: حك. |
| (٢٨) سفر مراثي أرمياء: مرا. | (٢٧) سفر أرمياء: أر. |
| (٣٠) سفر حزقيال: حز. | (٢٩) سفر باروك: با. |
| (٣٢) سفر هوشع: هو. | (٣١) سفر دانيال: دا. |
| (٣٤) سفر عاموس: عا. | (٣٣) سفر يوثيل: يؤ. |
| (٣٦) سفر يونان: يو. | (٣٥) سفر عوبديا: عو. |
| (٣٨) سفر نحوم: نحو. | (٣٧) سفر ميخا: مي. |
| (٤٠) سفر صفيانا: صف. | (٣٩) سفر حبقوق: حب. |
| (٤٢) سفر زكريا: زك. | (٤١) سفر حجاوي: حج. |
| (٤٤) سفر الماكابيين الأول: ١ مك. | (٤٣) سفر ملاخي: ملا. |
| (٤٦) سفر أشعيا: أش. | (٤٥) سفر الماكابيين الثاني: ٢ مك. |



الرموز الأخرى

- (١) ج: الجزء.
- (٢) س: سنة المجلة.
- (٣) ص: الصفحة.
- (٤) ع: العدد.
- (٥) د: الدكتور.
- (٦) د.ت: بدون تاريخ.
- (٧) ك: الكتاب.
- (٨) ف: الفصل.
- (٩) م: المجلد.
- (١٠) ط: الطبعة.
- (١١) م: بعد السنة (ميلادي).
- (١٢) هـ: بعد السنة (هجري).
- (١٣) ق.م: قبل الميلاد.
- (١٤) ب.م: بعد الميلاد.
- (١٥) ت: توفي.





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى إخوانه من الأنبياء والمرسلين مبلغى رسالات النجاة إلى يوم يبعثون، وعلى آله وأصحابه الغر الميامين.

أما بعد:

فإن الكتابة في أي موضوع لا بد لها من خلفيات وأسباب، واختياري للكتابة في موضوع: «التناقض في التوراة وأثره في الأعمال السلبية لليهود»، وكان تأملي ومنذ وقت ليس بقريب في البحث عن مصادره، فوجدت غالبيتها مؤلفة في اللغات الأجنبية، إذ إنني لم أستفد من هذه المصادر مباشرة، وإن كنت قد استعنت بما نقل وعُرب من بعض أهم هذه المصادر عن طريق كتب عربية، وقد حاولت قراءة كتاب التوراة فلم يوجد فيه ما يشير إلى أنه كتاب سماوي مقدس، إذ إن اليهود وبعد وفاة نبيهم موسى ﷺ، وجدوا الفرصة السانحة لئن يغيروا فيها ما يشاءون، وتحريف صيغ تعاليمها وأحكامها كأنما هي من تأليفهم أو من نظمهم أو تلحينهم، فأجهضوا على كل ما فيها من مفاهيم الحق والعدل، والأخلاق، وسلبوا قدسيتها، بحيث أصبحت كتاباً عادياً كما يؤلفونه من كتب، وبتحريفهم هذا قتلوها، وأقبروها إلى الأبد، لأنهم ملأوها بمفاهيم وأحكام ما أنزل الله بها من سلطان، بعد أن نسبوها إلى الله تعالى وكليمه موسى ﷺ زوراً وبهتاناً، ليعتقد الناس بصحتها، فكانوا يحرفون الكلم عن مواضعه حتى تناسب رغباتهم الشريرة وأنهم كتبوها وفق أهوائهم ومطامعهم، ورسمت طريقتهم في الحياة إلى آخر الدهر بعد أن حددت شخصية اليهودي، وطريقته في التعامل مع باقي الشعوب، لأن عقيدته لا تسمح له باحترام الأديان الأخرى، وأنها أديان وثنية باطلة، وأن الديانة اليهودية هي الديانة

الحقّة، وأنّ الدنیا خلقت لهم، وشعوب العالم مسخرة لخدمتهم باعتبارهم هم شعب الله المختار وأحابه وأبناءؤه، ﴿وَتَعَلَىٰ عَمَّا يُقُولُونَ كَلِمًا كَثِيرًا﴾ [الإسراء: ٤٣].

ومن هنا نلاحظ أثر التوراة على أعمالهم السلبية تجاه الشعوب، وإن هذه المفاهيم تحتاج إلى دراسة أبعادها وما تنطوي تحتها من الخفايا والتي تخدم مصالحهم ومخططاتهم التوسعية الراهنة، ولا شك إن مسؤولية الباحث تزداد بدرجة ملحوظة مع الظروف التي تمر فيها بلاد المسلمين. ولا سيما بعد أن لمسنا جيداً أن هذه المخططات التوسعية التي لا تنتهي في زمن معين ولا في مكان أو حدود معينة.

فالمشروع التوسعي مستمر في ضوء ما احتوته توراتهم المحرفة من مفاهيم كتبت خصيصاً لمصلحة اليهود في العالم، وعلى حساب العرب والمسلمين. وعلينا كباحثين إدراك هذا الخطر والتنبيه عليه لعل الأمة ترص صفوفها، وتستفيق من نومها، بعد أن أدركنا جيداً أن اليهود قد استخدموا آلتهم الإعلامية ضد الحقائق من أجل إسكاتها، وخنقها، ومنعها، أو تحريمها. حتى نجد اليوم أن الحديث في مثل هذه الأمور يعتبر نوع من أنواع السذاجة والأحلام، وأنه من مخلفات الماضي، وذلك بتأثير إعلامهم في العقول والنفوس المريضة والذين يسرون وراءهم، ويتبعونهم خطوة بخطوة.

وإيماناً بخطورة هذه المفاهيم على العالم أجمعه، وبعد الاتكال على الله تعالى، أقدمت على تكوين رؤية علمية أستطيع من خلالها أجعل نقطة البداية لمشروع رسالتي ولكي أستطيع أن أقدم شيئاً نافعاً في حقل دراسة الأديان أسوةً بعلمائنا رحمهم الله تعالى، وليكن بحثاً متواضعاً مع البحوث التي قدموها إخواننا وسبقونا بها.

هذا وقد تضمنت دراستي أربعة فصول مسبقة بمقدمة ذكرت فيها مسوغات اختيار البحث، ومنهجيته، وأهمية الموضوع، وخطة البحث، والمراجع الأساسية التي اعتمدها في البحث، ومن ثم مشكلات البحث، ثم عرجت إلى خاتمة أحاول من خلالها معالجة مسائل البحث وبخلاصة مركزة. هذا وإنني أقصد مرضاة الله تعالى فإن أصبت فمن الله عز وجل، وإن أخطأت فمني ومن الشيطان.



أولاً: أهمية الموضوع ومسوغات اختياره

- ١ - ضرورة التعريف بحقيقة زيف وتحريف التوراة.
- ٢ - الكشف عن العقيدة اليهودية الزائفة والمنحرفة.
- ٣ - الكشف عن الأثر السلبي في أعمال الشخصية اليهودية.
- ٤ - تسليط الضوء على الأطماع الصهيونية وفق ما جاء في التوراة المنحرفة.
- ٥ - قلة الدراسات الجادة التي تنطلق من الفهم العربي والإسلامي لمخاطر هذا التحريف وفق تصور العقل الصهيوني المعاصر.
- ٦ - محاولة لفت أنظار الباحثين للتركيز على مثل هذه الدراسات. وخاصة في هذا الزمن الصعب، زمن العلو الصهيوني الاستعماري الأمريكي.

ثانياً: خطة البحث:

وقد قسمت فيها البحث على النحو الآتي:

- (١) مقدمة: وفيها بيان أهمية الموضوع، ومسوغات اختياره، والمنهج المتبع فيه ومشكلات البحث.
 - (٢) الفصل التمهيدي: وفيه مسائل أحاول من خلالها أن أمهد لبحثي. وقد جعلته على أربعة مباحث.
 - (٣) الفصل الأول: وفيه تعريفات التناقض في التوراة، وبيان الألفاظ المرادفة للتناقض، وقد جعلته على أربعة مباحث.
 - (٤) الفصل الثاني: التناقض في الأسفار الخمسة وأثره، وقد جعلته على مبحثين.
 - (٥) الفصل الثالث: المقارنة بين ما جاء في التوراة والقرآن الكريم، وقد جعلته على خمسة مباحث.
 - (٦) الخاتمة: وفيها أهم النتائج التي توصلت إليها والتوصيات.
- ويستطيع القارئ أن يتعرف على الموضوعات من خلال فهرس الموضوعات.

ثالثاً: المنهج الذي أتبعته في البحث:

١ - المنهج الاستقرائي:

من خلال استقراء المصادر والمراجع الأساسية، التي تطرقت لمفهوم التناقض والاختلاف في التوراة.

٢ - المنهج التاريخي:

من خلال تقصي جذور الفكر اليهودي العنصري من مصادره التاريخية القديمة والمعاصرة.

٣ - المنهج التحليلي:

من خلال تحليل النصوص وعرض بعض المقارنات كما جاءت في القرآن الكريم وما جاءت في التوراة، حول أثره في كتابهم السلبي على مجتمعهم.

٤ - المنهج النقدي:

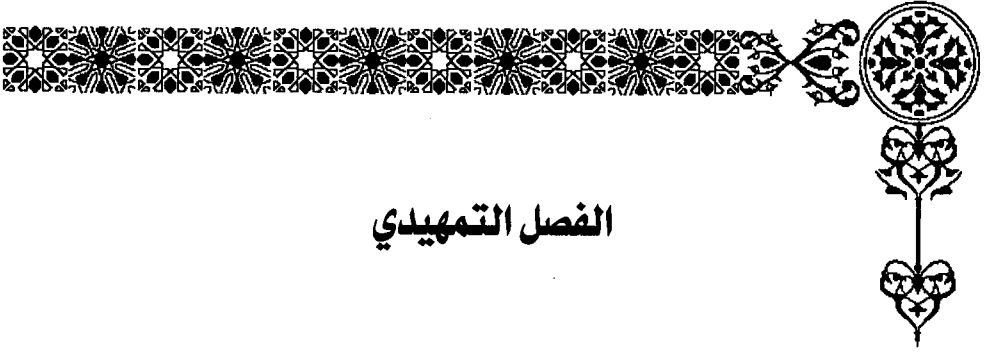
من خلال نقد النصوص التي تستلزم النقد.

رابعاً: المراجع الأساسية التي اعتمدها في بحثي وهي:

- كتاب الفصل في الملل والنحل. لابن حزم الأندلسي.
- كتاب التوراة والإنجيل والقرآن والعلم. للدكتور موريس بوكاي.
- كتاب مقارنة الأديان «اليهودية». للدكتور أحمد شلبي.
- كتاب تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم. محمد عزة دروزة.
- كتاب القرآن والتوراة أين يتفقان وأين يفترقان. حسن الباش.
- الظاهرة القرآنية والعلم. علاء الدين شمس الدين المدرس.

خامساً: مشكلات البحث:

- ١ - لقد اعتمدت في بحثي على النقل لأن طبيعة البحث تتطلب ذلك لكون الموضوع فيه نوع من التجريح وعلي أن أكون متحفظاً بذلك.
- ٢ - إن معظم المصادر المتعلقة بالبحث مؤلفة باللغات الأجنبية. مما جعلني لم أستفد منها مباشرة إلا من خلال ما ترجم أو عرب.
- ٣ - إن المصادر العربية أو المعربة نادرة جداً لکنني قد حصلت على بعض الكتب من المكتبات الخاصة.
- ٤ - الوضع العام لا يساعد على الحركة بسبب تردي الوضع الأمني وكذلك سوء حالتي الصحية. هذا وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



الفصل التمهيدي

نستعرض في هذا الفصل، جملة من المسائل المهمة، ذات العلاقة الوثيقة بالبحث، لكي تتمكن من متابعة هذا البحث ومطالعتة، ونحن على بصيرة بالأسس التي انطلقت منها هذه الدراسة. ولكن قبل ذلك لابد أن نشير إلى انه يتجاذب أي باحث وهو يبحث في صلب الموضوع إلى اتجاهين كل منهما يتجه بعكس الآخر..، أما الأول: فينطلق من العقل، والبحث الموضوعي أحد مقوماته المهمة وركائزه الواجبة، والثاني: فينطلق من العاطفة التي تملأ جوانح الإنسان وتسكن في مشاعره.

ولعل الكثير من الباحثين العرب الذين يعالجون القضايا ذات الصلة بالتوراة والكتب المقدسة الأخرى عند اليهود، وما حل بها من تحريف وتبديل، إذ أنهم يقعون في جملة من الهواجس والأفكار المتضاربة، ويقف الباحث حائراً بين أن ينطلق من عقله فيدقق ويبحث متخلياً تماماً عن أي عاطفة، أم يهرول وراء عاطفته، غير ملتفت لأية موضوعية علمية، وما يفرضه البحث العلمي من أسس وقواعد.

والباحث هنا ليس غريباً عن هؤلاء، فهو أيضاً يقع في الحيرة التي يقعون.. وتتقاذفه الهواجس من كل جانب، ولكنني أعتقد أن البحث السليم لابد أن يقوم على الأسس العلمية الحقيقية، وبكامل الدقة والموضوعية والإنصاف والتجرد، بالرغم من وجود العاطفة التي قد تشده حيث لا يمكن الاستبعاد منها بشكل دائم.

وأما القضايا التي نريد أن نجعلها فصلاً تمهيدياً فنقسمها على أربعة مباحث وهي:

- المبحث الأول: نزول التوراة.
- المبحث الثاني: تدوين التوراة.
- المبحث الثالث: موقف العلماء من التوراة.
- المبحث الرابع: بنو إسرائيل والتوراة.



المبحث الأول نزول التوراة

كان موسى ﷺ عائداً من مدين إلى مصر، حينما بعثه الله رسولاً إلى فرعون، وذلك في ليلة ظلماء في صحراء سيناء. وأيده الله بمعجزات كثيرة،^(١) وكان عمره - حينئذ - قد بلغ ثمانين سنة^(٢). وقد دلت نتائج التنقيبات الأثرية على أن خروج نبي إسرائيل من مصر كان في القرن الثالث عشر قبل الميلاد.^(٣) وعليه فيكون نزول التوراة في هذا القرن، وقد حاول البعض تحديد سنة معينة لنزولها، ولكن تعوزهم الأدلة^(٤) فقد قيل: إنها نزلت على جبل طور سيناء في اليوم السادس من الشهر الثالث بعد الخروج من مصر، وإن الإسرائيليين ما يزالون يحتفلون في اليوم (عيد الأسابيع والباكورة) تذكراً لنزول التوراة^(٥). أما التوراة - الحالية فتفيد أن أحكام الشريعة والوصايا العشر قد تلقاها موسى ﷺ في طور سيناء ومصر وعبر الأردن^(٦) في أوقات متفاوتة وأماكن

(١) للتفصيل يراجع: سورة البقرة ٩ - ٣٦، والأعراف ١٣٠ - ١٣٥، والإسراء، والنمل ٧ - ١٢، والقصص ٢٩ - ٣٥، والنازعات ١٥ - ١٩، وقارن بالتوراة (سفر الخروج ص ٣ و ص ٤).

(٢) يراجع سفر الخروج ٧: ٧.

(٣) ينظر: سوسه مفصل العرب ٥٥٥ - ٥٥٧ وروديس، يسوع في زمانه ص ٥٥٣ وقارن مع شنوده (زكي ... المحامي) موسوعة تاريخ الأقباط والمسيحية. مكتبة النهضة المصرية القاهرة ١٩٧٣ م ٨ / ٢٧ - ٢٨، حيث كان الخروج سنة ١٤٤ ق.م.

(٤) ينظر سوسه، مفصل العرب ٥٥٥ وما بعدها.

(٥) ينظر: عزرا حداد، فصول من الكتاب المقدس، لجنة المدارس الإسرائيلية بغداد ١٩٤٧ م ص ٨٠، وأيضاً مويال: التلمود ١/٥٩.

(٦) كان ابتداء وحي التوراة لموسى في جبل حوريب إذ كان موسى يرعى غنم كاهن مدين (حميه) (خر: ٣: ٤) ثم في مصر دفعات متراخية حسب الزمان إلى عبور إسرائيل البحر (خر: ١: ١٤) ثم في مساره (خر: ١٥: ٢٥) ثم في برية سيناء حيث أنزل المن بعد الخامس من الشهر الثاني لخروجهم من مصر (خر: ١٦: ١) ثم في أفيديم (خر: ٧) ثم عربات مؤاب على أردن أريحا (عد ٣٥: ١ - ٣٦) و(تث ٢٩: ١) ثم عبر الأردن (تث ١: ١ - ٤).

مختلفة، بدءاً باليوم من الثالث الشهر الثالث بعد الخروج^(١) ومروراً باليوم الأول من الشهر الأول من السنة الثانية للخروج^(٢) والأول من الشهر الثاني من السنة نفسها^(٣) واليوم الرابع والعشرين من الشهر نفسه والسنة نفسها^(٤)، وانتهاءً باليوم الأول من الشهر الحادي عشر من السنة الرابعة^(٥) وعليه فإن نزول الوحي على موسى ﷺ كان التدريج والتعاقب (منجماً) في مدة تزيد على إحدى وأربعين سنة^(٦). أما المفسرون المسلمون فأكثرهم يذكرون أن الإنجيل نزل دفعة واحدة، لقوله تعالى: ﴿نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾^(٧) بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٨﴾ فأستعمل صيغة التفعيل (التنزيل - نزل) مع القران للدلالة على التنجيم لأن التنزيل يكون مرة بعد أخرى، ففيه معنى التكرار والتكثير والاستمرار، وعبر بصيغة الأفعال (الإنزال - أنزل) عن التوراة والإنجيل للدلالة على نزولهما دفعة واحدة وهما قد أنزلا دفعة واحدة^(٩) وقد يفهم خلاف هذا الرأي من بعض المفسرين^(١٠) ويحددون نزول التوراة يوم النحر^(١١) ويقول آخرون أنها أنزلت لست ليال من رمضان^(١٢). وكان موسى ﷺ يتلقى مع الوصايا والنواهي تفسيرها أيضاً ويقوم بتلقينها لمعاصريه^(١٣)، وكان موسى ﷺ قد صعد جبل الطور (حوريب)، وبقي صائماً عليه أربعين يوماً^(١٤) وليلة، ثم تجلى له الله، فخرَّ

(١) ينظر: خر ١٩: ١ - ٢٣.

(٢) ينظر: عد ٩: ١٥ و ١٠: ١١.

(٣) ينظر: تث ١: ١ - ٤.

(٤) ينظر: البلاغي، الهدى ١/ ١٢.

(٥) المراد بالكتاب هنا: القرآن الكريم، ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٣/ ١٦٦.

(٦) ينظر: سورة آل عمران/ ٣.

(٧) ينظر: القرطبي، الجامع ٤/ ٥ وأبو السعود، إرشاد العقل ٢/ ٤، وأيضاً فتح البيان ٢/ ٤ والنسفي مدارك التنزيل.

(٨) ينظر: ابن الخطيب (محمد محمد عبد اللطيف.. أوضح التفاسير، المطبعة المصرية القاهرة (بلا) ص ١٩١ حيث يقول (إن التوراة كانت تنزل على موسى مكتوبة في الألواح) وهذا خلاف لا يعتد به.

(٩) ينظر: الزمخشري الكشاف، والرازي التفسير، ١٤/ ٢٣٦، وابن مسعود، إرشاد العقل ٣/ ٢٧٠.

(١٠) وهو حديث رواه الطبري (الإمام أبو جعفر بن جرير... جامع البيان عن تأويل آي القرآن مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ٣٠/ ١٥٩.

(١١) ينظر: مويال، التلمود، ص ٦، هامش رقم (٤). (١٢) ينظر: خر: ٢٤: ٢٤ و ٢٧: ٢٨.

صعقاً، ثم أفاق، فاصطفاه الله على الناس برسالاته،^(١) وبكلامه، وأعطاه الألواح.
 وكان في الألواح موعظةً وتفصيلاً لكل شيء^(٢)، وكل من التوراة^(٣)،
 والقرآن^(٤) يسندان كتاب الألواح إلى الله تعالى. وقال بعض المفسرين المحدثين:
 إنما هذا الإسناد هو تشريف للمكتوب في الألواح، وهي مكتوبة بأمره تعالى^(٥)،
 وقيل: هي كتابه خلقها الله في الألواح^(٦) أما صحف موسى ﷺ الوارد ذكرها في
 القرآن^(٧)، فالجمهور على أن المراد بها التوراة^(٨)، وقيل: هي صحف - عشر - نزلت
 على موسى ﷺ قبل التوراة وهي ما عداها^(٩).



- (١) وهي أسفار التوراة، ينظر أبي السعود، إرشاد العقل ٣/ ٢٧٠ ومدارك التنزيل للنسفي، ١٢٨/٢،
 وقصص الأنبياء، للشيخ عبد الوهاب، دار أحياء التراث العربي بيروت ص ٢١٧.
 (٢) ينظر: سورة الأعراف/ من الآية ١٤٥. (٣) ينظر: خر: ٣١: ١٨ و ٣٤: ١ تث ١٠: ٢ و ٤.
 (٤) سورة الأعراف: ١٤٥. (٥) ينظر: خان، فتح البيان ٣/ ٤٠٦.
 (٦) ينظر: المصدر نفسه.
 (٧) يراجع سورة النجم الآية/ ٣٦، والأعلى (سيح) الآية/ ١٩.
 (٨) ينظر: الطوسي، التبيان ١٠/ ١٣٣ والطبرسي، مجمع البيان ٢٧/ ٥٥، والبيضاوي، أنوار
 التنزيل ٥/ ١٠٤ وأبأس السعود، إرشاد العقل ٨/ ١٦٣، والجزري (الأمام أبو فرج الدين
 عبد الرحمن بن علي بن محمد ...) زاد السير في علم التفسير، مكتبة الإسلامي دمشق -
 بيروت ١٩٦٧م، ٨/ ٧٨ وابن حيان (أثير الدين محمد بن يوسف بن علي بن يوسف الأندلس
 الشهرستاني. حيان) البحر المحيط، مكتبة النصر الحديث، الرياض بلا ٨/ ١٦٥، والجواهر في
 تفسير القرآن الكريم، الشيخ طنطاوي مصطفى البابي الحلبي القاهرة ١٣٥٠هـ ٢٢٣/ ٢٢٣.
 (٩) ينظر: شلبي (محمود ...) حياة إبراهيم مكتبة القاهرة ١٨٦٧ ص ٤٢٨.



المبحث الثاني تدوين التوراة

سنتناول في هذا المطلب - بعد تمهيد عن وسائل الكتابة القديمة - توراة موسى ﷺ، ثم توراة السامريين وأخيراً التوراة العبرانية (الحالية).

تمهيد: وسائل وطرق الكتابة في العصور القديمة:

أقدم طريقة للكتابة كانت عبارة عن الصور والرسوم غير المتقنة على جدران الكهوف، والصخور^(١) وبعد بزوغ فجر المدينة بدأ الإنسان يكتب على أحجار القبور والتماثيل والمعابد ونحوها، بالحروف الهجائية أو الكتابة التصويرية، كانت هذه الصناعة متقدمة في مصر الفرعنة ثم أنشأ البابليون ألواحاً من الصلصال وكتبوا عليها بالخشب، ولكنها كانت ثقيلة وسريعة العطب. ثم صنع المصريون البابينوس (الورق أو الكاغد القديم) من البردي والحلفاء، وذلك بعملية خاصة وكتبوا عليها بالقلم والحبر، وعمم استعمالها في جميع أنحاء العالم القديم، وكانت خفيفة، لكنها سريعة العطب^(٢) ثم حظرت مصر تصديرها إلى العالم، فابتكر أهل برغاموم (في آسيا الصغرى) طريقة لتنظيف الجلود غير المدبوغة وهياؤها للكتابة على وجهيها. وبدأ يعم استعمال هذه الرقوق في كل مكان منذ سنة ١٧٥ قبل الميلاد وبعد القرن الثالث الميلادي حل الرق محل البابينوس تماماً^(٣) وكان اليهود يلصقون طرفي الرق على قضيبين ويلفون كل طرف على قضيب، حتى يلتقي النصفان في

(١) ينظر: مرشد الطالبين ص ١٦ وما بعدها. والديبس، تاريخ سورية ج/م/ ص ١٤٧ - ١٤٨.

(٢) ينظر: تاريخ شعب العهد القديم ص ٢٦ ونعات (الأب يوسف ...) بشرى الخلاص، الطبعة الثانية ١٩٨١ ص ٣٥ ويشوي (الراهب مكسيهوس ...) كتابنا المقدس ص ٢ وما بعدها.

(٣) ينظر: مرشد الطالبين ١٦ - ١٨ ودبلي، تاريخ شعب العهد القديم ص ٢٦. ونعات بشرى الخلاص ص ٣٥.

وسط الكتاب، أو يلفون كل القطعة على قضيب واحد موصول بطرف واحد من الدرج^(١) هذا وقد أستعمل البشر أشياء أخرى للكتابة عليها، كالكتان وأوراق الأشجار ونحوها. أما الكتابات فكان أكثرها موصولة الكلمات بعضها ببعض. اختلفت الأمم من جهة الكتابة، فكتب بعضهم من الشمال إلى اليمين كالليونان وبعضهم من اليمين كالعرب وبعضهم من الجهتين، أما الصينيون فكانوا وما زالوا يكتبون من فوق إلى أسفل^(٢). أما الخطوط القديمة فكانت على أنواع أشهرها:

(أ) الهيروغليفية: وهي على شكل صور الدبابات والطيور وأعضاء الإنسان ونحو ذلك، ولها أنواع مختلفة وعدد حروفها يجاوز الألف، فك رموزها - لأول مرة - الفرنسي يوحنا فرنسيس شامبوليون (ت ١٨٣٢) وذلك على (حجر رشيد) سنة ١٧٩٩ م^(٣).

(ب) المسمارية: سميت بذلك لأن هيئتها أشبه بمسمار أو زاوية، وهذه المسمير منها ما هي عريضة ومنها ما هي عمودية مفردة أو مكرره، وكانت مثل الهيروغليفية تصويرية الأحرف رسوماً مثلثة ثم عدلت فطبعت على الأحرف ونحوها ولها أنواع كثيرة، وتزيد حروفها على ٢٥٠ حرفاً وقد فك رموزها الأثري رولتسون على صخر كردستان سنة ١٨٣٥ م^(٤).

(ج) الأحرف الهجائية: وقد ظهرت بعد المسمارية بزمن طويل، ويدعى البعض أن الفينيقيين هم أول من أوجدوا هذا الاختراع العظيم وبذلك قبل عصر موسى ﷺ. وكان عدد حروفهم اثنتين وعشرين حرفاً وعند هذه الكتابة تفرعت الأبجديات الأخرى^(٥) وكانت أسفار التوراة (العهد القديم) تدون على لفائف من

(١) ينظر: قاموس الكتاب المقدس ص ٧٦١ - ٧٦٢.

(٢) ينظر: قاموس الكتاب المقدس ص ٧٦١ وأيضاً مرشد الطالبين ص ١٨.

(٣) ينظر: الدبس: تاريخ سورية ج/م / ص ١٣ - ١٦ وسيل، المرشد إلى الكتاب ص ٣١ - ٣٢ ودانمر (الأب يوسف... المخلص) الأصيل الدخيل في نص العهد القديم، فقال منشور في مجلة الرسالة الخلصية ع ٣ (١٩٥٦) ص ٢٣٩ ودار المشرق، النجد في الأعلام ط ٢٠ ص ٢٨٨ وأيضاً ٢٣٧.

(٤) ينظر: الدبس، تاريخ سورية ج/م / ص ١٦ - ١٨ وسيل، المرشد إلى الكتاب ص ٣١ - ٣٥ ودانمر الأصيل ولبدخيل ص ٢٣٩ والأقباط الأرثوذكس، لمحة عن كتاب الكتب ص ٢١.

(٥) ينظر: الدبس، تاريخ سورية ج/م / ص ١٤٩ وسيل المرشد إلى الكتاب ص ٣١. وسوسه، مفصل العرب ص ٣١٠ - ٣١٨ ودانمر، الأصيل والدخيل ص ١٨.

أوراق البردي المصري، ثم استخدمت الرقوق أو الجلود في عملية التدوين ولم يدون اليهود أسفار كتبهم على الأحجار أو ألواح في الفخار أو الرصاص. وكانت الكتابة تأخذ شكل أعمده ومن اليمين إلى اليسار باستخدام أقلام خاصة بالخط المربع الآشورية. واستمر كتابة العهد القديم على هذه الصورة إلى حوالي القرن الثالث الميلادي حيث ظهرت كتابة المخطوطات على هيئة كتاب. ولم تزال للفائف تستخدم في المعابد إلى يومنا هذا حيث تدون عليها أسفار التوراة الخمسة. وبعض الأسفار الأخرى كسفر (استير)، وكان اليهود يستغلون جميع الفراغات في الصفحة للكتابة مما ساعد على الوقوع في الكثير من الأخطاء والتداخل في المفردات والجمل^(١). ولقد استغرقت عملية جمع وتدوين أسفار التوراة (العهد القديم) فترة طويلة من الزمن تزيد عن ألف عام من (١٢٠٠ - ١٠٠٠م) تقريباً^(٢). ولم يكن (عزرا الكاهن) ومعاصريه قد تولوا جمع هذه الأسفار لوحدهم بل أن (العهد القديم) يحوي أسفاراً تعود إلى عصور متأخرة عن عصر (عزرا) مثل سفر دانيال الذي كتب عام (١٦٥ ق.م) وأمتد عصر الجمع والتأليف لفترات طويلة^(٣). ويرى بعض الباحثين أن القاضي (صموئيل) هو أول من كتب الأسفار من اليهود الفترة الواقعة بين القرنين الثامن والتاسع ق.م^(٤). ويقرر (ويلز) أن الأسفار جمعت لأول مرة في بابل وظهرت في القرن الخامس ق.م^(٥). إن تدوين أسفار التوراة (العهد القديم) قد استمرت لفترات طويلة تعرض اليهود خلالها إلى كثير من الوقائع والأحداث والهزائم أدت إلى تعرض كتاباتهم للفقدان والتلف والإحراق والنهب. وخضوعها للزيادة والحذف، حيث فقدت التوراة من تابوت العهد أيام سليمان عليه السلام وتعرضت القدس (أورشليم) للانقسام وحمالات التدمير من قبل اليهود أنفسهم أو الآشوريين أو الأكديين^(٦)، كما

(١) ينظر: د. فؤاد حسنين علي، التوراة الهيروغليفية ص ١٦ - ١٧. وعجاج نويهض، البروتوكولات، ج/ ص ٢٠ - ٢١.

(٢) ينظر: د. سعدون محمود الساموك، موجز الديانتين، ص ١٨.

(٣) ينظر: د. فؤاد حسنين علي: التوراة الهيروغليفية، ص ١٥.

(٤) ينظر: د. فؤاد حسنين علي: المصدر السابق، ص ٧٨.

(٥) ينظر: د. أحمد شلبي: مقارنة الأديان (اليهود) ص ٢٣٢.

(٦) ينظر: د. أحمد شلبي: المصدر السابق، ص ٢٣٢ ود. فؤاد حسنين علي: التوراة الهيروغليفية ص ١٥.

أن اليهود قد تبدلت طبائعهم وأخلاقهم وجنحوا إلى عبادة الأصنام والأوثان وداروا ظهورهم لأسفار موسى ﷺ لكونها لا تنسجم مع طبائعهم وأخلاقهم، ولذلك فإنهم قد عمدوا إلى تدوين ما يناسب أوضاعهم من تاريخ وعقيدة أبان فترة الترحيل البابلي إذ مارس اليهود في بابل طقوسهم وشعائرهم الدينية وازدهرت مدارسهم وأكاديمياتهم فاستطاع حاخاماتهم تدوين أهم فصول التوراة والتلمود التي كان لها الدور البارز في تكوين الديانة اليهودية^(١). ويتفق الباحثون على أن أقدم ما كتب من أسفار التوراة هو سفر التكوين وقد قسم منه في مملكة (يهوذا) والقسم الآخر في مملكة (إسرائيل). وتم توحيده، بعد سقوط مملكة يهوذا^(٢) لقد جمعت أسفار التوراة (العهد القديم) بمذهبيها البروتستانتية والكاثوليكية على مراحل متفاوتة وكانت أسفار الأنبياء (أشعيا، أرميا، حزقيال، دانيال عاموس، هوشع، عوبديا يونان، ميخا، ناحوم، حبقوق، صفيانيا، حجي (حجاي)، زكريا، ملاخي) من أقدم الأسفار في عملية الجمع - على رأي بعض الباحثين - وقد اتخذت أسفار موسى ﷺ الخمسة شكلها النهائي في الترحيل البابلي عام (٥٨٦ ق.م) وتمت تنقيتها في القرنين اللاحقين وكتب سفر دانيال وعدد من المزامير في فترة الحكم السلجوقي بين عام (١٦٨ - ١٥٦ ق.م) ورغم اتخاذ العهد القديم في شكله النهائي بين عهد (عزرا الكاهن) (٤٤٤ ق.م) والغزو الروماني للمنطقة حوالي عام (٦٤ ق.م) إلا أنه لم يكتمل إلا في مجمع (يامينا أوبينا) عام (٩٠م) الذي أقرت بمعظم الأسفار المعرفة بعد مناقشات مستفيضة بين أعضائه^(٣) وقد اكتسب أجزاء العهد القديم صيغتها القانونية على مدى قرون طويلة فاكتملت قانونية (شرعية) التوراة حوالي (٤٠٠ ق.م) والأنبياء حوالي (٢٠٠ ق.م) أما الكتب فقد اكتسبت تلك الشرعية حوالي عام (٩٠م)^(٤). يتضح من خلال هذا العرض أن التوراة (العهد القديم) قد جمع ودون خلال فترات زمنية.

(١) ينظر: حميد عادل يزدین: تدوين الكتب المقدسة، ص ٨٦.

(٢) ينظر: د. أحمد شلبي: مقارنة الأديان - اليهودية، ص ٢٣٢.

(٣) ينظر: د. أحمد شلبي: ينظر المصدر السابق ص ٢٣٣ د. عبد الوهاب محمد المسيري.

موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ص ٢٧٣ - ٢٧٤ والموسوعة الفلسطينية: إصدار

هيئة الموسوعات الفلسطينية مجلد (٤) ص ٥٨٩ - ٥٩٠.

(٤) ينظر: أحمد عبد الوهاب: المسيح في مصادر العقائد المسيحية. ص ١٤.

تعرض فيها اليهود للكثير من الأحداث والتقلبات والتشتيت جعلهم يضيفون إلى أسفارهم المدونة كثيراً من الأفكار والتعاليم التي تناسب أوضاعهم المختلفة وقد حققوا ذلك بعد أن أتيحت لهم في بابل الحرية الفكرية والدينية لممارسة طقوسهم وعباداتهم، حيث إنهم دونوا التوراة والتلمود وأفرغوا فيها آمالهم وغاياتهم معتمدين على الروايات الشفوية وما يتلقاها الخلف عن السلف في الجمع والتدوين فابتعدوا بذلك عن توراة موسى وشريعته وجاءوا بشريعة لا تمتّ بصلة إلى موسى. وكان للفترة الطويلة التي تجاوزت الألف العام عن زمن موسى وتعاقب العديد من الأجيال على جمع وتدوين التوراة قد جعل منها أسفاراً متناقضة لا رابط يربطها ولا سياق يؤلف بينها فكان أن اختلفت الطوائف اليهودية في شرعية العديد من الأسفار كما اختلفت الطوائف المسيحية مع اليهودية في صحة بعضها الآخر، وفي ذلك دلالة قاطعة على إن التوراة الحالية لا صلة لها بموسى ﷺ. وقد أثار وصفها المرتبك العلماء والباحثين لدراستها والوقوف على صحة محتوياتها. فكانت أن تعرضت لنقد شديد لما احتوته من تناقض وتضارب في المحتوى والخروج عن مضامين الرسائل الحقة وبذلك يقول «لودس» في كتابه «إسرائيل...»: «إننا لا نستطيع أن نؤيد صحة رجوع تاريخ أي قسم من الأسفار الخمسة وحتى الوصايا العشرة إلى عصر موسى»^(١).

وبهذا نكون قد أتممنا موضوع التمهيد في وسائل وطرق الكتابة في العصور القديمة وسنبعث في موضوع توراة موسى ﷺ ثم توراة السامريين وأخيراً التوراة العبرانية (الحالية).

أولاً: توراة موسى ﷺ :

تشير التوراة (الحالية) إلى أن موسى ﷺ بعد أن كتب التوراة تامة كاملة سلمها إلى الكهنة (بني لاوي) حاملي تابوت عهد الرب، وإلى جميع شيوخ بني إسرائيل، وأمرهم أن يضعوها في التابوت لتكون شاهداً، عليهم، وأمرهم أن يقرؤوها في نهاية كل سبع سنين (عيد المظال) على مسامع كل إسرائيل،^(٢) ثم مات

(١) ينظر: نقلاً عن أحمد سوسة: العرب واليهود في تاريخ، ص ١٥٩.

(٢) ينظر: تث ٣١: ٩ - ١١، ٢٤ - ٢٦.

موسى ﷺ عن مائة وعشرين سنة^(١) ويقرر التلمود^(٢) هو أيضاً: إن موسى تلقى التوراة في سيناء وسلمها ليشوع، ويشوع للشيخ، والشيخ للأنبياء والأنبياء سلموها لرجال الكنيس الأكبر (مجلس السنهدرين)، والمأثور عنهم ثلاث وصايا:

١- تأنوا في الحكم.

٢- وأقيموا تلامذة كثيرين.

٣- واعملا سياحاً للتوراة^(٣).

وكما قلنا لقد وضعوا التوراة في التابوت إلى جانب الوصايا العشر (لوحى العهد) وعصا هارون ووعاء المن،^(٤) ولذلك سمي التابوت أحياناً (تابوت الشهادة)^(٥) وحين عبر العبرانيون نهر الأردن إلى أرض كنعان، كان الكهنة يحملون تابوت العهد أمام الشعب،^(٦) ثم بقي مدة في خيمة الاجتماع في الجلجال وبعد ذلك نقل إلى شيلوه (سلوان) حيث بقي فيها بين ٣٠٠ و ٤٠٠ سنة^(٧) ثم وقع في أيدي الفلسطينيين بعد انهزام الإسرائيليين في معركة جرت بينهما قرب أفيق^(٨) في منتصف القرن الحادي عشر قبل الميلاد^(٩) فأخذه الفلسطينيون وأدخلوه في بيت ضمنهم واجون ثم أقاموه بقرية في أشدود^(١٠) ثم أرسلوه إلى جت^(١١)، ثم عقرون^(١٢)، وهكذا بقي في

(١) ينظر: تث ٧: ٣٤.

(٢) التلمود: هو المصدر الثاني للفكر اليهودي بعد (التناخ = العهد القديم)، من الناحية النظرية ولكنه من الناحية العملية يعد المصدر الأول عند الفريسيين (الربانيين) وهم جمهور اليهود. للتفاصيل/ ينظر: الكنز المرصود في قواعد التلمود، وإبراهيم خليل أحمد، إسرائيل والتلمود وأسعد زروق، التلمود والصهيونية (وخاصة القسم الثاني) ومحمد صبري، التلمود شريعة بني إسرائيل وأبي صادق، التعليم المقدس أو تعاليم الحاخامين اليهود وزهدي الفاتح، فصح التلمود. (٣) ينظر: التلمود، الفصل الأول، المشنة الأولى، ترجمة مويال ص ٦١ وبشوي (الراهب مكسيمون) كتابنا المقدس ص ٥ ومطرائية الأقباط الأرثوذكس لمحة عن كتاب الكتب ص ٧، وظاظا، الفكر الديني اليهودي/ ١٥٤.

(٤) ينظر: قاموس الكتاب المقدس ص ٢٠٩ (تابوت العهد).

(٥) ينظر: خر: ٢٥، ٤٠، ١٦: ٢١. (٦) ينظر: يش: ٣: ١٤- ١٧.

(٧) ينظر: قاموس الكتاب المقدس ص ٢١٠. (٨) ينظر: اصم ٤: ١- ١١.

(٩) ينظر: سوسة، مفصل العرب واليهود ص ٣٤١. (١٠) ينظر: اصم ١: ٥- ١- ٢.

(١١) ينظر: اصم ٥: ٥: ٨. (١٢) ينظر: اصم ٥: ٩.

بلادهم سبعة أشهر^(١)، ثم بسبب المصائب والآفات التي لحقت بهم واعتقادهم بأنها من وراثة أرجعوه إلى العبرانيين^(٢). فوضع في بيت أبينا داب في قرية يعاريم عشرين سنة^(٣) ثم عندما سكن داود أورشليم إلى بيت عوبيد أدوم الحبتي لمدة ثلاثة أشهر^(٤) ثم نقل إلى الخيمة المنصوبة له في مدينة داود^(٥). وبعد أن بنى الملك سليمان الهيكل جمع في أورشليم جميع شيوخ بني إسرائيل وكل رؤوس الأسباط، ورؤساء الآباء، وجميع رجال إسرائيل، وأصعد الكهنة واللاويون تابوتاً في مدينة داود (صهيون) إلى محراب بيت الرب في قدس الأقداس يوم العيد في شهمايتانيم (الشهر السابع) ولم يكن في التابوت إلا لوحا الحجر الذين وضعها موسى هناك في حوريب^(٦) ثم لم يعرف مصير التابوت بعد ذلك^(٧). وقيل^(٨): لعل منس أزال التابوت في مكانه لأنه وضع تمثالاً منحوتاً محله في بيت الرب^(٩)، غير أن يوشيا أرجع (تابوت القدس) إلى هيكل سليمان مرة أخرى^(١٠). ويقول يسس عبد المسيح: ولم يكن التابوت في الهيكل الثاني غير أننا لا نعلم هل أخذ عندما نهب البابليون أو أورشليم، أو اختفى ثم فقد؟ ويوجد تقليد عند الأثيوبيين يفترق إلى إثبات وهو أن تابوت العهد موجود بأكسوم (في أثيوبيا)^(١١) وعلى أي حال سواء عُرف شيء عن حال التابوت أولم يعرف وهو الأصح فإن العهد القديم يصرح بوضوح تام بأن التوراة لم تكن في التابوت عندما فتحوه في عهد سليمان، واغلب الظن أنها فقدت أثناء وقوع التابوت في أيدي الفلسطينيين لأنهم كانوا من ألد أعداء الإسرائيليين، وقد وقعت بينهم معارك طاحنة وكثيرة، ولما حالف الحظّ الفلسطينيين في إحداهما وغلبوا الإسرائيليين أخذوا التابوت^(١٢) ومن شأن الغالب أن يهتك ويفتك بمقدسات

(١) ينظر: ١ صم ٦: ١.

(٢) ينظر: ١ صم ٧: ١-٢ وقيل: بعد مضي قرن تقريباً قام داود بإرجاع التابوت (ينظر: قاموس الكتاب ص ٢٤).

(٣) ينظر: ٢ صم ٦: ٢-١١ وأخ ١٣: ١٤٥. (٥) ينظر: ٢ صم ١٢: ٦ وأخ ١٥: ١ و٢٥-٢٩.

(٦) ينظر: ١ مل ١: ١٠-٢ وأخ ١: ٥-١٠. (٧) ينظر: سوسه، مفصل العرب ص ٣٤١.

(٨) ينظر: قاموس الكتاب ص ٢١٠ (تابوت العهد). (٩) ينظر: ٢ أخ: ٣٣: ٧.

(١٠) ينظر: ٢ أخ: ٣٥: ٣. (١١) ينظر: قاموس الكتاب ص ٢١٠ (تابوت العهد).

(١٢) وقيل كان ذلك في عهد الكاهن الأعظم القاضي الثاني عشر عيلي، سنة ٢٨٣١ العبرية. ينظر:

المغلوب وبخاصة إذا كان الإسرائيليون يعتبرون التابوت رمز نصرهم على الأعداء، فمن هنا نرى أن الفلسطينيين هم الذين أتلفوا التوراة وأضاعوها أثناء وجود التابوت في بلادهم تحت سيطرتهم^(١).

أما لغة توراة موسى ﷺ فما تزال موضوع دراسة وبحث وتدقيق وتحقيق من قبل المختصين وما تزال آثار حول هويتها المناقشات والمجادلات فالمعروف في تقليد اليهودي والمسيحي أن توراة موسى كانت باللغة العبرية، وإن الكتابة كانت معروفة عندئذ. ولكن بعض الدراسات المتخصصة أثبتت أن عصر موسى يسبق تكون اللغة العبرية بفترة طويلة. وبالتالي أن التوراة لم تنزل بالعبرية. بل بلغة معاصرة لموسى ﷺ ومفهومة لديه ولدى شعبه لأنها أنزلت لهداية قومه فلا بد وأن تكون بلغتهم (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم...)^(٢) أما ما هي هذه اللغة المعاصرة التي تكلم بها موسى ﷺ وأبلغ بها رسالة ربه إلى قومه؟ فقد توصل الدكتور فؤاد حسنين علي: بعد أن قام بدراسة فاحصة ذات شعبتين إحداها لغوية، والأخرى لاهوتية، إلى أن توراة موسى ﷺ كانت باللغة الهيروغليفية وليست بالعبرية^(٣). فقد درس الظاهرة اللغوية وأحاط علماً بلغات شبه الجزيرة العربية (العربية الشامية) وتوصل إلى أن اللغة العبرية لم تعرف بهذا الاسم في التوراة ولا في الأنبياء ولا في الكتب، بل جاءت تحت اسم الكنعانية^(٤) أو اليهودية^(٥) فالكنعانية هي اللغة الأم، تفرعت عنها العبرية والمؤابية والفينيقية^(٦)، أما زعم العبرانيين بان لغتهم هي لغة التوراة واللغة التي تكلمها موسى ﷺ - هذا الزعم الذي اعتقده الكثيرون من الإسرائيليين وغيرهم من أبناء الملل الأخرى - فيحتاج إلى إثبات أن موسى ﷺ قد عاصر اللغة العبرية وتعلمها وأتقنها، ولكن إذا ما رجعنا إلى تاريخ ظهور اللغة العبرية نجد أنها تكونت من الآرامية والكنعانية وكثير من اللغات الأخرى سامية وغير سامية حوالي عام ١١٠٠ قبل الميلاد فما بعدها وذلك بعد مضي فترة من الزمن على دخولهم أرض كنعان فالإسرائيليون لم

(١) ينظر: مويال، التلمود ص ١٣.

(٢) سورة إبراهيم/ من الآية ٤.

(٣) ينظر: ٣ مل ١٨: ٢٦ وأش ٣٦: ١٣.

(٤) ينظر: ٢ ش ١٩: ١٨.

(٥) ينظر: ٣ مل ١٨: ٢٦ وأش ٣٦: ١٣.

(٦) ينظر: فؤاد حسنين، التوراة الهيروغليفية ص ٥٨.

يعرفوا باسم العبرانية كشعب ولم يتكلموا العبرية إلا بعد استيطانهم أرض كنعان بل كانوا يتكلمون بلغات الشعوب المضيئة كالآرامية والمصرية والكنعانية مثلاً، فإذا عرفنا النبي موسى ﷺ توفي قبل أن تظهر اللغة العبرية إلى الوجود لأكثر من قرن فلغته - إذن كانت ولاشك اللغة المصرية القديمة^(١) ومن ناحية العقيدة نجد أن (يهوه) ينجلي لموسى ﷺ في سيناء وبكلمة التخاطب بينهما بالمصرية القديمة لأن العبرية لم تكن قد ظهرت بعد، ولأن موسى ﷺ كان قد ولد في مصر وسمي باسم مصري وتكلم المصرية وأتقنها قراءة وكتابة في البلاد الفرعونية، وكذلك شأن سائر الإسرائيليين الذين خرجوا معه من مصر فإنهم كانوا يتكلمون المصرية، ولو سلمنا بأن موسى لم يتكلم المصرية فإنه لم يتكلم العبرية بل إحدى اللغات أو اللهجات الآرامية أو الكلدانية^(٢) والقصص المتعلقة بعقيدة (يهوه) التي ترجع إلى عهد تقديسه وليست كلها إسرائيلية، بل معظمها من الأساطير المصرية القديمة والبابلية والآشورية القديمة كقصة الخلق ورواية الطوفان وأسطورة برج بابل وغيرها^(٣) ولفظ (يهوه) ليس له اتصال باللغة العبرية فهو أقدم منها بكثير إذن ليست العبرية لغة مقدسة ولم تنزل بها الشريعة^(٤). بل لعل أقدم ما وصلنا بالعبرية من التراث الديني هو قصيدة (دبوره)^(٥) وليست التوراة^(٦) وقد سبق إلى القول بذلك فرنسوا ماري أدواي فولتر (١٦٩٤ - ١٧٧٨) ومن تبعه، حيث أكد أنه لم يكن في عهد موسى وسيلة للكتابة عليها إلا بحفرها على الأحجار ونحوها وبخطوط هيروغليفية وبإيجاز شديد، وانه لا يمكن نسبة هذه الأسفار المنمقة إلى موسى ﷺ وهو في البرية يتحول كل يوم من واد إلى آخر^(٧) كما أن المستشرق

(١) ينظر: المصدر نفسه ص ٣-٥ وسوسه، مفصل العرب ص ٣٤٠-٣٤١. وقد صمم لودس أن تكون لغة (اليهود) الآرامية أو الكلدانية قبل غزوهم فلسطين أما العبرانية فقد كانت لغة أهل فلسطين وتعلمها اليهود وأخذوها لساناً لهم يعد تمركزهم في فلسطين: ينظر: ناجي (سليمان...) المفسدون في الأرض دمشق ١٩٧٣ ص ١٣.

(٢) ينظر: د. فؤاد حسنين علي، التوراة الهيروغليفية ص ٥ و ص ٥٨.

(٣) ينظر: المصدر نفسه ص ٥. (٤) ينظر: المصدر نفسه ص ٦.

(٥) ينظر: قض ٥: وترجمة حال النبيه دبوره ينظر: قاموس الكتاب ص ٣٦٨.

(٦) ينظر: د. فؤاد حسنين علي، التوراة الهيروغليفية ص ٨.

(٧) ينظر: الدبس، تاريخ سورية ١/ ١٤٣ - ١٤٤ وفي هذا المعنى، دانمر، الأصيل والدخيل ص ٢٣٥-٢٣٦.

الألماني مرثين هرتمان (١٨٥١ - ١٩١٨). هو أيضاً ذهب إلى أنه لم يكن من وسع العبرانيين إيجاد المواد اللازمة لاستخدامها في كتابة أسفار موسى، لأنه لم يكن يوجد غير نوع واحد من الكتابة في عهد موسى وكان حكراً على الكهنة فقط، أما العبرانيون فأنهم لم يعرفوا الكتاب إلا في عصر القضاة^(١) وقد نحى منحى فؤاد حسنين علي الدكتور أحمد سوسة، فنفى أن تكون توراة موسى باللغة العبرية، وأكد على أنها كانت بالهيريوغليفية^(٢). والتي هي نفس اللغة المصرية التي كتبت بها الشريعة على لوحى حجر^(٣). وبعد فحص هذه الأدلة بدقة تامة يظهر أن فولتير وهرتمان يقران بوجود الكتابة في عهد موسى ﷺ وإن كانت محدودة، أما فؤاد وسوسة فإنهما يصرحان أن موسى كتب التوراة باللغة المصرية الهيريوغليفية وكثير من العلماء الآخرين - اليهود والمسيحيين - يقرون بأن أول من كتب أفراد الشعب الإسرائيلي هو القاضي صموئيل^(٤) ولكن إذا عرفنا أنه كتاب منزل من السماء وأن وسائل الكتابة كانت موجودة في عهد النبي موسى ﷺ وإن كانت محدودة.

ثانياً: توراة السامريين.^(٥)

للسامريين توراة باللغة العبرانية، ولكنها مكتوبة بالحروف القديمة على الهيئة الفينيقية، وهي غير الترجمة السامرية أو الآرامية التي كانت تتداولها أيديهم قديماً

(١) ينظر: الدبس، تاريخ سورية ١/١٤٤.

(٢) ينظر: سوسة، مفصل العرب ص ٣٣٩ و ص ٣٤٠ و ص ٣٤٦.

(٣) ينظر: المصدر نفسه ص ٣٤١ وأيضاً ينظر: ص ٤٧٠ - ٤٧٤.

(٤) ينظر: منهم يوسف يوس اليهود (٣٧ - ١٠٠م) في كتابه في (التاريخ اليهودي) وسكرور في (التاريخ والعهد القديم) ص ٢٤٥ والأب مور في (مجلة الأبحاث الدينية) والأب فكتور في (الكتاب المقدس والمكتشفات الحديثة) والمطران يوسف الدبس في (تاريخ سورية ٢/٢٩٦) راجع: ناجي، المفسدون ص ٥٩ وعن حياة صموئيل راجع: قاموس الكتاب ص ٥٥٣ - ٥٥٤.

(٥) للتفاصيل عن السامريين. راجع القاموس ٤٤٩ - ٤٥٢ وشاهين مكاريوس، تاريخ الإسرائيليين ص ١٢٢ وأيضاً: الشهرستاني، الملل والنحل ٢/٥٨ - ٥٩ وابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل ١/١٨/١٩ وأحمد سوسة: مفصل العرب اليهود في تاريخ ٣٣٥ - ٣٣٨ و ٨٤٠ ومجلة الجامعة (جامعة آل البيت) ص ١ ع ٢ (الفلسفة التناسخية) ص ١٠١ - ١٠٢، ومجلة العربي الكويتية ع ٢٩٦ (١٩٦١) استطلاع عن نابلس (السامريون طائفة لا نظير لها في العالم) ص ٨٣ - ٨٦.

وغير الترجمة العبرية التي هي في أيديهم الآن^(١)، وتتألف من أسفار موسى الخمسة فقط، وتختلف عن التوراة العبرانية في أمور جوهرية كبيرة، جعلت من محجري قاموس الكتاب يختلفون باختلاف النص. يقول الدبس: (يختلف النص السامري عن النص العبري فيما يقرب من ستة آلاف موضع)^(٢). وقد عزوا (معظم هذه الاختلافات إلى أخطاء في النقل وقعت عن النساخ وقت الكتابة وإلى أخطاء متعمدة قاموا بها عن قصد وإصرار)^(٣). وقد اجتهد العلماء في تحديد زمن ظهور هذه النسخة فلم يصلوا إلى نتيجة مرضية،^(٤) (فلا يعلم أحد حق العلم متى تلقى السامريون التوراة؟)^(٥). ولكن جاء في العهد القديم^(٦) أن الملك الآشوري سرجون أحتل عام ٧٢٢ ق.م مدينة السامرة (عاصمة مملكة إسرائيل في الشمال) وأجلى من اليهود عدداً كبيراً إلى نواحي حران والخابور وميديا وغيرها من مناطق إقليم كردستان، واسكن محلهم أقواماً أخرى من بابل وكوت وغيرها فصار هؤلاء هم السامريون، وطلبوا من الملك أن يبعث إليهم كاهناً يعلمهم الشريعة فلبى طلبهم ومن هنا يقال أن توراة السامريين هي عن نسخة أتى بها هذا الكاهن.^(٧) ويقول قاموس الكتاب المقدس، ربما ترجع هذه التوراة إلى العصر الذي طرد فيه مسى حفيد الياشيب (رئيس الكهنة وصهر سنبلط الحوروني) من أورشليم، والتجأ إلى السامريين، فبنى هيكلاً على جبل جرزيم لينافس هيكل أورشليم، في حوالي عام ٤٣٢ ق.م^(٨) وإذا كانت قانونية الأسفار الخمسة قد تقررت حوالي عام ٤٠٠ ق.م فلا تكون التوراة السامرية في هذه الحالة متأثرة بالتوراة التي كانت في حوزة اليهود بعد ذلك التاريخ.

ويظهر أن الشقاق بين اليهود والسامريين قد وقع قبل تقرير قانونية أسفار

- (١) ينظر: الدبس، تاريخ سورية ١/ ١٨٥. (٢) ينظر: المصدر السابق نفسه. ص ٤٥١.
 (٣) ينظر: المصدر نفسه. ص ٤٥١. (٤) ينظر: وجدي، دائرة معارف القرن العشرين ج-ص ٧٠٢.
 (٥) ينظر: الدبس، تاريخ سورية ١/ ١٨٥.
 (٦) ينظر: ٢ مل ١٧: ١: ١ - ١٨ وأيضاً قاموس الكتاب ص ٤٤٩ - ٤٥٠ (السامره السامريون) وسوسه، مفصل العرب ص ٣٣٥ و ٥٨٦ وما بعدها.
 (٧) ينظر: الأقباط الأرثوذكس، كيف وصلنا العهد القديم؟ دار ماجد القاهرة ١٩٨٣ ص ٢٨.
 (٨) ينظر قاموس الكتاب المقدس ص ٢٥٨ وص ٤٥٢، والأقباط الأرثوذكس، كيف وصلنا العهد القديم ص ٢٨، ينظر: القاموس (ص ١١٠ - ١١١ - ١١٢٩) و (٤٨٦ - ٤٨٧) على التوالي.

الأنبياء^(١). ولما كان المسيح من اليهود العبرانيين فإن أتباعه من النصارى ضموا التوراة العبرانية إلى الإنجيل في مجلد واحد وسموه (الكتاب المقدس)، ولم يلتفتوا إلى التوراة السامرية،^(٢) ولكن كثيرين من الآباء المسيحيين مثل جيروم وأوريجانوس يوسابيوس وغيرهم قد اقتبسوا من التوراة السامرية.^(٣) وكما أن كثيرين من محققي علماء البروتستانت، مثل كني كان وهيلز وهيوبي كينت وغيرهم يعتبرون التوراة السامرية ويأخذون بها ومنها ويعتقدون أن اليهود قد حرفوا العبرانية، وكذلك جمهور علماء البروتستانت أيضاً يرجعون إليها أحياناً في بعض المواضع ويقدمونها على التوراة العبرانية^(٤).

هذا وإن معظم الأدراج السامرية التي تمثل الأسفار الخمسة كلها أو جزءاً منها لا ترجع إلى ما قبل القرن العاشر الميلادي، مع أنه توجد نسخة تدعى أن الأجزاء القديمة منها كتبت عام ٦٥٦ م وتوجد لدى جماعة من السامريين في نابلس نسخة خطية يقولون إنها نسخت عام ١٣ بعد فتح كنعان إلا أن جمهور العلماء يقولون أن الخط الذي كتبت به هذه النسخة يرجع إلى القرن الثالث عشر الميلادي، وهذه الأدراج مكتوبة بالخط السامري الذي يشبه الخط الموجود على النقود التي وصلتنا من عصر المكابيين^(٥). وقد كاد أن يكون أمر هذه التوراة مجهولاً عن العالم، في ظلمات الجهل حتى القرن السابع عشر الميلادي، حيث عثر العالم أيربوس على نسخة منها في الشرق فأخذها معه إلى بلاد الغرب، وفي الوقت نفسه عثر

(١) ينظر: القاموس، ص ٤٥٢ وفي المرشد ص ٢٨ أن الانشقاق حدث سنة ٤٣٧ ق.م وأن أسفار موسى كانت قد اتخذت قانون قبل ذلك.

(٢) ينظر: التوراة السامرية (العربية) مقدمة السقا، ص ٧-١٢.

(٣) ينظر: القاموس ٤٥١، والدبس، تاريخ سورية ١/٢١١.

(٤) ينظر: الهندي، إظهار الحق. ١/٢١٨، ٢٣٨، والصادقي البشارات ١/٩٧.

(٥) عصر المكابيين: سميت بعصر المكابيين نسبة إلى العائلة المكابية، وهي أسرة يهودية ظهرت في فلسطين في القرنين الثاني والأول قبل الميلاد تزعمت الثورة ضد السلوقين للقضاء على اليهودية وأرغام اليهود على الأخذ بالديانة الهلينية الوثنية فكانت هذه الأسرة جيشاً سرياً في الجبال نظم عن طريق حرب العصابات وتمكنت من التغلب على الجيش السلوقي والحصول على حكم ذاتي في اورشليم، قد استمرت سلالة هذه الأسرة على رأس السلطة ١٣٠ عاماً بين عام ١٦٧، ٣٦ ق.م، ينظر: د. أحمد سوسة المفصل ص ٨٧٧.

السفير الفرنسي في تركيا (المسيوها دوسانس) على نسخة أخرى منها فأخذها معه إلى فرنسا^(١). كما عثر (بطرس دلافالي) على نسخة منها في دمشق سنة ١٦١٦ م وهي التي طبعت في المجموعتين الباريسية ١٦٤٥م واللندنية سنة ١٦٥٧ م^(٢)، فأثار نشرها اهتمام المحققين وكتبوا عنها بحثاً طويلاً وكثيرة^(٣).

وقد قام الكاهن السامري: أبو الحسن إسحاق الصوري بترجمة التوراة السامرية من اللغة العبرانية (السامرية القديمة) إلى اللغة العربية في مدينة نابلس، ولكنها جاءت قديمة وركيكة، فلم يحسن الربط بين الجمل، ولم يراع قواعد اللغة العربية في أواخر الكلمات أحياناً ولم يضع أرقاماً للأديان ولا فواصل بين الجمل، كما ولم يقسمها إلى إصحاحات. ولهذا الترجمة مخطوطة قديمة بخط يد أبي البركات، وقد وجد في نهاية السفر الثاني (الخروج) منها أنه أنجز. (في العشر الأوسط من شهر رمضان من شهور سنة أربع وثمانين وسبعمائة)^(٤): وكما يبدو فإن هذا التاريخ هو حسب التقويم الهجري الإسلامي. وهذه المخطوطة الأصلية موجودة لدى الأستاذ (أسعد سيد أحمد)^(٥) ولها نسخ مصورة كثيرة عند عدد من العلماء والباحثين في مختلف بلاد العالم^(٦) ولعل هذه الترجمة هي نفس الترجمة العربية التي أشار إليها قاموس الكتاب المقدس بقوله: (وفي حوزة السامريين ترجمة عربية أيضاً ترجمت في القرن الحادي عشر أو الثاني عشر)^(٧). وقد طبعت التوراة السامرية في ترجمتها العربية (هذه) لأول مرة بعناية الدكتور أحمد حجازي السقا عام ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨ م بالقاهرة.

ثالثاً: التوراة العبرانية (الحالية).

يذكر لنا التاريخ أنه قد حصلت لليهود وقائع كثيرة تعرض فيها كتابهم

- (١) ينظر: وجدي، دائرة معارف القرن العشرين، ح ص ٧٠٢ وقارن مع مقدمة التوراة السامرية ص ١٧.
- (٢) ينظر: الدبس، تاريخ سورية ٢/١ ص ١٥٨ ع ٢١١.
- (٣) ينظر: التوراة السامرية، السقا، المقدمة ص ١٧ - ١٨.
- (٤) ينظر: المصدر نفسه/ ص ٢ - ٢٨ - ٢٩.
- (٥) ينظر: وهو مدير دار الأنصار بمصر للطبع والنشر التي نشرت التوراة السامرية (العربية).
- (٦) ينظر: التوراة السامرية، السقا، المقدمة، ٢٩ - ٣٠.
- (٧) ينظر: مادة التوراة السامرية ص ٤٥٢.

المقدس (توراة موسى) عدة مرات للحرق والنهب والاندعام، وكانت أولها في عهد القضاة عندما وقعت التوراة في أيدي الفلسطينيين ثم فقدت ولم تكن في التابوت حينما فتح في عهد الملك سليمان، ثم بعد الانقسام ارتد بنو إسرائيل إلى عبادة الأوثان وتركوا التوراة وراء ظهورهم، وفي ذلك يقول الأقباط الأرثوذكس: (.. حدث في أيام الانحلال الديني بعد انقسام أمة اليهود إلى مملكتين، أن اليهود نسوا كتبهم المقدسة وأهملوها..)^(١). وقد تعرض (بيت المقدس) للنهب مرتين قبل عهد (أحد) أحد ملوك يهوذا^(٢)، وفي حملة (نبوخذنصر) الثانية عام ٥٨٦ ق.م فقدت التوراة وانتهى أثرها، وأخذ اليهود العبرانيون إلى بابل، وهناك مارس اليهود شعائرهم الدينية وواصل كهنتهم أعمالهم اللاهوتية، فكان لهم النصيب الأكبر في تكوين الديانة اليهودية (الحالية). فقد حرر الكهنة في بابل أهم فصول التوراة باللغة العبرية المعروفة (بأدامية التوراة)^(٣)، وهؤلاء الكتبة - وهم كبار الكهنة والحاخامين اليهود الذين عاصروا مملكة يهوذا في أواخر أيامها قبل السبي الأخير (٥٨٦ ق.م) بصفتهم علماء ذلك العصر - كانوا يحسنون اللغات القديمة كالسومرية والكتابيتين المسمارية والهيروغليفية وقراءة الرقم الطينية في شتى المواضيع وبمختلف اللغات والخطوط^(٤). فالقصص والشرائع والأساطير والأشعار الموجودة في التوراة مستقاة من المصادر الأدبية القديمة لمختلف الثقافات التي أطلع عليها كتبة التوراة ومن المعتقدات والتقاليد الاجتماعية التي عاشوها ومارسوها فعلاً في مصر وفلسطين وبابل فهي مصرية وكنعانية وبابلية الأصل^(٥).

(١) ينظر: الأقباط الأرثوذكس، كيف وصلنا العهد القديم ص ١٦.

(٢) ينظر: الهندي، إظهار الحق، ١/ ٣٢٥ - ٣٢٦.

(٣) وهي لهجة مقتبسة من الآرامية، وهم يحفظونه إلى يومنا هذا ويسمونه الآن بالخط الآشوري المربع (سوسه، مفصل العرب ... ص ٣٤٢ - ٣٤٣) وكان اليهود في بابل يتكلمون باللغة الآرامية بعد إنشادها في جميع البلاد الشرقية وظلوا يتكلمون بها حتى بعد عودتهم إلى فلسطين، أما العبرية فقد اقتصرت إلى الكتب الدينية المقدسة فقط، وينظر: سوسه، مفصل العرب واليهود من التاريخ ص ٣٤٥.

(٤) ينظر: سوسه، مفصل العرب واليهود في التاريخ ص ٣٤٢ - ٣٤٣.

(٥) ينظر: المصدر نفسه ص ٣٤٣ - ٣٤٤، وينظر: ندره اليازجي، رد على اليهودية، واليهودية المسيحية ص ٢٧.

وبذلك فالتوراة الحالية ليست التوراة الأصلية المنزلة على موسى ﷺ لأن التاريخ قد أثبت إن التوراة الحالية دونها مؤلفون كثيرون في أزمان مختلفة وبلغات عديدة وذلك بعد موسى ﷺ بأكثر من سبعة قرون.^(١) وهذه الحقيقية قد اعترف بها وأكدها كثير من العلماء المحققين اليهود والمسيحيين والمسلمين وغيرهم.^(٢) فقد اعترف العالم اليهودي (سيلفر) بأن التوراة الحالية لا تمثل توراة موسى الأصلية في أي ناحية. وحتى الوصايا العشر التي يكاد بجمع العلماء على أنها الشيء الوحيد المتبقي من التوراة الأصلية لم تكن في شكلها ومضمونها الحاليين كتلك التي أتى بها نبي الله موسى ﷺ.^(٣) وقال الفيلسوف اليهودي سبينوزا (١٦٧٧م): (إن موسى ليس هو مؤلف الأسفار الخمسة (التوراة الحالية) بل إن مؤلفها شخص آخر عاش بعده بزمان طويل وأن موسى كتب سفرًا مختلفًا)^(٤) وقد ساق عدة أدلة على قوله هذا منها، تسلسل هذه الأسفار ومحتوياتها فهو يثبت لنا ويرينا بسهولة أن الذي كتبها شخص أراد أن يروي تاريخ اليهود القديم، فجميع النصوص والترتيب الذي تتعاقب فيه الروايات يدل على أن كاتبها مؤرخ واحد وله غرض محدد^(٥) ثم ذكر إن هذا المؤرخ - الذي هو عزرا -^(٦) (ولم يفعل أكثر من أنه جمع روايات موجودة عند كتاب متعددين وفي بعض الأحيان كان يقتصر على نسخها ونقلها على هذا النحو إلى الخلف دون فحصها أو ترتيبها). ولعل موته

(١) ينظر: سوسه: في طريق إلى الإسلام، المطبعة السلفية القاهرة ١٩٣٦ ص ٨٢.

(٢) ينظر: سهيل ديب: التوراة تاريخها وغاياتها ص ٧ وغوستاف لوبون، اليهود في تاريخ الحضارات الأولى ص ٧٢ وأيضاً السمؤل بن يحيى بن عباس المغربي، بذل المجهود من إقحام اليهود ص ١٢ (من تقديم: محمد أحمد الشامي).

(٣) نقلًا عن سوسه، مفصل العرب واليهود في التاريخ ص ٣٤٤.

(٤) ينظر: رسالة اللاهوت والسياسة ترجمت وتقديم الدكتور حسن حنفي ومراجعة دكتور فؤاد ذكريا. الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر. القاهرة ١٩٧١ ص ٢٦٦. ودويدار (الدكتور بركات عبد الفتاح...) الوحدانية مع دراسة في الأديان والفرق مطبعة السعادة القاهرة ١٩٧٧ ص ٣٦.

(٥) ينظر: رسالة من اللاهوت والسياسة ترجمة تقديم الدكتور حسن حنفي ومراجعة دكتور فؤاد ذكريا ص ٢٧٦، ينظر: دويدار: الوحدانية مع دراسة الأديان والأديان والفرق ص ٣٤.

(٦) ينظر: (سفري عزرا ونحميا والقاموس ٦٢١ - ٦٢٢ وزكي شنوده موسوعة تاريخ الأقباط الأرثوذكس ١٤٧/٨ - ١٤٨. وعجاج نوهض، بروتوكولات حكماء صهيون ٦٤/٣ - ٧١.

المبكر هو الذي منعه من إتمام عمله هذا بعناية وإتقان.^(١) فالاعتقاد السائد لدى اليهود - الآن - هو الذي جمع أسفار التوراة الحالية ونظمها هو الكاهن عزرا الكاتب حوالي عام ٤٤٤ ق.م.^(٢)، وقد تحدث سولوف عن كيفية كتابة التوراة بصيغتها الحالية قائلاً: «عرض «عزرا» الكتاب على الحاكم «نحميا»^(٣) فكرة تكون مجلس رباني الدين الموسوي لدراسة ما بين أيديهم من نسخ التوراة القديمة وتمحيصها وإقرار نسخة منقحة من التوراة وهكذا تم تأليف هذا المجلس قبل الفين وأربعمائة سنة ضم جماعة أطلق عليها (رجال وأعلام الكنيس الأعظم) (anshe kenese ha gedolon) فكان أول كتاب وضعه هذا المجلس هو التوراة (الحالية) (torah)، ويطلق عليه اسم (كتاب موسى الخمسة) ويحتوي إلى الأسفار التالية التكوين والخروج والأخبار والعدد وتثنية الاشتراع».^(٤) وأكد لودز (بأننا لا نستطيع أن نؤيد صحة رجوع تاريخ أي قسم من الأسفار الخمسة وحتى الوصايا العشرين إلى عصر موسى لأن ما ورد من روايات في هذه الأسفار قد يعرض أكثر من أسفار التوراة (يقصد بها العهد القديم) إلى تكرار وإعادة تصنيف إلى تغيير وتوسيع مستمرين على مر العصور)^(٥) ثم قال: (أن الوصايا العشرة أدخلت في سفر الخروج وسفر التثنية وفي وقت متأخر حيث ظهرت في الكتابات اليهودية في القرن السابع قبل الميلاد).^(٦) وذكر نورتن أنه لا يوحد الفرق بين اللغة والأسلوب اللذين كتبت بهما أسفار التوراة وبين اللغة والأسلوب اللذين في سائر كتب العهد القديم التي كتبت في عهد أطلق فيه سراح بني إسرائيل من أسر بابل، مع أن بين العهدين حوالي (٩٠٠) سنة

(١) ينظر: رسالة من اللاهوت والسياسة د. حسن حنفي ص ٢٨٣، وينظر دويدار: الوحدانية مع دراسة في الأديان والفرق ص ٣٤.

(٢) ينظر: شنوده. موسوعة تاريخ الأقباط والمسيحية ٨/ ١٤٧ وقاموس الكتاب المقدس ص ٦٢١ وأيضاً أرنيس رينان: تاريخ شعب إسرائيل طبعة باريس (الفرنسية) سنة ١٩٢٧م ٢/ ٥٠ وما بعدها.

(٣) ينظر: (سفر عزرا ونحميا والقاموس ٩٦١ - ٩٦٣ وبرتوكولات حكماء صهيون ٣/ ٧١ - ٧٨).

(٤) ينظر: سولوف (مردخاي آي...) كيف نما الشعب اليهودي؟ (بالإنكليزية) نقلاً عن: عرض للكتب المذكور تعلم: شريف يوسف من مجلة العرب الكويتية العدد ١٠٨ (رجب ١٣٨٧هـ تشرين الثاني ١٩٦٧) ص ١٠٧.

(٥) نقلاً عن سوسه، مفصل العرب واليهود في التاريخ ص ٣٤٤.

(٦) ينظر: المصدر نفسه/ ٣٤٤..

ولذلك أكد (ليوسلن): (أن هذه الكتب القديم كلها قد صنعت في زمان واحد)^(١).

ولذلك - ومنذ القرن السادس عشر المسيحي - أثرت مجادلات عنيفة ومناقشات جادة بين أعلام الكتاب المقدس حول تأليف موسى للأسفار الخمسة،^(٢) وقد غير الكثير من العلماء - المتخصصين بدراسة العهد القديم - آراءهم في: من هو مؤلف هذه الأسفار؟^(٣) فالعدد الأكبر من مفسري الكتاب المقدس العصريين من الكاثوليك والبروتستانت يجمعون على القول. أن المنطق والعلم لا يسلمان أن الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى هي من تأليف رجل واحد،^(٤) لذا ارتأى بعض العلماء أنها جمعت من كتابات سابقة أو أن مؤلف الأسفار الخمسة أو جامعها اعتمد على تلك الكتابات السابقة ومنها وضع الأسفار الخمسة كما هي بين أيدينا اليوم^(٥) وذلك لأن هذه الأسفار الخمسة تحتوي على كثير من المراجعات والاختلاف في الإنشاء والاتجاه الفكري، وبعض التناقض في الشرائع والازدواجية في الرواية الواحدة كقصتي الخلق^(٦)، والطوفان،^(٧) والاختلاف في اسم الله (ألوهيم ويهوه)،^(٨) وشواهد أخرى كثيرة^(٩) تدل على أن جزءاً كبيراً منها كتب في عصور متأخرة بعد عهد موسى بزمان طويل،^(١٠) لأنه ليس في هذه الأسفار ذاتها نص واحد يؤكد أن موسى هو كاتبها كلها.^(١١)

(١) نقلاً عن: الصادقي، البشارات ١/ ١٠٥.

(٢) ينظر: دانمر، الأصيل والدخيل في النص العهد القديم ص ٢٣٦ هامش رقم (١).

(٣) ينظر: سيل، المرشد إلى الكتاب المقدس ص ٧٤. وأيضاً قاموس الكتاب المقدس ص ٣٤٨.

(٤) ينظر: دانمر، الأصيل والدخيل في نص العهد القديم ص ٢٣٦ هامش رقم (١).

(٥) ينظر: سيل، المرشد إلى الكتاب المقدس ص ٧٤.

(٦) هذه القصة جزءان، الأول في (تك ١: ١ - ٢: ٣) يستعمل اسم الجلالة (الله) والثاني في (تك

٢: ٤ - ٢٥) ويستعمل اسم الجلالة (الرب الإله)، (ينظر: قاموس الكتاب المقدس ص ٣٤٥).

(٧) للطوفان روايتان في التوراة امتزجتا معاً حتى في أصفر فقره، ذلك بشكل مكشوف تنفر عنه العقل

والسليقة وتناقض إحداها الأخرى (تك ٦: ٥ - ٨: ٢٢)، ينظر: أيضاً قاموس الكتاب ٥٨١ - ٥٨٤.

(٨) ينظر: الهامش رقم (١) أعلاه والقاموس ص ١٠٧.

(٩) ينظر: تك ١٢: ٦ و ٣٦: ٣١ وما يليه وتث ١٧: ١٤ و ٣٤: ٥ - ٨ و ١٠.

(١٠) ينظر: دانمر، الأصيل والدخيل ص ٢٣٦ هامش (١) وسيل، المرشد ٧٤ و ٧٥.

(١١) ينظر: قاموس الكتاب المقدس ص ٣٤٨.

لذا فإنهم درسوا النص العبراني درساً مشبعاً وحلّوه تحليلاً علمياً ولغويّاً دقيقاً، فأروا أنه منسوج من (نحو) أربع وثائق أو (تقاليد) تتماشى معها جنباً إلى جنب، لكل منها إنشائه وأسلوبه الخاص يميزه عن غيره، كتبت من القرن العاشر إلى الخامس قبل الميلاد.^(١) ولكنهم مع هذا ومع اعترافهم أن موسى (أو مؤلف الأسفار الخمسة) قد اعتمد على أصول مكتوبة واستعمل مخطوطات سابقة لزمانه، وأن هذه الأسفار في شكلها الحالي قد جمعت في زمان بعد زمان موسى بكثير،^(٢) وأنه جاء بعد من أضاف إلى ما كتب المعلومات التي وصلت إلينا، وأن الجمع والتدوين قد انتهى في أوقات متفاوتة.^(٣) مع كل هذا، قالوا: لا يستتج من ذلك بالضرورة، أن كاتبها لم يكن موسى، فهذا لا ينقض كون موسى كاتبها،^(٤) وذلك باعتبار أن موسى هو مؤسس ديانة وباعث أمة ومعلن دستور ورواية،^(٥) فهو الذي نظم الشعب وسن له الشرائع والطقوس ووضع في القرن الثالث عشر ق.م النواة التاريخية والتشريعية للأسفار الخمسة كلها، وأن هذه (النواة الموسوية) قد نمت وتطورت مع توالي العصور، وتفرعت إلى تقاليد متعددة وجداول متشعبة^(٦) إلى أن تكون من هذه (الكتب) المجموعات الكبرى للأسفار الخمسة،^(٧) ومن هنا سميت (بالأسفار الخمسة) بأسفار موسى أو شريعته أو ناموسه أو كتبه توراته.^(٨) وهكذا فبعض المسيحيين مع اعترافهم بالتطورات التي طرأت على التوراة واشتراك غير واحد في كتابتها يرجعونها في الأساس إلى موسى ﷺ وفي ذلك يقول الدكتور مراد كامل: (ويوافق العلماء الكاثوليك على أن الأسفار الخمسة قد تكون جمعت من مصادر مختلفة وربما اشتملت على تغير وإضافات متأخرة، ولكنهم يصرون

(١) ينظر: دانمر الأصيل والدخيل في نص العهد القديم ص ٢٣٦٧ هامش رقم (١).

(٢) ينظر: سيل، المرشد ص ٧٥.

(٣) ينظر: ديلي، تاريخ شعب العهد القديم ص ٦١.

(٤) ينظر: سيل: المرشد ص ٧٥ والقاموس ص ٣٤٩.

(٥) ينظر: ديلي، تاريخ شعب العهد القديم ص ٦١ وسيل، المرشد ص ٧٦.

(٦) ينظر: هيريان شتراك، المدخل إلى العهد القديم، طبعة ميونيخ (الألمانية) الرابعة سنة ١٨٩٥

ص ١٥ - ٤٠. تقلاً عن: ثروت أنيس الأسيوطي، فلسفة القانون ٢/٢٦٩.

(٧) ينظر: ديلي، تاريخ شعب العهد القديم ص ٦١.

(٨) ينظر: سيل، المرشد ص ٧٦.

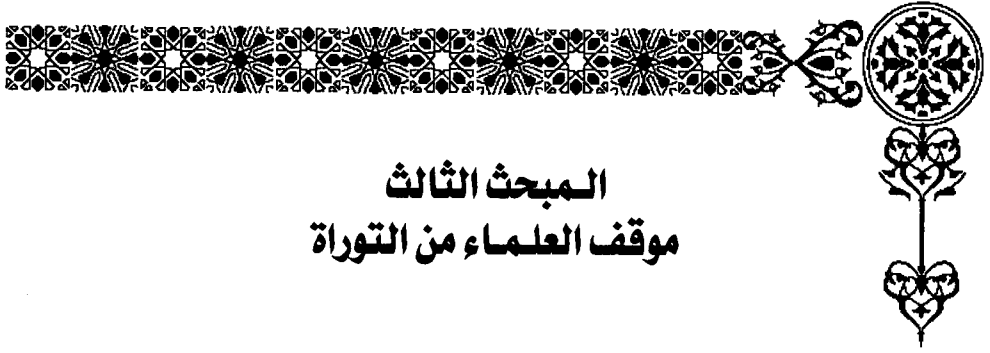
على أنها صادرة أساساً عن نبي الله موسى ﷺ^(١). أو على الأقل الأكبر منها.

وهذا الإصرار منهم لا معنى له، فهو تقليد أعمى، بل عناد عتيق وتكبير وتكبر صارخ في وجه الواقع والمكتشفات الأثرية والمعطيات العلمية الحديث، وأن هذا الإصرار إنما أتى بعد الاعتراف بأنه (ليس في الأسفار الخمسة ذاتها نصٌ واحد يؤكد أن موسى هو كاتبها كلها)^(٢) وبعد التحقيق والتدقيق العميق لمفسريهم الكبار بأن إصحاحات وأعداد كثيرة من التوراة الحالية ليست من كلام موسى ﷺ بل أنها ملحقة بالتوراة في فترات مختلفة ومن كتاب مجهولين لا نعلم عن حالهم شيئاً. فضلاً عن أنه يوجد في التوراة الحالية ما يؤكد - بوضوح وبلا أدنى شك - أن موسى ﷺ لم يكتبها.



(١) ينظر: دانمر، الأصيل والدخيل ص ٢٣٦ هامش (١) وأيضاً القاموس ص ٣٤٨.

(٢) ينظر: الدبس، تاريخ سورية ١/١٤٣.



المبحث الثالث موقف العلماء من التوراة

منذ ظهور التوراة وعلماء التاريخ يبحثون عن مصدرها وحقيقة المعلومات التي وردت فيها،... ولكن لم يكتب النجاح لبحوث هؤلاء العلماء في العصور القديمة لافتقارهم إلى وسائل البحث والتنقيب آنذاك. وأن الكنيسة المسيحية احتضنت التوراة ككتاب مقدس، وبذلك أضفت عليها ثوباً من الحرمة والقدسية مما منع المس بها أو حتى مجرد مناقشه محتوياتها، وهكذا ظلت التوراة بفضل الكنيسة - معصومة من النقد لعدة قرون.^(١) ولكن في القرون الثلاثة الأخيرة ولاسيما في القرن الماضي - عندما كثرت المكتشفات العلمية الحديثة، ظهرت للوجود حقائق علمية كانت مجهولة في السابق كالمكتشفات المصرية والآشورية والكلدانية وغيرها - كسر علماء النقد الحاجز الذي وضعت الكنيسة بينهم وبين الكتاب المقدس، فوجهوا إليه انتقادات شديدة وكثيرة مبنية على نتائج المعارف والمعطيات العلمية الحديثة^(٢) حملت الكثيرين من علماء الكتاب المقدس المتخصصين يغيرون موقفهم وآراءهم في مسألة: من هو مؤلف أسفار التوراة الخمسة؟^(٣) وقد ظلت اليهودية والمسيحية لقرون طويلة تعتبران، أن موسى نفسه هو كاتب التوراة^(٤) في صورتها الحالية^(٥)، ولربما اعتمدنا في دعواهما هذه على بعض الفقرات الواردة في التوراة نفسها^(٦) وفي الإنجيل، وباقي كتب العهد الجديد^(٧) إذن كان

(١) ينظر: ناجي، المفسدون في الأرض ص ١٠. (٢) ينظر: المصدر السابق ص ١٠.

(٣) ينظر: سيكل سيل، المرشد إلى كتاب، ص ٧٤.

(٤) ينظر: بوكاي (موريس) دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، دار المعارف القاهرة سنة ١٩٧٨ ص ٢٦، ومراد كامل، الكتب التاريخية ص ٧.

(٥) ينظر: سيل، المرشد ص ٧٤.

(٦) ينظر: مثلاً (خر ١٧: ١٤ وعد ٣٣: ٢ وكث ٣١: ٩)، (أكتب هذا تذكاري في الكتاب)، و(كتب موسى مخارجهم في رحلاتهم حسب قول الرب)، (كتب موسى هذه التوراة).

(٧) ينظر: مثلاً: روم ١٠: ٥.

من الصعب دحض خرافة تمتعت بالتأييد الذي أتى به المسيح نفسه في العهد الجديد^(١) بل منذ القرن الأول ق.م وجد من يدافع عن الرأي القائل بأن موسى قد كتب الأسفار الخمسة كلها، مثل: (فلافوس جوزيف)، والفيلسوف اليهودي (فيلون الإسكندري) (٢٠ ق.م - ٥٤م)^(٢)، فالتراث اليهودي الذي امتثل له عيسى والرسول كان مقبولاً حتى نهاية القرون الوسطى وكان الرفض الوحيد لهذه الدعوة (أبين أسرا - ABENESRA) في القرن الثاني عشر، وفي القرن السادس عشر أشار (كارلشتاد CARL STADT) إلى استحالة أن يكون موسى ﷺ قد كتب بنفسه كيف مات؟^(٣) وهناك نقاد آخرون رفضوا أبوة موسى ﷺ على الأقل لجزء من الأسفار الخمسة وعلى وجه الخصوص ريشاد سيمون في دراسته (التاريخ النقدي للعهد القديم) سنة ١٦٧٨م، هذه الدراسة التي أثارت ضجة وسخطاً كبيرين لأنه كان قد أكد فيها على الصعوبات الخاصة بتسلسل الأحداث والتكرارات وفوضى الروايات وفوارق الأسلوب في أسفار التوراة الخمسة^(٤).

والنقاد يدينون لـ (جان أستروك)^(٥) (JEAN ASTRUC) للبرهان الحاسم الذي قدمه في دراسته التي أكد فيها بشجاعة تامة على تعدد المصادر للتوراة فقد لاحظ وجود نصين جنباً إلى جنب في سفر التكوين يحتوي كل منهما على خاصية مختلفة في تسمية الرب، إذ يسميه أحدهما بيهوه، ويسميه الثاني بألوهيم، ولم يكن أستروك أول من أشار إلى هذه التفرقة عام ١٧٥٣م^(٦) كما نقل ذلك ديورانت^(٧)، بل أن الازدواجية والتكرار في قصة الخلق^(٨) اكتشفها الناقد فيترينكا عام ١٦٨٣م، ومن بعده الناقد فييتر عام ١٧١١م ثم أثبتة أخيراً الناقد أستروك عام ١٧٥٣م^(٩) ثم قام أيخهورن (١٧٨٠م - ١٧٨٣م) بنفس الاكتشاف بالنسبة للأسفار الأربعة الأخرى من التوراة، ثم جاء أيلجن عام ١٧٩٨م ولاحظ أن أحد النصين اللذين ميزهما الفيلسوف أستروك وهو النص

(١) ينظر: بوكاي، دراسة الكتب المقدسة ص ٢٨. (٢) ينظر: المصدر نفسه ص ٢٧.

(٣) ت ٣٤: ٥ - ١٢، وينظر: بوكاي، دراسة الكتب المقدسة ص ٢٧.

(٤) ينظر: ديفو في ترجمة لسفر التكوين طبع سنة ١٩٦٢ نقلاً عن بوكاي، دراسة الكتاب المقدس/ ٢٧، ٢٨.

(٥) ينظر: جان أستروك هو: طبيب لويس الخامس عشر، نشر دراسته هذه عام ١٧٥٣م، وكانت بعنوان (قرائن عن المذكرات الأصلية التي يبدو أن موسى قد استخدمها لتحرير سفر التكوين).

(٦) ينظر: بوكاي، دراسة الكتب المقدسة ص ٢٨. (٧) ينظر: ديورانت، قصة الحضارة/ ٢/ ٣٦٨.

(٨) ينظر: تك ١: ١ - ٤، وتك ٢: ٢ - ٤. (٩) ينظر: ناجي، المفسدون في الأرض ص ١٦.

الألوهيمي - ينقسم هو الآخر إلى قسمين وبهذا تفتت تماماً أسفار التوراة الخمسة^(١).

إذن معالجة الكتب المقدسة من خلال علم الدراسة النقدية للنصوص شيء قريب العهد، فبالنسبة للعهد القديم والجديد، ظل الناس يقبلونها على ما هما عليه طوال قرون عديدة، ولم تكن تؤدي قراءة الكتب المقدسة إلا إلى اعتبارات مدحية وكان مجرد التعبير عن أي روح نقدية إزاء الكتاب المقدس خطيئة لا تغفر، وكان القساوسة هم وحدهم الصفوة التي تستطيع بغير عناء أن تكون لديها معرفة إجمالية عن التوراة والأنجيل، أما عامة العلمانيين فلم تكن تتلقى إلا نصوصاً مختارة خلال الطقوس الدينية أو عبر المواعظ في الكنائس^(٢)، وكان للكنيسة ورجال الدين عدة طرق وأساليب لإقناع قراء الكتاب المقدس بأنه وحي وأنه كلام الله وأنه كتب بإلهام من روح القدس، منها:

١ - سد الباب في وجه السائلين وذلك بالقول: أن مؤلفه هو الرب، وأحياناً كان يقال: (إن هناك تفاصيل قد أضافها بشر إلى النص الأول وأن الطابع المشكوك فيه لفترة ما في هذا النص لا تحرق (الحقيقية) العامة التي تنبع منه)^(٣)، فالغالبية العظمى من قراء الكتاب المقدس وجدت في المعلومات التي تقدمها الكنيسة في مقدمة طبعات الكتاب وفي الضمانات التي أعطتها الكنيسة عبر القرون كافية لئلا تثار في ذهنهم مسألة نقاش صحة الكتاب المقدس.

٢ - صرف النظر برشاقة عن دعاوى النقد، والدفاع عن النص كلمة كلمة ومحاولة إقناع الناس عن طريق إحاطة النص بتصريحات واعتبارات مدحية مستعينا في ذلك بحجج كبيرة غير متوقعة في غالب الأحيان، لكي يضمني غلالة من النسيان على ما يرفضه المنطق^(٤) وبذلك يتحرف انتباه القارئ عن المشكلة الأساسية

(١) ينظر: موريس بوكاي، دراسة الكتب المقدسة، ص ٢٨.

(٢) ينظر: بوكاي: دراسة الكتب المقدسة ص ٩. (٣) ينظر: المصدر نفسه ص ١٧.

(٤) ينظر: وإن كان بعض المعلقين المسيحيين قد قبلوا بعض الأخطاء في التوراة ولم يترددوا في مواجهة المسائل الشائكة فيما يكتبون، مثل الأب ديفو الذي قبل بوجود هذه الانتقادات الموجهة إلى التوراة بل أفاض حتى في البحث عن وجهاتها إلا أن (عادت بناء أحداث الماضي عديم الأهمية في نظرهم). (ينظر: بوكاي، دراسة الكتاب المقدس ص ٥٥).

الخاصة بحقيقة الرواية ليتجه إلى مشاكل أخرى^(١). فالموقف المديحي هذا يبرر ويغطي كل تعسفات وتعديلات البشر لنصوص التوراة فيما يختص بالأمر الإلهية، فكل تعديل يصبح مشروعاً طالما كان هناك مرحماً دينياً، وبذلك تتحول الأسطورة الشعبية والرواية الوهمية إلى حدث إلهي المستوى.

وبهذا الشكل بررت تعديلات (الكهنوتيين) في القرن السادس ق.م التي أدت إلى الروايات الوهمية المعروفة في التوراة^(٢) وموقفهم هذا الذي يهدف إلى تبرير الاحتفاظ في نصوص الكتاب المقدس ببعض المقاطع الباطلة خلافاً لكل منطق، يسئ كثيراً إلى الأيمان بالله لدى بعض العقول المثقفة، وإن كان له تأثير على غالبية المسيحيين حيث ظلت في جهالة تامة من أمر تناقض الكتاب المقدس مع المعارف الدينية الأساسية المشهورة جداً^(٣).

٣ - رأى عدد كبير من المعلقين المسيحيين أنه من يشرُح الأخطاء والأمور غير المعقولة وتناقضات الروايات في التوراة، وذلك بتقديم الاعتذار الذي يقول: إن كتاب التوراة كانوا معذورين في تقديم تصريحات ترتبط بعوامل اجتماعية لثقافة أو لعقلية مختلفين، وذلك مما أدى إلى ظهور (الأنواع الأدبية الخاصة) هذا التعبير الذي غطى كل المصاعب، حيث عزوا كل تناقض بين نصين إلى الطريقة الأدبية الخاصة لكل كاتب في التعبير، ومما لاشك فيه إن هذه الحجة ليست مقبولة لدى الجميع، فهي تفتقد فعلاً الجدية والواقعية، ورغم ذلك فأنها لم تقع بعد - تماماً - في غياهب النسيان في عصرنا. بل لها دعاة مدافعون وخاصة بالنسبة للأناجيل^(٤).

٤ - صرف النظر عن التاريخ في التوراة (حسب قواعد النوع التاريخي الذي يمارسه المحققون، ورفض أي فحص قد تقوم به علوم الجيولوجيا والمعطيات

(١) ينظر: المصدر نفسه، ص ٥٦.

(٢) وذلك مثل ما فعله الكاثودينال دانيلو في مقالة (الطوفان والتعميد والحكم) في مجلة (الله لحي) حيث قدم قصة الطوفان بأسلوب تقليدي وأثنى على النص سيلاً من التقريبات المديحية، وغمض العين عن الأخطاء التاريخية الكثيرة في هذه القصة التي تخالف الواقع والعلم (ينظر: موريس بوكاي. دراسة الكتب المقدس ص ٥٥ - ٥٦ - ٥٧).

(٤) ينظر: المصدر نفسه ص ٥٨.

(٣) ينظر: بوكاي ص ١٠ و ٦١.

الخاصة بما قبل التاريخ على روايات التوراة، بحجة أن التوراة - في نظرهم - لا تنتمي إلى أي - نوع - من هذه الدراسات العلمية^(١) وقالوا: (إذا أردنا أن نقابلها بمعطيات هذه العلوم، فإننا لن ننتهي إلا إلى تعارض غير حقيقي أو إلى توافق مصطنع)^(٢).

إذن (يجب عدم اختيار الكتاب المقدس بآراء الناس العلمية فالمعرفة البشرية ليست دليلاً يركن إليه)^(٣)، فالمتخصصون في عصرنا يجتهدون في الدفاع عن نص التوراة أمام أي اتهام بالغلط، بأي ثمن كان، حتى وإن بدا واضحاً أنه غير مقبول تاريخياً أو علمياً. هذا بالنسبة للروايات التي لا تتفق مطلقاً مع المعطيات العلمية، أما التي قد يمكن التحقق منها اليوم كـ بعض الأحداث التي وقعت في عصر الآباء الأولين، فإنهم يستشهدون بالمعارف الحديثة لمساندة الحقيقية في التوراة^(٤). وهذا ما فعله المطران الدبس^(٥).

٥ - تضليل العامة بإظهار الأمور أمامهم على غير حقيقتها، فقد كتب رجال الدين مقدمات للكتاب المقدس المخصص للعامة سكتوا فيها عن الأمور لأساسيه الخاصة بتدوين الكتاب، بل ساقوا الأمور بشكل غامض ومخالف للواقع، فقللوا من شأن أمور حيوية هي بأمر الحاجة إلى الدراسة العميقة والبحث الجاد، اكتفوا من الكتب التي أصابها التعديل برمتها وعدة مرات - كما حدث لأسفار موسى عليه السلام الخمسة - أكتفوا منها فقط التفاصيل الإشارة إلى تفاصيل أضيفت إلى بعد تحرير النص أو مناقشات حول فقرة عديمة الأهمية في هذا السفر أو ذاك^(٦)، فمن نظر في

(١) ينظر: المصدر نفسه ص ٥٨.

(٢) ينظر: مدخل إلى سفر التكوين، للأب ديفو/ ص ٣٥ نقلاً عن بوكاي، دراسة الكتب المقدسة ص ٥٨، وفيه أيضاً يقول الأب ديفو أن الشكوك التي غيمت على هذه الروايات يجب أن تخلي المكان أمام الشهادة المؤيدة التي بها التاريخ أو علم الآثار الشرقية بمعنى كما قال بوكاي - إذا كان العلم مفيداً في توكيد رواية التوراة فلا بأس، أما إذا دحضنا فإن الرجوع إليه غير مقبول.

(٣) ينظر: الزهوايت، الصراع العظيم في سيرة الآباء والأنبياء بيروت ١٩٦٢، ص ٩٣.

(٤) ينظر: بوكاي، دراسة الكتاب المقدس. ص ٢٥ - ٢٦.

(٥) ينظر: من كتابة: تاريخ سورية الدين والدنيوي، الجزء الأول الجلد الأول ص ٦٥ و(ص ١٨٢ فضل ٨ عد ٢١١).

(٦) ينظر: بوكاي، دراسة الكتب المقدسة. ص ٢٥ - ٢٦.

مؤلفاتهم التي كتبوها للخاصة وليس للعامة الجمهور سيدرك جلياً أن مسألة أسفار الكتاب المقدس مسألة أكثر تعقيداً مما كان يظن بداية. فالقارئ لطبعة الكتاب المقدس الحديثة التي ترجمت إلى الفرنسية،^(١) سيكتشف أن نبرة الحديث مختلفة جداً، وسيعلم جيداً أن العهد القديم كالعهد الجديد يغير مشاكل لا يخفي المفسرون عناصرها التي تسبب النزاع^(٢).

مع ذلك فإن الفترة السابقة على عصر الظلام المفروض شهدت مفكرين اتخذوا مواقف منطقية من الكتب المقدسة. قبل القديس أوغسطين، فإنه قد عرف - في عصر آباء الكنيسة - مشاكل خاصة بنقد النصوص، ولذلك قال في خطابه رقم ٨٢: (إن مؤلفات الكتب المقدسة هذه التي تعرف بالقانونية هي فقط التي تعلمت أن أعطيها انتباهاً واحتراماً كاعتقادي الحازم بأنه ليس هناك أحد من كتابها قد أخطأ.

فعند ما ألتقي في هذه الكتب بدعوى تبدو مناقضة للحقيقة فإنني عندئذ لا أشك في أن نص (نسختي) لا يحتوي على خطأ أو أن المترجم لم يترجم النص الأصلي بشكل صحيح أو أن مقدرتي على الفهم بالضعف^(٣). ويبدو أن هذا الرجل كان يتمتع بإدراك سليم وبحاسة نقدية فاحصة ولكن لإيمانه بعقيدة «العصمة من الخطأ» أرجع الخطأ الموجود في النص المقدس إلى سبب إنساني فاستبعد أن يكون أصل الدعوى المناقضة إلهياً، لأن الله لا يمكن أن يعلم البشر بما لا يتفق والحقيقة لهذا كان على استعداد لأن يستبعد من أي نص مقدس ما كان يمكن أن يمكن أن يبدو له واجب الحذف، ولم تكن في عصره إمكانيات مقابلة نصوص التوراة بمعطيات العلم متاحة، فالتقليد كان هو السائد، والنص يقبل كما هو^(٤)، ولكن مع ذلك فرؤية القديس الرحبة هذه تبعث على شجاعة النقاد في عصره وتعتبر عامل رفع وتشجيع لنقادنا للقيام بالمقابلات والبحوث التي لم تكن ممكنة في ذلك العصر. ثم بدأ علماء اللاهوت المعاصرون يجتهدون في مراجعة المفاهيم

(١) ينظر: ترجمت تحت إشراف رئاسة مدرسة الكتاب المقدس بالمقدس.

(٢) ينظر: بوكاي، دراسة الكتاب المقدسة ص ١٧ - ١٨.

(٣) ينظر: بوكاي، دراسة الكتاب المقدسة ص ١٧ - ١٨.

(٤) ينظر: المصدر نفسه ص ٥٧ و ٦١.

الكلاسيكية للحقيقة للتوفيق بين نظرية الحقيقة في التوراة والطابع غير الصحيح لبعض الوقائع الواردة في روايات العهد القديم، أي التوفيق بين ما لا يقبل التوفيق، وذلك مثل أ. لوركنز في الكتاب: «ما هي حقيقة التوراة؟» (١٩٧٢) الذي لاحظ أن المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني (قد حذر من إعطاء أي قواعد للتمييز بين الخطأ والحقيقة في التوراة، وهناك اعتبارات أساسية تشير إلى الاستحالة هذه، حيث أن الكنيسة لا تستطيع أن تتخذ قراراً بصحة أو زيف المناهج العلمية بحيث تستطيع أن تحل مبدئياً وبشكل عام مشكلة حقيقة الكتاب المقدس)^(١). فموقف الكتاب المسيحيين من الأخطاء العلمية في نصوص التوراة هي التي جعلت الأوساط الدينية المسيحية تشعر أثناء انعقاد المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني بضيق وحرص شديدتين تجاه كتب العهد القديم، فإنه بعد المناقشات الطويلة والمجادلات الكثيرة أقرت المجتمعون بأغلبية ٢٣٤٤ صوتاً ضد ستة أصوات بأن (هذه الكتب تحتوي على شوائب وشيء من البطلان، ومع ذلك ففيها شهادة عن تعليم الهي)^(٢) وقد علق الأسقف (فيبر) على هذه الوثيقة الرسمية بقوله: (لا شك في أن بعض أسفار التوراة اليهودية تحتوي على مرمى وقتي وبها شيء كامل)^(٣)، وهكذا ظهر المجمع المسكوني المذكور تحفظاً واضحاً حول أسفار العهد القديم. وهناك بعض الأمور يمكننا أن نسميها الأسباب والدوافع التي حفزت العلماء إلى دراسة نصوص التوراة وتحليلها ومناقشتها، من ثم توجيه نقد صارخ إليها، وأخيراً الخروج بنتائج تؤكد سطحية ووهمية أمور كثيرة في التوراة كان يظن ولقرون طويلة - إنها حقائق ثابتة، موحى بها من السماء، ومن هذه الأسباب والدوافع:

١ - تصادم بعض روايات التوراة بالحقائق العلمية، فيعد التطور والتقدم اللذين حققهما العلم الحديث لاحظ العلماء والمفكرون أن بعض معطيات التوراة

(١) ينظر: المصدر نفسه ص ١٩ و ٥٨.

(٢) ينظر: بوكاي، دراسة الكتب المقدسة ص ٥٩ - ٦٠، وفي الترجمة التي نشرتها المطبعة الكاثوليكية في بيروت بلبان جاء نص العادة هكذا (وأن هذه الأسفار، وأن احتوت أموراً غير كاملة وزمنية، فأنها تطلعننا إلى طريق تربوية الهيئة حقيقية)، (ينظر: الوثائق المجمع...)، (دستور في الوحي الإلهي - الفصل الرابع ١٥ ج ٢/٣٠٨).

(٣) ينظر: بوكاي، دراسة الكتب المقدسة ص ٦٠.

تناقص نتائج المكتشفات العلمية الحديثة. وكانت أكثر متناقضات التوراة وضوحاً مع العلم والواقع تدور حول ثلاث نقاط جوهرية^(١):

أ (تاريخ خلق العالم ومراحله.

ب (تاريخ ظهور الإنسان (الأول) على الأرض.

ج (قصة الطوفان.

فمثلاً حددت التوراة (سفر التكوين) تاريخ ظهور الإنسان الأول (خلف آدم) على الأرض بحوالي ٣٧ أو ٣٨ قرناً قبل المسيح لكن علم الآثار أكتشف أعمالاً بشرية ترجع تاريخها بلا أي شك إلى ما قبل الألف العاشر قبل التاريخ المسيحي، وإيماناً من العلماء بأن هنالك اتفاقاً بين الكتب المقدسة والعلم وحقائقه، فأنهم أنكبوا على دراسة نصوص التوراة، وخرجوا بنتيجة وهي أن معطيات التوراة الخاصة بقدم الإنسان غير صحيحة^(٢) فهاجموا الكتاب المقدس باسم الجيولوجيا أو باسم نظرية التطور والنشوء^(٣).

٢ - وجود الكم المتراكم من الأخطاء والمتناقضات والأمور غير المعقولة والتناقضات والتكرارات والازدواجية في بعض القصص التوراتية^(٤) فقد وجد

(١) قارن بما في (سيل) المرشد إلى الكتاب المقدس ص ٤٨ - ٥٠. حيث هناك اعتراضات أخرى وجهت إلى سفر التكوين وقد حاول القس سيكل سيل أن يدفع هذه الاعتراضات بحجج وهمية ولكنه أخفق في ذلك، حيث ذكر أن سفر التكوين ليس كتاباً في علم الطبيعيات، وأنه من الخطاء السعي للحصول على تاريخ بدء الخليفة بجمع أعمار أبناء آدم العشرة الذين عاشوا قبل الطوفان لأنه لم يقصد به إعطاء تاريخ متسلسل، بل قصد به تعريفنا بعشرة أسماء ذات أهمية عاش أصحابها بعد آدم.

(٢) ينظر: بوكاي، دراسة الكتب المقدسة، ص ١١، ١٢، ٤٠، ٥٠ وداغر، الأصيل والدخيل ص ٢٤٥ - ٢٤٦.

(٣) ينظر: غريغوديوس (الأنبا..)، الكتاب المقدس كتاب كل العصور، مطبعة دار العالم العربي القاهرة ١٩٧٣ ص ١٣، وقد اعترف الأب يوسف داغر المخلص بأن عمر الأجداد هو من صعوبات التوراة الأشد تعقيداً، وقد وجد - حسب رأيه - الحل الأنسب لها، وذلك أنه بعد اعترافه بأن النصوص الثلاثة العبرانية والسامرية تختلف في عدد سئ عمر الأجداد. اختلافاً كبيراً يقارن بين التوراة ولوائح من بابل.

(٤) مثل قصة الخلق وقصة الطوفان فلكل حادثة واحدة منها روايتان مختلفتان ممتزجتان أو محبوبكتان معاً (المرشد ص ٧٤).

العلماء في التوراة فقرات تناقض فقرات أخرى بكل صراحة ووضوح، مما حملتهم على البحث في هذه النصوص، فتوصلوا إلى أنها ترجع إلى مصادر متباينة، وأنها عدلت وحورت عدة مرات، وألحقت بها إضافات وزيدت عليها تعليقات مختلفة بمرور الزمن ومن خلال نسخها بعضها من بعض، فجمعت بين المتناقضات التي لا تجتمع ولا تتفق والعلم، وقد أشار بعض رجال الدين - مثل الأب ديفو - إلى هذه التناقضات الكثيرة والنقاط المتناحرة والإشكاليات المتعددة بمنتهى الأمانة وروح العلمية^(١)، وذلك مثل:

الاختلاف في الأسماء التي يشار بها إلى الله ﷻ^(٢)، ومثل التناقض الموجود في سفر التكوين^(٣) حيث قرر الرب أن يكون عمر الإنسان محدوداً بمائة وعشرين سنة، وفي السفر نفسه^(٤).

نجد أن نسل نوح العشرة عاشوا من ١٤٨ سنة إلى سنة ٦٠٠^(٥)، فكشف العلماء إن التناقض يرجع إلى أن العبارة الأولى: مأخوذة من المصدر اليهودي. والثاني: من المصدر الكهنوتي، وقد نجد أن بعض مقاطع هذا النص متداخلة بشكل جلي في النص الآخر، وقد جمع المصدران أحياناً بشكل متنافر جداً، فقد قطع كل نص أصلي إلى فقرات أو عبادات قصيرة جداً - قد تصل إلى جملة واحدة - وتعاقب عناصر كل المصدر لآخر بحيث أنك تنتقل من مصدر الآخر في رواية الطرفان^(٦) مثلاً سبع عشرة مرة، ذلك خلال مائة سطر تقريباً من النص - الفرنسي -^(٧). وهكذا قد ثبت فعلاً أن سفر التكوين وحده يرجع إلى مصادر ثلاثة^(٨).

(١) ينظر: الأب ديفو مدخل إلى سفر التكوين (١٣ - ١٤) نقلًا عن بوكاي/ ص ٣٩، وفريزر (جيمس جورج...) الفلوكلور في العهد القديم، الهيئة المصرية العامة - لكتابه القاهرة/ ١٩٧٢م ١١١/١ - ١١٣.

(٢) ينظر: د. مراد كامل، الكتب التاريخية، ص ٥١، وسيل: المرشد إلى الكتاب، ص ٧٤.

(٣) ينظر: تك: ٦: ٣.

(٤) ينظر: تك: ١١: ١٠ - ٣٢.

(٥) ينظر: تك: ٦: ٧ و ٨.

(٦) ينظر: تك: ١١: ١٠ وما بعدها.

(٧) ينظر: بوكاي، دراسة الكتب المقدسة ٣١، ٤٠، ٥٢، وفريزر، الفلوكلور ١/ ٢٦ - ٢٨ و ١١١ - ١١٣.

وسيل، المرشد إلى الكتاب ص ٧٤ أمثلة أخرى في مراد كامل، الكتب التاريخية ص ٣٧ - ٣٩.

(٨) ينظر: بوكاي، دراسة الكتب المقدسة ص ٣.

٣ - المشاكل الأخلاقية، لقد وجد العلماء في الكتاب المقدس (التوراة) أخباراً باردة وأقاصيص داعرة؟^(١) وأنها تنسب الأخلاق الفاسدة والتصرفات الخيانية والمعاصي والذنوب إلى بعض الآباء والأتقياء (الأنبياء) الأقدمين، مثل: نسبة الكذب إلى إبراهيم عليه السلام طمعاً في المال، عندما ادعى أن (سارة) هي أخته وليست زوجته، ليكون له خير من فرعون بسببها^(٢). وأن لوطاً شرب الخمر فسكر وزنى بنتيه فولدت البكر منه موأب والصغيرة «بن عمي»^(٣). وأن نوح شرب الخمر وتعرى، فأبصر كنعان عوده أبية^(٤). وأن رويين أتى بزوجة أبيه وسريته (بلهه) وقد سمع أبوه يعقوب بذلك^(٥).

وأن يهوذا زنى بكنته ثامار فولدت منه توأمين وهما فارض وزارح^(٦)، وأن يعقوب صارع مع الله طوال ليلة كاملة وقوى عليه^(٧)!! وأن يعقوب كذب وغش وخدع آباء إسحاق؟ وسلب أخاه عيسو منه حقه (البكورية)^(٨). فنال خلصة بركة يعقوب التي كانت من حق أخيه الكبير عيسو^(٩). وأن يعقوب عليه السلام تغاضى عن أضام زوجته راحيل التي سرقته من بيت أبيها^(١٠) وأن هارون هو الذي صنع العجل الذهبي ليكون إلهاً لبني إسرائيل، ودعاهم إلى عبادته^(١١). وغير ذلك فقد نظر العلماء النقاد في هذه الأمور وأشباهها واستبعدوا إتيان هؤلاء الأنبياء والصالحين لهذه الأعمال السيئة والأفعال القبيحة واقترافهم هذه الآثام والخطايا التي ننكرها نحن اليوم - ونفر منها ونستهجنها ونصغر فاعليها. فكيف بهم وهم الصفة المختارة؟ بالتالي استحالوا أن يكون مصدرها إلهياً لأنها تستبعد العقول بل تمنع

(١) ينظر: غوستاف لوبون: اليهود في التاريخ الحضارات الأولى ص ٢٢.

(٢) ينظر: تك ١٣: ١٢ و ١٩. والتوراة تذكر أنها كانت أخته من أبيه وليست من أمه ثم صادرت زوجة له تك: ٢٠: ١٢.

(٣) ينظر: تك ٣٠ - ٣٨.

(٤) ينظر: تك ٣٥: ٢٢.

(٥) ينظر: تك ٣٨: /.

(٦) ينظر: تك ٢٢: ٢٩ - ٣٢.

(٧) ينظر: تك ٩: ٢١ - ٢٢.

(٨) ينظر: تك ٣١: ١٩ و ٣٢ و ٣٥: ٢ و ٤ وقد أجيب: بأن يعقوب لم يعلم بأمرها.

(٩) ينظر: خر ٣٢: ٢ - ٦.

من وقوعها، ولم يقتنعوا بالتبريرات التي أعطيت لهذه الأعمال من مثل قولهم: إن نمو الإنسان الروحي والأخلاقي كان بطيئاً، وأن الإنسان ضعيف أو أن المحيط الذي عاش فيه هؤلاء الآباء كان وثنياً...^(١) وما إلى ذلك.

٤ - تطور التخصصات العلمية العميقة والدراسات المتفحصة الجادة المبنية على المناهج العلمية الحديثة ووجود العقول المفكرة الشجاعة. وذلك مثل «فريزر» الذي استطاع من خلال القراءة المتفحصة للتوراة ومن خلال تخصصه العميق في علم الأنثروبولوجيا أن يحصر ما في التوراة من تقاليد وعادات وتصورات بدائية وأن يقوم بتحليلها وفحصها واستبيان كنهها عن طريق المنهج الأنثروبولوجي^(٢) المقارن والوصول أخيراً إلى إبراز ما في التوراة من بقايا معتقدات وديانات قديمة ألحقت بالدين السماوي تشويهاً كبيراً فمثلاً توصل إلى أن كتاب سفر التكوين قد خلطوا بين قصة الخلق الأصلية وبين المعتقدات والتصورات البدائية وكانت النتيجة أن نسبت إلى الرب صفات لا تليق بوحدايته وألوهيته وجلالته^(٣) ومن هنا نقد التوراة نقداً صارخاً.

٥ - تعدد أساليب الإنشاء في التوراة، والفرق البين في اللغة والأسلوب والفكر بين أجزاء مختلفة من هذه الأسفار، وعدم تجانس مفردات بعضها مع بعض الآخر، وتوفر مظاهر الزيادات والنواقص الغزيرة في نصوص الأسفار المكررة لبعض التشريعات، فهي تدل صراحة على تعدد الأيدي التي عملت فيها، وتفرض وجود مصادر مختلفة فضلاً عن خلو سفر التكوين الذي نسب إلى موسى ﷺ، حتى من عبادة واحدة تشير إلى علاقته أو تدوينه إياه، كما تزخر الأسفار الأربعة الأخرى بعبارات توحى بأنها لم تكتب من قبل موسى ﷺ، خلافاً لما زعمته المصادر اليهودية. فقد وجد النقاد أن في التوراة (الأسفار الخمسة) فقرات تدل

(١) ينظر: سيل، المرشد إلى الكتاب ص ٥١ - ٥٣ وابن كونه، تنقيح الأبحاث ص ٥٣ وما بعدها وإبراهيم خليل أحمد، إسرائيل فتنة الأجيال مكتبة الوعي العربي القاهري ١٩٦٩ ص ٢٤٠ وما بعدها وأيضاً: البلاغي الهدني ٦٦/١.

(٢) المنهج الأنثروبولوجي: هو علم الإنسان يدرس نواحي النوع الإنساني وكل الظواهر من حيث تعلقها بالإنسان. وللمزيد من المعلومات: ينظر: الموسوعة العربية الميسرة/ ص ٢٣٥.

(٣) ينظر: فريزر: الفولكلور في العهد القديم، وترجمة د. نبيلة إبراهيم (مقدمة المترجمة) ١/ ٥ - ٦.

على خطأ نسبة هذه الأسفار إلى موسى عليه السلام، فأدركوا من ذلك إنها ليست من تأليفه وإنما نسبت إليه لتتخذ منه القدسية والمكانة والقوة ومن هذه الفقرات:

(أ) تك ٣٦: ٣١ التي تدل على أنها كتبت في عهد ملك بني إسرائيل أو بعده وهو متأخر عن موسى عليه السلام بعشرات السنين.

(ب) تك ١: ١ التي فيها عبادة (عبر الأردن) والتي لا تصدر إلا عن كاتب كان في كنعان فعلاً^(١). كل هذا أمتنع العلماء والناقدون بأن نسبة التوراة الحالية لأشخاص معينين أو عهود محددة مجرد زعم مزيف ودعوى باطلة لا تمت إلى الحقيقية بصلة^(٢)، وذلك لتوافر الأدلة على أن الأسفار الخمسة ليست في الأصل من يد كاتب واحد^(٣).

٦ - كون الأسفار الخمسة (التوراة) القاعدة الأساسية للعهد القديم والدين اليهودي بأسره، فإنه تفسير تاريخ سياسي وديني يعتمد كله إلى تاريخ تأليف التوراة وتحديد مصادرها والقيمة التي تعلقها عليها، أذن فلا عجب إذا كانت التوراة موضوع جدل ونقاش، ...

فصعوبة قبول هذا الترتيب في التأليف (أي وضع التوراة في أول العهد القديم) أدت قرب نهاية القرن الثامن عشر إلى فحص نقدي شامل للموضوع^(٤).

٧ - الصراع الموهوم الذي ظهر بين العلم والدين في أوروبا، فقد أجمع المؤرخون على أن العلماء الكونيين لقوا من رجال الدين في أوروبا (طوال عهود القرون الوسطى) ما يلقاه الخصوم من الخصوم. حيث أسست محاكم خاصة لمحاكمة رجال العلم وأقطاب الفكر على آرائهم وأفكارهم التي يراها رجال الدين مخالفاً لعقيدة الكنيسة ونهجها وطبيعتها، وكان على العالم المخالف أن يتوب وإلا ألقى به حياً في النار أو رمي به من مكان عال إلى مكان سحيق فيهلك، وبهذه الطريقة لقي كثير من رجال الفكر والتجديد والعبرية مصرعهم، وأدى هذا الصراع بالمفكرين إلى دراسة

(١) ينظر: أحمد شلبي، اليهودية ص ٢٣٠.

(٢) ينظر: ناجي، المفسدون ص ١٧ وسيل، المرشد إلى كتاب ص ٧٤.

(٣) ينظر: سيل، المرشد إلى كتاب ص ٧٤ وكيف وصلنا العهد القديم ص ٤٢.

(٤) ينظر: مراد كامل، الكتاب التاريخية في العهد القديم ص ٥١.

الكتب الدينية المقدسة وبالتالي نقدها وبيان ما فيها من زيف^(١).

٨ - ظهور الجماعات والحركات المناوئة للأديان، كالعلمانية التي هي مذهب أوربي مناهض للدين ويعتبر الأديان كلها أساطير^(٢). كالماسونية^(٣). التي لا تعترف بالأديان وتعد إلى أزالتها وإبادة المتدينين من الوجود، وتحررهم من أواصر الدين وإقامة الحكومة التي لا تعرف الله. وما آلت جهداً في القضاء على مظاهر الدين، وهذا هو غايتها الأساسية والحقيقية^(٤)، فكانت لهذه الاتجاهات وأمثالها أثرها البين في ضعف الوازع الديني لدى الناس وبالتالي تشجيعهم على تحليل نصوص الكتب المقدسة ونقدها وفرز ما فيها من أخطاء علمية وتاريخية... وقد شعر ناشرو التوراة أيضاً بالأمر فإنهم كانوا - قبل العصر الحديث - يقدمون للقراء - في مقدمات توضيحية للتوراة - جداول وقوائم بتواريخ الأحداث التي وقعت منذ خلق العالم وحتى عصر النشر بالاعتماد على التوراة، والتواريخ كانت تختلف قليلاً بحسب العصور ومن نسخة إلى أخرى، مثل ما فعلوا في نسخة (فولكات كليمنتين) (Vulgate clementine) سنة ١٦٢١ م وتوراة (والتون = walton) متعددة اللغات سنة ١٦٥٧ م وفي العصر الحديث حذف الناشرون هذه القوائم

(١) ينظر: طيارة، روح الدين الإسلامي ص ٢٥٩ - ٢٦٠. وخالد محمد علي الحاج، الكشاف الفريد ٢٩٨/٢ - ٢٩٩. وأنظر كذلك، محمد عبده، الإسلام والنصرانية مع العلم المدنية محمد علي صبح - القاهرة - ١٩٥٤.

(٢) العلمانية: اصطلاح يقصد به ما ليس دينياً أو كهنوياً، ولعله من لفظ العالم، ينظر: أصولها إلى ردود الفعل الثورة مارتن لوثر في السنة ١٥٢٠ م على البابا وانتقاده الشديد له لبيعه صكوك الغفران للعصاة والخاطئين من المسيحيين مقابل مال كثير، فيضمن لهم دخول الجنة للمزيد: ينظر: خالد محمد علي الحاج، الكاشف الفريد ١/٧٢٧ وما بعدها.

(٣) الماسونية: جمعية سياسية وجدت في أوروبا لإزالة المستبدين من رؤساء الدين كالباباوات والملوك وكانت سرية والمؤسسون لها كانوا من اليهود والنصارى هم زعمائها وهي من أصلها وأساس تنظيمها يهودية الجذور وصهيونية النشاط وفي أهدافها السرية ضد الأديان جميعها، ينظر: السقا (محمد صفوت ...) وأبو جيب (أمين سعدي ...) الماسونية منشورات رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة ١٩٨٠ م ص ١٨٠ - ١٨٤، ينظر أيضاً: أبي صادق، الماسونية بلا قناع، دار البصري بغداد ١٩٦٧ ص ٢٦٤ وعبد الحليم إلياس الخوري، الماسونية ذلك العالم المجهول. دار العلم للملايين بيروت ص ٢٢ وص ١١٢.

(٤) ينظر: خالد محمد علي الحاج، الكشاف الفريد في معاول الهدم ونقائض التوحيد ١/٣٤٥ - ٣٨٣.

والتقديرات الوهمية لتعارضها مع المكتشفات العلمية المعطيات الحديثة التي حددت تاريخ خلق الإنسان الأول (آدم) بعصر سابق بكثير من الذي حدده الكهنة اليهود في القرن السادس قبل الميلاد في التوراة بسبعة أو ثمانية و ثلاثين قرناً قبل المسيح فعرفوا أنه تقرير خاطئ بلا أي جدل^(١). فلهذه الأسباب وغيرها أتفق أكثر العلماء المعاصرين على أن التوراة كتبت بعد عدة قرون من عهد موسى ﷺ^(٢). وبذلك نسفوا الثقة العمياء التي أعطوها لهذا الكتاب طويلاً^(٣). ويرى علماء المسلمين أن التوراة هي ما أنزله الله تعالى على موسى ﷺ ليلبغه قومه كي يهتدوا، وأنهم لم يحفظوا جميع ما بلغوا به بدليل قوله تعالى: ﴿وَسُوا حَظًا مَمَّا ذُكُرُوا بِهِ﴾^(٤). حيث تناولوا التوراة بالنقد، وشككوا في نسبتها إلى موسى ﷺ فلعل العالم الجليل ابن حزم الأندلسي، هو من أهم العلماء المسلمين الذين تناولوا هذا الموضوع بمزيد من البحث والدراسة. إذا كان له السبق والريادة في دراسة الأسفار المقدسة، دراسة نقدية تحليلية وافيه، د. محمد الشرقاوي إن دراسات ابن حزم، النقدية المبكرة قد استوجبت تقدير العلماء في الشرق والغرب وقد لخص ابن حزم آراءه النقدية بشكل كامل ووافٍ في كتابه الشهير: «الفصل في الملل والأهواء والنحل».

وفيه أثبت تحريف التوراة من عدة وجوه، هذه أهمها^(٥):

إحداها: ادعاء كل من اليهود والسامرية - وهي إحدى فرقهم - أن بأيديهم التوراة الصحيحة.

ثانيها: ما ذكر في التوراة من إساءات بالغة ومنكره في حق المولى عز وجل، من تشبيه وتجسيم، مما لا يليق بمقام الألوهية.

ثالثها: ما ورد في نصوص التوراة من معلومات خاطئة وتناقضات كثيرة.

رابعها: ما احتوته التوراة، من تشويه لأنبياء الله، من اتهامهم بفعل الفواحش

(١) ينظر: بوكاي، دراسة الكتب المقدسة. ص ٥٠-٥١. (٢) ينظر: ناجي، المفسدون في الأرض. ص ١٤.

(٣) المصدر نفسه ص ١٥. (٤) سورة المائدة. الآية ١٣.

(٥) لمزيد من تفصيل ابن حزم لهذا الموضوع، يراجع: الفصل الملل والأهواء والنحل: ابن حزم الأندلسي (ت ٤٥٦ هـ) القاهرة، مكتبة ومطبعة محمد علي صبح ج ١، ص ٩٢-١١٤ وما بعدها.

والكفر، وغيرها من الموبقات، كل ذلك دفع الباحثين والعلماء قديماً وحديثاً، مسلمين وغيرهم - للتوقف والتساؤل عما إذا كانت التوراة - بنصها الحالي كتاباً مقدساً ووحياً من عند الله؟! ومن المعروف، أنه لكي يكون الكتاب - أي كتاب - مقدساً، لا بدله من شروط مهمة وهي:

- ١ - أهم هذه الشروط: أن يكون هذا الكتاب من عند الله سبحانه وتعالى.
- ٢ - أن يحتوي هذا الكتاب ما يتناسب مع جلال الله وعظمته، وقديسيته.
- ٣ - أن يكون كاتب هذا الكتاب أحد الأنبياء المعروفين، أن يقدم الدليل القاطع على ذلك.
- ٤ - أن يصل إلينا - هذا الكتاب - عن طريق السند المتصل، الموثوق به^(١). ولا بد من التوجه إليه بالفحص والتدقيق، وتسليط ضوء النقد عليه، وإخضاعه بشكل دقيق لوسائل العلم وأدواته الفاحصة. إن الحديث عن عدم صحة التوراة، وما يثار حولها من شكوك تظل زمن تدوينها، كتابها، وقيام هؤلاء الكتاب بالتحريف والتزوير والاختلاف، وذلك لكي تتناغم والشخصية اليهودية المريضة، وتتوافق ومخططات اليهود ضد الإنسان والحق والعدل على الأرض. ويرى رحمة الله بن خليل الهندي، أنها مجموعة من الروايات والقصص المشتهرة بين اليهود، وقام أحبارهم بجمعها وتدوينها، دون أي نقد لهذه الروايات^(٢).



(١) ينظر: يردان بدران، التوراة... العقل... العلم والتاريخ، (دمشق) ص ٣١.

(٢) ينظر: رحمة الله بن خليل الرحمن الهندي/ إظهار الحق/ ١٠/ ١.

المبحث الرابع بنو إسرائيل والتوراة

يسمى اليهود أنفسهم شعب التوراة، ولهذا يقرر باحثوهم أن أي شخص يفشل في دراسته للتوراة أو في التدريب على آدابها، يجب أن يدفع عن هذا الفشل احتقاراً وازدراء ينصب عليه من كل بني إسرائيل وعلى العكس من ذلك أولئك الذين برهنوا على مقدرتهم على استيعابها والانتفاع بأدبها ودراستها، فهؤلاء يكافؤون بشرف التقدير والاحترام من المجتمع الإسرائيلي كله، إن الإحاطة بالتوراة هي الجوهرة التي لا تقدر بثمن وهي ثروة بني إسرائيل وإذا فرض أن بني إسرائيل سلبت أموالهم وأمتعتهم وكل مصادر ثرائهم وبقت لهم التوراة ما بقيت لهم، وفي سبيل المحافظة على التوراة ورعايتها يرخص كل غالٍ ويهون كل صعب وإله إسرائيل سيكون خير عون لشعبه إذا ما حافظوا على كتابه المقدس، وكل جهد يبذل من أجل التوراة ويكون نصيبه الفشل، فإن باذله لا بد أن يكون متأكداً من حسن الثواب من الله، ومع هذا فخدمة التوراة ينبغي ألا تقدم نظير جزاء، بل ينبغي أن تكون متعة في نفسها وأن يترك الجزاء يجيء من نفسه من يهوه ومن شعب يهوه. ذلك هو إحساس اليهود تجاه التوراة وذلك هو ما يدور بخلداهم عن كتابهم المقدس^(١).

ويقتبس (آرثر هرگز بيرك) اقتباسات من الريائين عن قيمة التوراة نورد هنا بعضها، لنظهر إلى أي مدى كانت أهمية التوراة عند بني إسرائيل (آرثر هرگز بيرك) إن التوراة تضمن لدارسها بها أسمى مكانه في المجتمع الإسرائيلي، فإن التوراة عند بني إسرائيل كانت وجوداً ثانياً، وكانت دولة شامخة وروحانية رفيعة، تضاف أو تعني عن دولتهم الدنيوية، فقد أصبحت التوراة خلال مدة النفي مركزاً التف حوله بنو إسرائيل، وتبعوا إرشاداته في السر والعلانية، وإن المثل يقول:

(١) ينظر: مقارنة الأديان/ اليهودية/ د. أحمد شلبي/ ص ٢٤١.

«إسرائيل والتوراة شيء واحد» ليس مجرد مثل سائر، ولا يستطيع غير بني إسرائيل، أن يدركوا كنهه، فمعنى التوراة في أهميته الوطنية لا يفهم لغير بني إسرائيل ومحتويات التوراة ليست فقط ديناً أو عقيدة أو أخلاقاً أو تشريعاً أو علماً بل ليست كل هذه مجتمعة، إنها شيء أكثر جداً من كل هذا عند بني إسرائيل، إنها حياتهم ودينامهم في الماضي والحاضر والمستقبل، والتوراة - في الفكر الإسرائيلي - الوسيلة والأداة التي خلق بها العالم، فيها ولأجلها خلق الإله الدنيا، ولذلك فهي أقدم من هذا العالم، إنها أسمى فكرة وأنها الروح الحية للدنيا كلها، وبدونها ليس للدنيا بقاء، ودراسة التوراة أهم عند بني إسرائيل من بناء معبد والإمام بها يضع صاحبه في مكانة أسمى من الكهنة ومن الملوك، ودارسها يضمن لنفسه النجاح، وبها يسمو الإنسان على كل البشر، ولو اشتغل بها فإنه يصبح في مكانة أسمى من مكانة الكاهن، والفاسق الأثيم إذا حفظها يأخذ مكانه أسمى من رجل الدين الذي يجهلها^(١) واحتوت أسفار العهد القديم (التوراة) وعوداً مختلفة عند بني إسرائيل بتخليقهم فلسطين.

(أرض - الميعاد)، فجاءت الأخبار والقصص والشرائع في (العهد القديم) تدور حول هو (الأرض)، وتؤكد بإقامة (دولة يهودية) في فلسطين إنما هو تحقيق لنبؤات الكتاب المقدس وتعبير حي عن إرادة إلهية وردت على لسان أنبياء بني إسرائيل ورسلمهم^(٢) وقد تمسكت الصهيونية بهذه الوعود واتخذت منها أساساً وحججاً لتنفيذ خططها التوسعية في المنطقة العربية معتمدة بذلك على مساعدة الدول الاستعمارية التي جعلت من الصهيونية من أهم قواعدها في المنطقة كي تستطيع النفوذ من خلالها للسيطرة على الموارد الاقتصادية وموارد الطاقة التي

(١) Judaism: Arthur Herzeberg P.P ٧٢ - ٧٣.

(٢) ينظر: د. مراد كامل، إسرائيل في التوراة والإنجيل - معهد الدراسات العربية العالمية، (ط ٢) دار المعرفة - القاهرة ١٩٦٧، ص ٦٣ - ٦٤، وينظر: د. جورج كنعان: وثيقة صهيونية في العهد القديم ص ٢٧ - ٢٨، وينظر: الفريد جيوم: الصهيونية في الكتاب المقدس: من كتاب إسرائيل في الكتاب المقدس لمجموعة من علماء اللاهوت، ترجمة حسني خشبة - معهد البحوث والدراسات العربية - قسم البحوث والدراسات الفلسطينية القاهرة ١٩٧٢ ص ٢٧ وما بعدها.

تزخر بها المنطقة العربية^(١).

واشتمل العهد القديم على كثير من الوعود والعهود الإلهية التي منحها الله نوحاً عليه السلام وأبناءه من بعده، وتورد التوراة هذه العهود بصورة مستمرة ومتكررة فتمنح بعض الأبناء حقاً دائماً لا ينقص وتحرم آخرين من هذا الحق بدون ذكر سبب أو علة لهذا المنح أو الحرمان^(٢) بدأت عهود التوراة مع نوح عليه السلام ونسله حيث ذكرت أن الرب قد أبرم معه عهوداً متعاقبة شملت أيضاً بنيه ونسله، ولكنها جنحت إلى تخصيص العام وتقييد المطلق، وبدأت تميل إلى إخراج بعض أبناء نوح من الشمول في تلك العهود، وتحاول إخراجهم منها تحت أعذار عديدة كي تبعدهم من الاستفادة مما أصحاب إخوانهم، فتذرعت بغضب الرب، أو لعنته لبعض أبناء نوح، أو غير ذلك مما أفقدهم نصيبهم من تلك العهود تروي التوراة أن الله أقام عهداً مع نوح عليه السلام ونسله: «ولكن أقيم عهدي معك، فتدخل الفلك أنت وبنوك وامراتك ونساء بنيك معك، ومن كل ذي جسد اثنين من كل تدخل إلى الفلك لاستيفائها معك ذكراً وأنثى^(٣) لقد اعترفت التوراة أن العهد مع نوح ونسله كان عاماً ومطلقاً: وكلم الله نوحاً وبنيه قائلاً: «ها أنا مقيم ميثاقي معكم ومع نسلكم من بعدكم ومع كل ذوات الأنفس الحية التي معكم... وضعت قوسي في السحاب فتكون علاقة ميثاق بيني وبين الأرض...»^(٤).

وناقضت التوراة نفسها حينما أخرجت حاماً من بين أخويه سام ويافت وجعلته الابن الملعون بعد أن ألحقت به الفعل القبيح في عين أبيه فاستحق كما تذكر التوراة لعنة أبيه الذي دعا له أن يكون عبداً لإخوته^(٥)، وحام بن نوح عليه السلام هو أبو كنعان الذي ينتسب إليه أصحاب أرض فلسطين (الكنعانيون) الذين اعتبرهم كتاب التوراة أبناء لابن الملعون، بينما هم قد أوصلوا نسبهم إلى سام بن نوح عليه السلام ليرتبط نسبهم بشخصية لها قدسيته أي (إبراهيم) عليه السلام على عكس حام، وبذلك

(١) ينظر: د. مراد كامل، إسرائيل في التوراة والإنجيل، ص ٢٤، ٦٣، ٦٤.

(٢) ينظر: د. جورج كنعان، وثيقة الصهيونية في العهد القديم ص ٢٧ - ٢٨.

(٣) ينظر: تك: ٦: ١٨ - ١٩.

(٤) ينظر: تك: ٩: ٨ - ١٧.

(٥) ينظر: تك: ٩: ١٨ - ٢٧.

أرادوا أن يجعلوا أصلهم كريماً مختاراً بين شعوب الأرض تتدفق عليه البركات بينما العبودية واللعنة من نصيب الشعب والأمم الأخرى، وبهذا كانت تلك اللعنة وصمة عار يلقونها اليهود في وجه الذين يريدون إقصاءه وأبعاده من أية صلة بأرض فلسطين وكانت هذه اللعنة الأولى في التاريخ البشري التي جعلها اليهود مقياساً لهم للتمييز عن الشعوب والأمم^(١)، وإبرام، أو إبراهيم كما تسميه التوراة^(٢)، (هو من أجمع اليهود على اعتباره الأب الأكبر لعشائرتهم جمعاً)^(٣) وهو الحفيد التاسع من سلسلة أبناء سام^(٤).

وقد ولد في مدينة أور الكلدانية التي تقع في أقصى الجنوب وهي اليوم قرب مدينة الناصرية جنوب العراق وتروي التوراة ولد بعد مرور (٣٥٠) عاماً على طوفان نوح عليه السلام، وعلى ذلك أن يكون ميلاده في العام (١٩٩٦) ق.م^(٥)، وللتوراة في إحدى رواياتها أن إبراهيم أرتحل من (حاران) بعد موت أبيه الذي نسميه (تارح) متوجهاً بأمر الرب إلى (أرض كنعان)، وكان بصحبته زوجته ساراي (سارة) وابن أخيه (لوط) وما يمتلكون وكان عمره آنذاك (خمسة وسبعين) عاماً على ما ترويهِ التوراة^(٦) (وقال الرب لإبرام اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التي أريك فأجعلك أمة عظيمة وأباركك وأعظم أسمك وتكون بركة)^(٧).



(١) ينظر: د. جورجي كنعان، وثيقة الصهيونية في العهد القديم ص ٢٧ - ٢٨.

(٢) ينظر: تك: ١١: ٢٧، وتك: ١٧: ٥، ٦.

(٣) ينظر: محمود نعناع: المشكلة اليهودية، وهل تحلها إسرائيل، الجزء الأول، المكتبة الأنجلو - مصرية، القاهرة ١٩٧٢، ص ٧٠.

(٤) ينظر: د. جورجي كنعان، وثيقة الصهيونية في العهد القديم ص ٢٩، ونسب إبراهيم كما وردته التوراة هو إبراهيم بن كارج بن ناحور بن سروج بن رعو بن فالج بن عابر بن شالح بن أزمك شاد بن سام: ١١، ١٠ - ٢٦.

(٥) ينظر: محمود نعناع: المشكلة اليهودية وهل تحلها إسرائيل؟ ص ٧٠، والذي يشير إلى أن مدينة أور كانت مركزاً كبيراً لعبادة القمر حيث كان يعبد أبو إبراهيم وبنوه، أكدت ذلك المكتشفات الأثرية في كل من (تل الحريري) و(توزي) والتي أفادت بأن قصة تمثل حياة القرنين الثامن عشر والسابع عشر ق.م.

(٦) ينظر: تك: ١٢: ١ - ٣.

(٧) المصدر نفسه/ ص ٧١.

الفرع الأول: إبراهيم والوعد:

جاء أول وعد صريح بإعطاء فلسطين (أرض - كنعان) لنسل إبراهيم ﷺ حينما كان في شكيم (نابلس حالياً)^(١) كما جاء في سفر التكوين (وأجتاز إبراهيم في الأرض إلى مكان شكيم إلى بلوطة مودة، وكان الكنعانيون حينئذ في الأرض، وظهر الرب لإبرام وقال:

لنسلك أعطي هذه الأرض، فبنى هناك مذبحاً للرب الذي ظهر له، ثم نقل من هناك إلى الجبل الشرقي بيت أيل ونصب خيمته، وله بيت أيل من المغرب وعاي من المشرق فبنى هناك مذبحاً للرب ودعا باسم الرب، ثم ارتحل إبراهيم ارتحالاً متوالياً نحو الجنوب^(٢).

ثم تكرر وعد الرب لإبراهيم ﷺ ثانية بعد خروجه من مصر وانفصال لوط ﷺ عنه.

فقد ذكرت التوراة: وقال الرب لإبرام: بعد اعتزال لوط ﷺ عنه. أرفع عينيك وأنظر من الموضع الذي أنت فيه شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً. لأن جميع الأرض التي أنت ترى لك أعطيها ولنسلك إلى الأبد. وأجعل نسلك كتراب الأرض حتى إذا استطاع أحد أن يعد تراب الأرض فنسلك أيضاً يعد.

قم أمش في الأرض طولها وعرضها لأنني لك أعطيها)^(٣)، وتشير التوراة أن الرب قد أكد وعده لإبرام حين تكلم معه في أرض كنعان (وقال له أنا الرب الذي أخرجك من أور والكلدانيين ليعطيك هذه الأرض لترثها)^(٤).

تدرجت التوراة في إبراز الوعد الإلهي لإبراهيم ﷺ، فأخذت مراحلها تتضح شيئاً فشيئاً فأصبحت تشير إلى وعود الرب بالعهد أو المواثيق، فتحدت معالمه

(١) ينظر: د. مراد كامل: إسرائيل في التوراة والإنجيل، ص ٢٤، وينظر: الفريد جيوم: الصهيونية في الكتاب المقدس: في الكتاب المقدس: من كتاب إسرائيل في الكتاب المقدس. ترجمة حسني

حبشه ص ٢٨

(٣) تك ١٣: ١٤ - ١٧.

(٢) تك ١٢: ٦ - ٩.

(٤) تك ١٥: /

واتضحت حدوده حيث جاء فيها (في ذلك اليوم قطع الرب مع إبرام ميثاقاً قائلاً: لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى نهر الكبير نهر الفرات، (القينيين، والقنزميين، والقدمونيين، والحِيثين، والفرزيين، والرفائيين، والأموريين، والكنعانيين، والجرجاشيين، واليبوسيين)^(١).

ويلاحظ أن العهد قد بدأ أكثر وضوحاً وحمل إشارة صريحة وواضحة لتحديد الأرض الموعودة وأصبح كالميثاق قوة، ولو أن الوعد لم يزل لغاية تلك الفترة وعداً غيبياً لانعدام وجود أحد الطرفين المتعاهدين وهو (نسل إبراهيم ﷺ) الذي لم ير النور بعد؟^(٢)، وحينما عقد إبراهيم ﷺ عهداً مع الرب باختتانه، وعده الرب بجميع أرض كنعان (ملكاً أبدياً) له ونسله من بعده (وأقيم عهدي بيني وبينك وبين نسلك من بعدك في أجيالهم أبدياً. لأكون إلهاً لك ولنسلك من بعدك، وأعطي لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك كل أرض كنعان ملكاً أبدياً وأكون إلههم)^(٣)، وقد جعل الرب ختان الذكور من نسل إبراهيم هو علامة العهد بينه وبينهم كما تروي التوراة^(٤).

تعاقبت الوعود الإلهية وتتابع كما تصورها التوراة، فقد أكد الرب وعده لإبراهيم ﷺ بسبب فداء إسحاق فقد جاء فيها (أباركك مباركة وأكثر نسلك كثيراً كنجوم السماء وكالرمل الذي على شاطئ البحر، ويرث نسلك باب أعدائه ويتبارك في نسلك جميع أمم الأرض من أجل أنك سمعت قولِي)^(٥).

الفرع الثاني: تحويل الوعد ليعقوب:

أوردت التوراة نصوصاً كثيرة تشير إلى تحويل الوعد ليعقوب حيث إن الوعود والعهود المقطوعة لإبراهيم ونسله وجعلها قاصرة على شمول إسحاق فقط

(١) تك ١٥: ١٨ - ٢٠.

(٢) ينظر: د. مراد كامل: إسرائيل في التوراة والإنجيل، ص ٢٥، ومحمود نعانة: المشكلة اليهودية وهل تحلها إسرائيل؟ ٨٦/١.

(٣) تك ١٧: ٧ - ٨. وما بعدها.

(٤) عن التزام اليهود بعاده الختان يقول الحاخام (هرتس): (أن ولاء بني إسرائيل للاختتان كنظام حيوي وأساسي في الدين اليهودي واحتفاظهم به وتمسكهم به لا يعرف.

(٥) تك: ٢٢: ١٧ - ١٨.

دون إسماعيل عليه السلام أو غيره، فحاولت تلك النصوص تخصيص الحكم العام الذي يميز ما قطع لإبراهيم من عهود إلهية.

فذكرت التوراة أن الله تجلى لإبراهيم عليه السلام وأمره بالاختتان كسنة مستمرة له ولنسله وعلامة عهد بينه وبينهم فقال الرب لإبراهيم عليه السلام (... بل سارة امرأتك تلد لك ابناً وتدعو اسمه إسحاق وأقيم عهدي معه عهداً أبدياً لنسله من بعده، وأما إسماعيل فقد سمحت لك فيه. ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيراً جداً أثني عشر رئيساً وأجعله أمة كبيرة، ولكن عهدي أقيمه مع إسحاق الذي تلده لك سارة في هذا الوقت من السنة الآتية)^(١).

ويستفاد من هذه النصوص أن إسحاق بن إبراهيم من زوجته سارة قد أختص بالعهد دون إسماعيل الابن البكر لإبراهيم عليه السلام من زوجته «هاجر»، وتروي التوراة في عدة مواضع من أسفارها أن الله قد أكد اختصاص إسحاق بوعوده دون غيره حيث أن الرب ظهر لإسحاق عند ارتحاله إلى أبي مالك ملك الفلسطينيين في جرار عند اشتداد الجوع والقحط أرض كنعان (وظهر الرب وقال لا تنزل إلى مصر أسكن في الأرض التي أقول لك، تغرب في الأرض فأكون معك وأبارك لك ولنسلك أعطي جميع هذه البلاد وأني بالقسم الذي أقسمته لإبراهيم عليه السلام أبيك، وأكثر نسلك كنجوم السماء، وأعطي نسلك جميع هذه البلاد، وتبارك في نسلك جميع أمم الأرض. من أجل أن إبراهيم عليه السلام سمع قولي وحفظ لي أو أمري وفرائضي وشرائعي. فأقام إسحاق في جرار)^(٢).

أكد الرب وعده لإسحاق عندما ظهر له مره أخرى حين ارتحاله من جرار إلى بئر السبع حيث أقام فيها كما تروي التوراة^(٣).

الوعد ليعقوب عليه السلام:

هيأت التوراة المناخ النفسي الملائم لتحويل الوعد إلى يعقوب عليه السلام دون غيره من أبناء إسحاق فذكرت أن الله تجلى لرفقة زوجة إسحاق عند تزاحم التوأمين

(٢) تك: ٢٦: ٢-٦.

(١) تك: ١٧: ١٩-٢١.

(٣) تك: ٢٦: ٢٤-٢٥.

في بطنها (فقال لها الرب في بطنك أمتان، ومن أحشائك يفترق شعبان، شعب يقوي على شعب كبير يستعبد صغيراً)^(١).

وأنجبت رفقة ولدين سمي الأول (عيسى) وقد حكم عليه (يهوه) أن يكون عبداً لأخيه مستعبداً له وسمي الثاني (يعقوب) الذي جعلته التوراة المتمتع الوحيد الوصيد بالوعد الإلهي واختصته وذريته بمكاسب هذا الوعد دون غيره من أخوته، حيث سلكت التوراة في تحويل العهد إليه الحيلة والمخادعة كي، يحصل على مباركة أبيه وتمليكه أرض كنعان^(٢).

فبارك إسحاق يعقوبَ بعد أن سلك الأخير أشنع الطرق في الغش والاحتيال والمخادعة، فكانت مباركة إسحاق له قد تحققت (فليعطك الله من ندى السماء، ومن دسم الأرض، وكثمرة حنطه وخمر ليستعبد لك شعوب وتسجد قبائل، وكن سيداً لأخوتك وليسجد لك بنو أمك، وليكن لاعنوك ملعونين ومباركوك مباركين)^(٣).

أما نصيب «عيسو» من الوعد فكانت دعوة إسحاق التالية «... بلا دسم الأرض يكون مسكنك وبلا ندى السماء من فوق، وبسيفك تعيش، ولأخيك تستعبد، ولكن يكون حينما تجمع أنك تكسر نيره من عنقك»^(٤)، كذلك أكد إسحاق مباركة يعقوب عند ارتحال يعقوب إلى فدان أدام ليتزوج من بنات خاله (لا بان)، (والله القدير يبارك ويجعلك مثمراً ويكثر فتكون جهوداً من الشعوب ويعطيك بركة إبراهيم لك ولنسلك معك. لترث أرض غربتك التي أعطها الله لإبراهيم)^(٥).

وتابعت التوراة اهتمامها وتركيزها على محور الأرض واختصاص يعقوب بملك رقيتها بما أوردت من عهود متكررة قطعت له حيث ظهر له الرب عند خروجه من بئر السبع إلى حاران ومنحه الأرض بقوله: (... الأرض التي أنت مضطجع عليها أعطيها لك ولنسلك، ويكون نسلك كتراب وتمتد غرباً وشرقاً وشمالاً وجنوباً، ويتبارك فيك وفي نسلك جميع قبائل الأرض)^(٦).

(٢) تك: ٢٥: ٢٩ - ٣٣، وتك ١ - ٢٧.

(١) تك: ٢٥: ٢٣.

(٤) تك: ٢٧: ٣٩ - ٤٠.

(٣) تك: ٢٧: ٢٨ - ٢٩.

(٦) تك: ٢٨: ١٣ - ١٤.

(٥) تك: ٢٨: ٣ - ٤.

وأكدت التوراة المواعيد ليعقوب بعد زواجه بنتي خاله (لا بان) في منطقة قدان آوام^(١)، وفي أثناء رجوعه من تلك المنطقة (هاران) أمره الرب بإبدال اسمه إلى (إسرائيل) بعد مصارعة طويلة عند مخاضه (يوق) بين يعقوب وملاك إلهي على صورة البشر^(٢).

الفرع الثالث:

نقض الادعاءات الصهيونية في تخصص يعقوب ونسله بالوعد الإلهي، رغم تواتر نصوص التوراة وتأكيداتها على تملك أرض فلسطين (أرض - الميعاد)، ومحاولة كتاب التوراة تطويع مختلف نصوصها تبعاً لأهدافهم وخدمة لأطماعهم التوسعية في الاستحواذ على الأرض وحرمان أصحابها الشرعيين من التمتع بحقوقهم في امتلاك أرضهم وممارسة السيادة عليها، تهافتت هذه الادعاءات في ضوء الحق والعدل والقانون ورفضها أيضاً المنطق السليم والعقل المتزن. ويستدل على بطلان هذه الادعاءات بما يلي:

١ - لفظة (لنسلك) (*):

تشمل (مسلمين ومسيحيين) فهم نسل إبراهيم ﷺ عن طريق ابنه البكر (إسماعيل) من هاجر المصرية، والذي ينتسب كثير من القبائل العربية باعتراف التوراة ذاتها^(٣)، وبهذا يشمل الوعد جميع نسل إبراهيم ﷺ بلا استثناء ويدخل ضمنه أيضاً أبناء إبراهيم من زوجته (قطورة) والذين كانوا يؤلفون كثيراً من القبائل العربية شمال الجزيرة^(٤).

وقد اعترفت التوراة بصريح العبارة باعتبار إسماعيل من ذرية إبراهيم ونسله إذ جاء فيها (وابن الجارية هاجر) أيضاً (أجعله أمه لأنه نسلك)^(٥) فكان وعد الله لإبراهيم ونسله وعداً عاماً شاملاً غير قابل للتجزئة يتمتع أبناء إسماعيل فيه بالحقوق كافة أسوة بإخوانهم أبناء إسحاق دون تمييز بينهم لأنهم جميعاً بحق ذرية

(١) تك: ٣١: ٣، ١٣، ١٨. (٢) تك: ٣٢: ٢٢ - ٢٩، تك: ٣٥: ٩ - ١٣.

(*) (لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات) تك: ١٥: ١٨ وما بعدها.

(٣) تك: ٢٥: ١٣: ١٦. (٤) تك: ٣٥: ١ - ٤.

(٥) تك: ٢١: ١٢.

إبراهيم ونسله، وقصر العهد على إسحاق ويعقوب تخصيصاً لا مبرر له وتقييداً لا موجب يستلزمه كي يحمل الكلام عليه^(١).

ولهذا يبقى الكلام يحمل على العموم وحتى ولو تم تخصيصه فإن الوعد الإلهي ينفي (الوعد الأول الذي أشتمل بالضرورة على نسل إسماعيل وإن كان بعد ذلك في زمن إسحاق ويعقوب قد ضاق نطاق هذا الوعد فقصر على نسلهما إلا أنه لم يستبعد صراحة إخوانهم العرب^(٢)).

٢ - إن عهد الختان الذي أبرمه الرب مع إبراهيم ووعده بموجب هذا العهد بإعطائه ونسله من بعده (أرض كنعان ملكاً أبدياً، كان هذا العهد أيام (إسماعيل) الذي جرى له الختان وكان عمره عندما ختن حوالي ثلاث عشرة سنة، أما إسحاق فقد كان مولده بعد مضي عام كامل من وضع علاقة الختان بين إبراهيم وربيه^(٣)، وقصة الغداء التي أوردتها التوراة والتي أمر الله فيها بذبح ابنه إسحاق - كما تقرر التوراة موضع شك ونقاش فما ورد في التوراة (خذ أبناء وحيدك الذي تحبه إسحاق وأذهب إلى أرض الممرتا وأصعده هناك محرقة على أحد الجبال الذي أقول لك)^(٤).

ويعارضه الكثير من الباحثين وينقضه التسلسل التاريخي، إذ أن إبراهيم لم يكن له ابن غير إسماعيل عند عودته من مصر إلى (أرض كنعان) وقبل أن يذهب إلى الجزيرة العربية، حيث أنه لم يرزق بولد ثان طول تلك الفترة^(٥).

ويمكن أن نستخلص من خلال استعراض الوعد التي تضمنتها نصوص التوراة المختلفة، إن تلك الوعود وخاصة المقطوعة منها لإبراهيم كانت عامة تشمل جميع

(١) د. مراد كامل: إسرائيل في التوراة والإنجيل، ص ٢٦، والفريد جيوم، الصهيونية في الكتاب المقدس من كتاب: إسرائيل في الكتاب المقدس، ص ٢٩. وينظر: إبراهيم العابد: دليل القضية الفلسطينية، أسئلة وأجوبة، ص ١٣ - ١٨.

(٢) ينظر: الفريد جيوم: الصهيونية في الكتاب المقدس، ص ٢٩.

(٣) تك: ١٧: ٧ - ٨، ٢٦ - ٢٧. وينظر: محمود نعانة: المشكلة اليهودية وهل تحلها إسرائيل، ٨٧/١. والفريد جيوم: الصهيونية في الكتاب المقدس من كتاب إسرائيل في الكتاب المقدس

ص ٢٩. د. مراد كامل، إسرائيل في التوراة والإنجيل، ص ٢٦.

(٤) تك: ٢٢: ٢. وما بعدها.

(٥) ينظر: صابر أبو طعيمة: اليهود بين الدين والتاريخ، ص ٥٠.

ذرية إبراهيم إلا أنها قد ضاقت نطاقها في زمن إسحاق ويعقوب وقصرت على نسلها، حيث تم حرمان إسماعيل وذريته منها، وهذا الحرمان تم بأمر الرب كما تدعي التوراة ثم ازدادت العهود ضيقاً فتم حرمان (عيسو) من مشاركة أخيه يعقوب وأبعد بكلام من أبيه إسحاق الذي يبارك يعقوب دون (عيسو)^(١). وأختص يعقوب بمكاسب تلك الوعود دون غيره من ذرية إسحاق فقد توصلت التوراة إلى أن الرب ظهر في عدة مواضع وباركه وخصه بميراث الوعود الممنوحة لإبراهيم وإسحاق^(٢)، أي أن يعقوب وذريته هم الذين ورثوا عهود الله ومواريثه دون غيرهم من نسل إبراهيم.

إلا أن هذا التخصيص لم يكن يخرج العرب نسل إسماعيل من عموم حكم الوعد الممنوح لإبراهيم^(٣).

لقد روض كتاب التوراة ومدونوها لصالحهم وطوعوها مع غاياتهم وأهدافهم حينما جعلوا الاستفادة من الوعود قاصرة على يعقوب الذي ينسبون أنفسهم إليه، وهم إن حرموا إسماعيل ونسله منها بسبب بنوته (الجارية) كما يدعون فلماذا حرم (عيسو) من حقه الشرعي في تلك الوعود علماً أنه أخ شقيق ليعقوب وليس ابن جارية؟ كما أن عيسو لم يغضب الله عليه كي يعاقبه بحرمانه من حقه في تلك العهود، فقد أوردت التوراة الكثير من النصوص التي تشير إلى رضا الرب عن إسماعيل وعيسو^(٤)، منها على سبيل المثال (أباركه وأمنه وأكثره)^(٥). وجميع ذلك يؤكد تهافت الادعاءات الصهيونية ويبطل أسانيدها وذرائعها في الوعود التي حملتها التوراة، حيث أن الديانات السماوية اللاحقة للديانة اليهودية (المسيحية والإسلامية) قد ناقضت ما يدعيه اليهود من حق بامتلاك فلسطين على إنها (أرض - الميعاد) التي وعد اليهود بها دون غيرهم فيذهب الجمهور من المسيحيين ومنهم طوائف الكاثوليك إلى تفسير هذه الوعود بأنها (في حقيقتها رموز مادية لمعان

(١) تك: ٢٧: ٢٨ - ٢٩: ٣٩ - ٤٠.

(٢) تك: ١٤، ١٣: ٢٨، ٣١: ٣. تك: ٣٥: ٩ - ١٣.

(٣) ينظر: محمد إسماعيل السيد: مدى مشروعية أسانيد السيادة الإسرائيلية في فلسطين - دراسة في إطار القانون الدولي العام عالم الكتب - القاهرة - ١٩٧٥ م، ص ٦٧. وينظر: الفريديجوم: الصهيونية في الكتاب المقدس - من كتاب إسرائيل في الكتاب المقدس، ص ٢٩.

(٤) ينظر: د. محمد إسماعيل السيد: مدى مشروعية أسانيد السيادة الإسرائيلية في فلسطين، ص ٦٧.

(٥) تك: ١٧: ١٨ - ٢١، وتك: ٢٥: ٢٨.

روحية بعيدة عن الدلالات الظاهرة التي تبدو في حرفية التفسير^(١) وهم بذلك يعارضون اليهود والبروتستانت من المسيحيين الذين يلتزمون بالمعنى الحرفي في تفسير نصوص التوراة^(٢). ويسند المسيحيون الكاثوليك فيما ذهبوا إليه اعتماداً على ما جاء به الإنجيل في اعتبار جميع المؤمنين هم من نسل إبراهيم وذريته^(٣).

وأكد القرآن الكريم إن الانتساب لإبراهيم لم يك القصد منه احتلال أرض وقهر شعوب وإنما (إتباع منهجه في الطريق إلى الله، وممارسة ما كان يقوم به عبادة الله وما يلزم به طهر وتقرب ونقاء)^(٤).

٣ - إن فلسطين لم تكن وطن بني إسرائيل بل أنها كانت أرض غربة لكل من آل إبراهيم، وآل إسحاق، وآل يعقوب، وقد اعترفت التوراة بأنهم كانوا غرباء طارئین عليها^(٥). فإبراهيم عليه السلام ينتسب إلى القبائل الآرامية العربية التي كانت تقطن منطقة (آرام النهرين) أي منطقة حاران (حاران الحالية) وقد ولد في (أور الكلدانية) في جنوب العراق من بابل بعد انتقال قبيلته إليها من حاران، مكان إبراهيم الخليل من ذريته، انتقل بعد مفارقة أهل بيته وعشيرته إلى حاران (حاران) ومنها إلى (أرض كنعان) فراراً بدينه^(٦)، ولقد أفاضت التوراة بذكر كلمة (الاغتراب) مقرونة بتنقل إبراهيم الخليل في فلسطين وفي مصر، فجاء فيها (تغرب إبراهيم في أرض الفلسطينيين)^(٧).

و(أنحدر إبراهيم إلى مصر ليتغرب هناك)^(٨). و(أنتقل إبراهيم إلى أرض

(١) ينظر: عبد السميع الهراوي: الصهيونية بين الدين والسياسة، ص ٢١٢.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢١١.

(٣) الرسالة إلى أهل غلاطية، ٣: ٢٦ - ٢٨.

(٤) ينظر: د. صابر طعيمة: ينو إسرائيل بين نبأ القرآن الكريم وخبر العهد القديم، (ط ١)، عالم الكتب - بيروت، ١٩٨٤ م، ص ١٩.

(٥) ينظر: د. أحمد سوسة: العرب واليهود في التاريخ، ص ٢٣٠.

(٦) المصدر نفسه ص ٢٥٢. وينظر: نعوم بك شقير، تاريخ سينا القديم والحديث وجغرافيتها. مطبعة المعارف بمصر - القاهرة، ص ٤٤٥. وينظر: أيضاً محمد صبيح حمدان: القدس

ومعاركنا الكبرى دار الشعب - القاهرة الجزء (١)، ص ١٩ و ٢١، ٣٠، ٣١.

(٨) تك: ١٢: ١٠.

(٧) تك: ٢١: ٣٤.

الجنوب وسكن بين قادش وشور وتغرب في جزار^(١). وعند شرائه مغارة (المكفيله) من صاحب تلك الأرض (عفرون بن صور الحثي) قال إبراهيم للحثيين (أنا غريب ونزير عندكم. أعطوني ملك معكم لأدفن ميتي من أمامي)^(٢).

لقد أكدت التوراة أن فلسطين لم تكن وطناً لبني إسرائيل بل أنهم كانوا غرباء طارئین عليها أن لا تربطهم بهذه الأرض صلة أو حق امتلاك، فموطنهم الأصلي منطقة (حران) الآرامية التي سكنتها العشائر الآرامية وهم من فروعها^(٣). كما أن إسحاق ويعقوب لم يمتلكا أي جزء من أرض فلسطين التي كانت أرض غربة لإبراهيم (وجاء يعقوب إلى إسحاق أبيه إلى حران حيث تغرب إبراهيم)^(٤). (وسكن يعقوب في أرض غربة أبيه أرض كنعان)^(٥).

ولقد ولد أبناء يعقوب (إسرائيل) الاثنا عشر في منطقة فدان آرام (حران)^(٦)، حيث مكث يعقوب هناك عشرين سنة، وبذلك كان مولدهم ونشأتهم خارج فلسطين^(٧)، وعاشوا في مصر مع أخيهم يوسف في كنف الهكسوس.

يرى الباحثون أن عصر إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، كان عصرأ مستقلاً بذاته له مقوماته وقوميته ولغته، حيث أن إبراهيم الخليل عاش في القرن التاسع عشر ق.م ولم يتكلم اللغة الآرامية وهي اللغة التي تكلم بها الكنعانيون، وتكلم بهذه اللغة إسحاق ويعقوب والأسباط (أبناء يعقوب، وكان إبراهيم يدعو إلى التوحيد وعبادة

(١) تك: ٢٠: ١.

(٢) تك: ٢٣: ٤، وقارن مع إصحاحات سفر التكوين التالية ١٧: ٧-٨ و ٢٤: ٧، ٣٨، ٤٠ و ٢٨: ٤

و ٣٥: ٢٧ و ٣٦: ٧ و ٣٧: ١ و ٤٧: ٩.

(٣) ينظر: د. أحمد سوسة: العرب واليهود في التاريخ، ص ٢٣١.

(٤) تك: ٣٥: ٢٧.

(٥) تك: ٣٧: ١.

(٦) تك: ٣٥: ٢٣-٢٦.

(٧) أبناء يعقوب: اثنا عشر ولداً وهم:

- أبناء ليثة: روبين، شمعون، لاوي، يهوذا، يساكر، وزوبولون.

- أبناء راحيل: يوسف، وبنيامين.

- أبناء بلهه جارية راحيل: وان، ونفتالي.

- أبناء زلفة جارية ليثة: جاد، وأشير. ينظر: تك: ٣٥: ٢٣-٢٦.

الإله خالق السماوات والأرض)، الإله (أيل). والذي كان يؤمن به كثير من الآراميين والكنعانيين وآمن به يعقوب وأبناؤه، ولهذا اشتقت لفظة (الخليل) من (خل) أي حبيب و(أيل) أي الإله، واللفظة تعني حبيب الإله أيل^(١). كذلك اشتق كثير من الأسماء الأخرى من لفظه الإله (أيل)، وأغلب الأسماء الواردة في التوراة هي أسماء مشهورة عند الآراميين مثل إبراهيم، ويعقوب، وبنيامين، وزبولون، وإسرائيل^(٢).

إن إبراهيم الخليل نادى بعقيدة التوحيد قبل ظهور موسى بحوالي سبعمائة عام تقريباً وأن دعوته هذه هي التي ألجأته بوحى من الله بالهجرة من العراق ولا صلة لها بهجرة موسى من مصر للفارق الزمني بين الهجرتين^(٣).

الفرع الرابع: موسى (ﷺ) والعهد:

حيث حاول كتاب التوراة ومدونوها تثبيت عقيدة الأرض الموعودة، على لسان إبراهيم وإسحاق ويعقوب ثم موسى، فعمدوا الخلط بين الحقب التاريخية وأهملوا التسلسل الزمني فربطوا العصور الزمنية بعضها ببعض متوخين بذلك إرجاع تاريخ اليهود إلى عصور لم يكن لهم فيها وجود يذكر، إذ إن عصر إبراهيم وإسحاق ويعقوب (ﷺ) عصر مستقل ترجع أحداثه إلى القرنين التاسع عشر والثامن عشر ق.م، وله خصائصه المميزة فهو عصر ديانتته وخدانية إبراهيم ولغته عربية سامية بينما عصر موسى الذي يبدأ من خروجه من مصر صوب فلسطين فتعود أحداثه إلى القرن الثالث عشر ق.م، أي بفاصل زمني يزيد عن ستمائة عام. وهي فترة طويلة تفصل هذين العهدين اختلفت فيها الأحوال وانعدمت فيها الصلة^(٤)، ولكن حاولت نقل الوعود الإلهية الممنوحة لإبراهيم إلى موسى بعد أن حصرتها في إسحاق ويعقوب دون غيرهما من نسل إبراهيم، فذكرت أن الرب تجلى لموسى بعد أن تنهد

(١) ينظر: د. أحمد سوسة: العرب واليهود في التاريخ: المقدمة ص وو، ز ز.

(٢) من الألفاظ المشتقة لفظة (إسرائيل) فهي مؤلف من (أسر) ومعناها عبد و(أيل) ومعناها إله إبراهيم فيكون معنى اللفظ (عبد الإله). وينظر: د. أحمد سوسة: العرب واليهود في التاريخ، ص ٣٢٤ (الهامش).

(٣) ينظر: د. أحمد سوسة: المصدر السابق نفسه، ص ٢٥٤، ٢٦٦، ٢٦٩.

(٤) ينظر: المصدر نفسه/ ص ١٥٩ - ١٦٠، ٢٣٢. أحمد سوسة سسس

بنو إسرائيل وصرخوا طالبين من الله الخلاص (فسمع الله أنينهم وتذكر ميثاقه مع إبراهيم وإسحاق ويعقوب)^(١).

وكلم الله موسى بإعطائه فلسطين (أرض - الميعاد) بعد إخراج بني إسرائيل من مصر (... أنا إله إبراهيم إله أبك إله إسحاق وإله يعقوب... إني قد رأيت مذلة شعبي الذي في مصر وسمعت صراخهم من أجل مسخريهم. إني علمت أوجاعهم. فنزلت لأنقذهم من أيدي المصريين وأصعدهم من تلك الأرض إلى أرض جيدة واسعة - إلى أرض تفيض لبناً وعسلاً. إلى مكان الكنعانيين والأموريين والفرزيين والحويين واليوسيبين)^(٢).

وتروي التوراة أن الله قد أكد العهد مع موسى وبني إسرائيل بإعطائهم أرض كنعان (ثم كلم الله موسى وقال له: أنا الرب... وأنا أخرجكم من أقال المصريين وأتخذكم لي شعباً وأكون لكم إلهاً... وأدخلكم إلى الأرض التي رفعت يدي أن أعطيها لإبراهيم وإسحاق ويعقوب وأعطيتكم إياها ميراثاً أنا الرب)^(٣).

وأشارت التوراة إلى أن قوم موسى هم سلالة إبراهيم وإسحاق ويعقوب وهم بنو إسرائيل نسل إبراهيم الذي أعطاهم الله أرض كنعان^(٤)، كما أنها تروي أمر موسى لقومه بدخول أرض كنعان حيث حدد لهم حدود (دولتهم المزعومة) فقال لهم (الرب إلهنا كلمنا في حوريب^(٥) قائلاً: كفاكم قعود في هذا الجبل، تحولوا وارتحلوا وأدخلوا جبل الأموريين وكل ما يليه من العربة والجبل والسهل والجنوب وساحل البحر. أرض كنعان ولبنان إلى النهر الكبير الفرات... ادخلوا الأرض التي أقسم الرب لأبائكم إبراهيم وإسحاق ويعقوب أن يعطيها لهم ولنسلهم من بعدهم ودعا موسى بني إسرائيل - كما تروي التوراة - إلى الالتزام بوصايا الرب لعبور الأردن ودخول أرض كنعان بقيادة يشوع بن نون الذي اختاره موسى لخلافته في قيادة بني إسرائيل وأخبره بأنه هو الذي سيتولى عملية الغزو ودخول أرض كنعان، حيث أن الرب قد أخبره بأنه لن يعبر نهر الأردن أو يدخل أرض كنعان، لذلك أوصى

(١) خر: ٢: ٢٤.

(٢) خر: ٦: ٣-٨. وقارن مع خر ١٦: ٣-١٧.

(٣) خر: ٢٦: ٢-٨، خر: ٢٣: ٢٣، خر: ٢٤: ٣١-٣٣، خر: ٣٢: ١٣.

(٤) حوريب: اسم جبل في سيناء.

(٥) خر: ٣٣: ١.

موسى يشوع كيفية دخول تلك الأرض^(١).

يشوع والعهد:

انتقلت التوراة بالعهد الداعية لاحتلال أرض كنعان والاستيلاء عليها إلى يشوع بن نون خليفة موسى في قيادة بني إسرائيل، وذكرت إن الرب ظهر ليشوع وأمره بالاستيلاء على مناطق عديدة من أرض كنعان (فالآن قسم أعبر هذا الأردن أنت وكل هذا الشعب إلى الأرض التي أنا معطيها لهم. كل موضع تدوسه بطون أقدامكم لكم أعطيته كما كلمت موسى. من البرية ولبنان هذا إلى النهر الكبير نهر الفرات جميع أرض الحِيثيين وإلى البحر الكبير نحو مغرب الشمس يكون تخمكم^(٢)).

ويتحدث سفر يشوع في معظم إصحاحاته عن خطط بني إسرائيل وأهدافهم ومعاركهم مع سكان البلاد، وتقسيم الأرض بين أسباطهم^(٣).

لقد استطاع يشوع بن نون قيادة قوم موسى فأحسن القيادة، وتمكن بفضل باعته وحنكته ودهائه عبور نهر الأردن، والاستيلاء على بعض المدن والقرى الفلسطينية مستفيداً من ضعف تلك المناطق نتيجة الانقسامات والصراعات فيما بينها، فأخضع العديد من المدن في جنوب وشرق فلسطين. ولم يتمكن من التوغل شمالاً وغرباً لحصانة تلك المدن وقوة أهلها الفائقة وتدريبهم وحصانة مدنهم^(٤). وقد استخدم يشوع عند دخوله تلك المدن مختلف الأساليب الوحشية والإرهاب والقسوة والبطش والقتل والإبادة الجماعية للرجال والنساء والأطفال والحيوانات، واستخدم النساء العاهرات للتجسس فكانت مذابحه رهيبية، ومعاملته لأهل البلاد المفتوحة في غاية الوحشية والقسوة، وبهذا يكون (يشوع) هو أول من أرسى التقاليد العسكرية الإسرائيلية الإرهابية التي استخدمها القادة الإسرائيليون في معاملة عرب فلسطين وطبقوا الأساليب التي فعلها (يشوع)^(٥).

(١) تث: الإصحاحات: ٣١، ٣٤: ١ - ٤. (٢) يش: ١: ٢ - ٤.

(٣) يش: ١٣: ١ - ٦.

(٤) ينظر: د. أحمد سوسة: العرب واليهود في التاريخ، ص ٢٩٢. وينظر: محمد مصباح حمدان:

الاستعمار والصهيونية العالمية، ص ٢٤.

(٥) يش: ٦: ٢ - ٢١. وما بعدها.

وأشارت إليها التوراة في السفر المسمى بسفر (يشوع)^(١)، ويرى الباحثون أن (يشوع) لم يستطع فرض السيادة الكاملة على أرض كنعان، حيث أن المدن الغربية والشمالية ظلت بعيدة عن الغزو الإسرائيلي، وأن النجاح الجزئي الذي صادفه (يشوع) أول مرة لم يكن إلا نجاحاً قليلاً ولكنه استمر أجيالاً، وتم وجه التحقق باستيلاء الملك داود على أورشليم^(٢).

إن ما حققه (يشوع) من احتلال بعض المناطق وفتحها بالإرهاب والقوة قد عاد إلى التفكيك والانهيار واستقل كثير من المدن العربية في عهد (القضاة) الذي آلت فيه زعامة القبائل الإسرائيلية إلى زعماء عرفوا باسم (القضاة) واستمر لقرن كامل (١١٢٥ - ١٠٢٥) ق.م.^(٣)

واتسم بالفوضى والاضطرابات والخلافات والنكبات، فصارت البلاد مجزأة منقسمة على نفسها، حيث استطاع الكثير من المدن والقبائل أن يستعيد استقلاله الذاتي^(٤) كما إنها استطاعت إخضاع الإسرائيليين لسيطرتها وحكمها قبيل وخلال هذا العهد (القضاة) بعد معارك جرت بين الطرفين كانت الغلبة فيها للكنعانيين والفلسطينيين^(٥). كذلك لم يتمكن الإسرائيليين توسيع دائرة نفوذهم أو فرض نوع من السيطرة على الفلسطينيين وإنما شاركوهم السكن في البلاد باعتراف التوراة ذاتها^(٦).

- (١) ينظر: د. رشاد عبد الله الشامي: الشخصية اليهودية الإسرائيلية العدائية، سلسلة عالم المعرفة (١٠٢) المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت - مطبعة الرسالة ١٩٨٦م، ص ١٧١.
- (٢) ينظر: د. صبري جرجس: التراث اليهودي والفكر الفرويدي، ص ٢٧. وينظر: د. أحمد سوسه العرب واليهود في التاريخ، ص ٢٩١. والسيرجون أ. هامتن: تاريخ العالم - المجلد الثاني (ط ٢)، مكتبة النهضة المصرية - القاهرة - ١٩٥٩م، ص ١٥٢.
- (٣) ينظر: د. أحمد سوسه: العرب واليهود في التاريخ، ص ٢٩٢.
- (٤) ينظر: مكاريوس: تاريخ الإسرائيليين ص ١٩. نقلاً عن د. محمد سيد طنطاوي بني إسرائيل في القرآن والسنة ج ١، ط ١، القاهرة ١٩٦٨م، ص ٣٤. ومحمد أديب العامري: عروبة فلسطين في التاريخ - الحقائق التاريخية والمكتشفات الأثرية تجاه المزاعم الصهيونية، المكتبة العصرية - بيروت، ١٩٧٢م، ص ١٣٨.
- (٥) ينظر: د. سامي سعيد الأحمد: الأسس التاريخية للعقيدة اليهودية، مطبعة الإرشاد - بغداد، ١٩٦٩م ص ٢٣. ود. أبلين بيتي: أزيلوا إسرائيل هذا هو الحل، دار العلم للملايين - بيروت (ط ١)، ١٩٥٧م. ود. أحمد سوسه: العرب واليهود في التاريخ ص ٢٩٣.
- (٦) قصص: ٣: ٥ - ٦.

ولم يتمكنوا في عهد ملوكهم الذي ابتداء بشاؤول^(١) (طالوت) من احتلال الأراضي الفلسطينية، إلا أن شاؤول وضع الأسس لمملكة يهودية شملت أواسط وجنوب فلسطين وجزء من شرقي الأردن، لأنه لم يتمكن من بسط سلطانه على كامل الأرض الفلسطينية كما أسلفنا^(٢)، وقد أمتزج سكان المناطق العربية التي احتلها الإسرائيليون في العيش على تلك الأرض سوية وأصبحت السيادة فيها للفلسطينيين، على الرغم من انضواء شيوخ وحكام بني إسرائيل في مقاطعات الأسباط تحت راية شاؤول^(٣).

ويرى الباحثون أن بني إسرائيل قد بدلوا في أقامه مملكة يهودية ابتداء من عهد شاؤول، إلا أنه رغم الحملات العديدة التي شنّها هذا الملك ضد العمالقة والفلسطينيين إلا أنها باءت بالفشل بعد أن ألحق به الفلسطينيون والعمالقة هزائم منكرة، وكانت هزيمته ثم موته منتحراً بعد معركة (جلبوع) قد وضعت حداً لحملات اليهود التي استهدفت إخضاع المدن الفلسطينية للسيادة اليهودية، وشجعت الفلسطينيين على السيطرة على البلاد حيث انقسمت مملكة شاؤول على نفسها وخضعت للسيطرة الفلسطينية^(٤)، وبذلك يقول لوبون:

(١) شاؤول: أول ملوك بني إسرائيل حكم مدة خمس عشرة سنة (١٠٢٥ - ١٠١٠ ق. م) حاول أن يجمع شمل بني إسرائيل ويوحدهم، فقادهم في كثير من المعارك ضد القبائل المجاورة والعمالقة والفلسطينيين إلا أنها باءت بالهزيمة والإخفاق واستطاع الفلسطينيون قتل أبنائه في معركة جلبوع (فقوعه) في وادي بزرعيل جنوب نابلس الآن مما أدى ذلك إلى انتحاره حزناً لما حل به وأبنائه. ينظر: د. أحمد شلبي: مقارنة الأديان. (اليهودية) ص ٥٥. وراجع حم: ٣١: ١ - ٧. ود. علي حسين الخربوطلي العلاقات السياسية والحضارية بين العرب واليهود في العصور القديمة والإسلامية، معهد البحوث والدراسات العربية - القاهرة ١٩٦٩م، ص ٢٤.

(٢) ينظر: د. غوستاف لوبون: اليهود في تاريخ الحضارات الأولى، ترجمة عادل زعيتير، عيسى البابي الحلبي وشركاه - القاهرة - ١٩٧٠م، ص ٣٥. وينظر: أيضاً عمر رشدي: الصهيونية وربيتها إسرائيل ص ٩.

(٣) ينظر: غوستاف لوبون: اليهود في تاريخ الحضارة الأولى ص ٣٥.

(٤) ينظر: د. علي حسين الخربوطلي: العلاقات السياسية والحضارية بين العرب واليهود ص ٢٤. ومحمد أديب العامري: عروبة فلسطين في التاريخ ص ١٣٨. ود. أحمد شلبي: مقارنة الأديان (اليهودية)، ص ٥٥. وراجع: حم: ٣١: ١ - ٧.

(وبشاؤول بدأ بنو إسرائيل يؤلفون أمةً فاستحقوا أن تفتح لهم صفحة صغيرة في التاريخ الحقيقي الذي كان لهم في العهد في العالم إذ أنقذهم ملكهم الأول من هول الفلسطينيين الدائم)^(١).

وبعد انقسام مملكة شاؤول أتخذ رجال يهوذا داود ملكاً عليهم وجعلوا من مدينة حبرون (الخليل) مقراً لمملكتهم، بينما أتخذ بقية الأسباط (أشبوشب) أو (أيشيعل)^(٢) ملكاً على يهود شرق الأردن والذي أتخذ من قرية (محنائيم)^(٣) عاصمة له^(٤)، وقد دخلت هاتان المملكتان في صراعات حادة وطويلة انتهت بسيطرة الملك داود بعد تغلبه على كل من (أينير) (قائد جيوش شاؤول) و(أشبوشب) فاستقر له الأمر بعد قتلها، وأصبح الملك الثاني لليهود حيث استمر الحكم بعده وراثياً فيهم^(٥).

الفرع الخامس: «مملكة داود وعهد إبراهيم (عليه السلام)»^(*).

بدأ داود بإقامة مملكة موحدة لليهود بعد قضائه على خصومه وتغلبه على مناوئيه، وارتأى أن تضم هذه المملكة القبائل اليهودية الشمالية (مملكة أشبوشب)، والجنوبية (مملكة يهوذا) القديمة فاتخذ من أورشليم عاصمة جديدة لمملكته حوالي سنة (٩٩٠ ق. م بدلاً من حبرون عاصمة (يهوذا) المدينة من مكانة مرموقة في نفوس الجميع ولكونها مدينة اتصفت بالحياد ولم تشترك في النزاعات بين مملكتي الشمال والجنوب إذ لم يكن سكانها يهودا (أي من يهوذا) أو شماليين (من مملكة أشبوشب)^(٦) استطاع داود فتح (أورشليم) بعد تغلبه على البيوسيين

(١) ينظر: غوستاف لوبون: اليهود في تاريخ الحضارات الأولى، ص ٣٦.

(٢) أشبوشب: أحد أبناء الملك داود. (٣) مخنائيم: من أعمال بيسان.

(٤) ٢ صم: ٢-٨-١١.

(٥) ينظر: د. أحمد شلبي: مقارنة الأديان (اليهودية) ص ٥٥، وسليمان ناجي. زحف الطاعون

المزمن - التحركات اليهودية عبر التاريخ (ط ١) دار النبراس - دمشق ١٩٨٠م، ص ٥٣-٥٤.

(*) تولى داود الحكم بعد شاؤول سنة (١٠٠٠ ق. م) ودام حكمه أربعين سنة وسبع سنوات جبرون

(الخليل) وثلاثين في أورشليم. ينظر: د. علي حسين الخربوطلي: العلاقات السياسية

والحضارية بين العرب واليهود ص ٢٥.

(٦) ينظر: د. إسماعيل راجي الفاروقي: أصول الصهيونية في الدين اليهودي، ص ٤٦. ود. أحمد

شلبي: مقارنة الأديان (اليهودية) ص ٥٥. وسليمان ناجي: زحف الطاعون المزمن، ص ٥٥.

أصحابها الشرعيين، ونقل إليها حاشيته الخاصة وكبار قادته العسكريين، ونقل إليها أيضاً تابوت العهد إلى قرية (يعاريم)^(١)، حيث كان التابوت موجوداً فيها بعد إرجاعه من فلسطين الذي كانوا قد استولوا عليه في إحدى معاركهم مع اليهود في (شيلوه)، وكان شاؤول قد أبعده الكهنة مع التابوت إلى قرية (يعاريم) حيث كان يشك في ولائهم له وعدم رغبتهم في مؤازرته، فاستطاع داود بحنكته وذكائه من استمالتهم بجانبه وتقريبهم إليه، حيث جعلهم من رجال دولته الرسميين وأعضاء في مجلس الدولة الأعلى وكان يهدف من وراء ذلك تسخيرهم لدعم حكمه والترويج لدعوته القائلة بأن مملكته تعتبر الوريث الشرعي للعهد الإلهية الممنوحة لإبراهيم وإسحاق ويعقوب (عليهم السلام) وأنها تمثل حلفاً قليلاً يجمع بين يهود الشمال والجنوب، وبذلك حل الولاء للملكة الداودية محل الولاء للإله (يهوه) حيث اعتبرها الكهنة تجسيماً لعهد إبراهيم عليه السلام وتحقيقاً لها، فكان الارتباط بها ككيان سياسي يعبر عن العلاقة الوثيقة بين اليهود والرب (يهوه)^(٢).

قام كهنة اليهود وحاخاماتهم بالدعوة للمملكة الداودية الجديدة، فقالوا باختيار الرب داود ملكاً لليهود وأن مملكته تضم قبائل اليهود الشمالية والجنوبية فقد أوردت التوراة (ليصنع الرب السيد «داود» حسب ما تكلم به من الخير من أجلك وقيمتك رئيساً على بني إسرائيل)^(٣).

وقد جعل رجال الدين اليهود مملكة داود تمثل العهد المقطوع لإبراهيم وتحقيقاً له وهي أساس خلاص (الشعب المختار) يؤيد ذلك ما تضمنته التوراة (الرب كلم داود قائلاً إني بيد داود عيدي أخلص شعبي)^(٤)، (طوبى للأمة التي الرب إلهها، الشعب الذي أختاره ميراثاً لنفسه)^(٥).

كما أن أورشليم (القدس) أعتبرها اليهود عاصمة الرب التي أختارها مسكناً

(١) يعاريم أو يعريم: وتسمى اليوم: (قرية العنب) تتبع أشدود أدارياً. ومحمد أديب العامري: عربية فلسطين، ص ١٤٠.

(٢) ينظر: د. إسماعيل راجي الفاروقي: أصول الصهيونية في الدين اليهودي، ص ٤٩ - ٥١.

(٣) صم: ٢٥: ٣٠، وراجع أيضاً: صم: ٥: ٢، ٣: ٣، ١٠: ٧، ٨: ٩.

(٤) صم: ٣: ١٨. (٥) مزام: ٨٩: ١ - ٣، وراجع صم: ٢٣: ٥.

لنفسه، لا تقام الطقوس والشعائر الدينية والولاء للإله (يهوه) إلا بما يقيمه الكهنة من شعائر فقط وفي أورشليم بالذات، فهي العاصمة الدينية التي لا يستقر الرب أو يعبد إلا فيها فذكرت التوراة (الرب اختار صهيون... اشتهاها مسكناً له، هذه وهي راحتي إلى الأبد، ها هنا أسكن لأنني...) (١)، وكذلك يعتقد حاخامات اليهود وأنبيأؤهم أنه لا يجوز عبادة الرب (يهوده) إلا عن طريقهم في أورشليم، وأن عهد داود ومملكته أزيلان ولن يتخلى الرب عنهما (٢). وبذلك صرحت التوراة (..حلفت لداود عبدي إلى الدهر أثبت نسلك وأبني إلى دور فدور كرسيك...) (٣)، وقالت أن الرب قد يعاقب (بني إسرائيل) عقاباً شخصياً ولكنه لن يتخلى عن مملكة داود إلى أبد الدهر (..لا أنقض عهدي ولا أغير ما خرج من شفتي...) (٤) (وتمثل هذه الادعاءات، تكوّن الميثاق الداودي. هو ميثاق ذو اتجاه واحد كميثاق إبراهيم - بين يهوه وداود وذريته، وحول أورشليم وملك داود في أورشليم انعقد إحساس اليهود الديني وتبلور وعيهم بذاتهم ورسالتهم) (٥).

واعتقد اليهود بتأييد داود مملكته، فاعتبروه (ابن الله) المصطفى المختار ومملكته من عمل الإله، وأصبح الولاء والطاعة (اليهوه) هو الولاء والطاعة لداود ومملكته وأورشليم، ويعبر ذلك عن تحقيق عبادة الله وطاعته (٦).

لقد نظر اليهود إلى مملكة داود على أنها قامت تحقيقاً لوعوده (يهوه) يمنح اليهود الأراضي الواقعة بين النيل والفرات، ولكنها في الحقيقة لم تقم إلا بعد إبرام العديد من المعاهدات وإنشاء الكثير من الأحلاف مع القبائل والممالك التي كانت تقطن البلاد أو تجاورها من ناحية والقيام بسلسلة من الغارات والهجمات على الممالك والقبائل الضعيفة من ناحية أخرى، وبذلك استطاع داود توسيع رقعه مملكته حيث أنه استولى على القدس (أورشليم) بعد أن تغلب على اليوسيين

(١) مزام ١٣٢: ١٣ - ١٧.

(٢) ينظر: د. إسماعيل راجي الفاروقي: أصول الصهيونية في الدين اليهودي، ص ٥١.

(٤) مزام ٨٩: ٣٠ - ٣٧.

(٣) مزام ٨٩: ١ - ٢٩.

(٥) ينظر: د. إسماعيل راجي الفاروقي: أصول الصهيونية في الدين اليهودي، ص ٥٢ - ٥٣.

(٦) ينظر: د. إسماعيل راجي الفاروقي: أصول الصهيونية في الدين اليهودي، ص ٤٩ - ٥٣.

وطردهم منها وأخضع مملكة (صويا) لنفوذه^(١).

وقضى على حلف (حنون) ملك (عمون)، ثم هاجم عمون (عمان) في السنة التالية ودمرها واستولى على تاج ملكها (سلكام) الذي كان يزن قنطاراً من الذهب الخالص^(٢)، وتحالف مع ملك حماه (توعي) فسيطر داود على أكثر مناطق سوريا عدا فينيقيا^(٣)، وتحالف داود مع حيرام ملك مدينة (صور) الفينيقية، وأدت المحالفة إلى تدفق التجارة الفينيقية إلى البحر الأحمر عبر فلسطين بعد أن توقفت عن المرور عبر مصر وأصبحت سفن (حيرام) تمخر البحر الأحمر وتبنى على شواطئه^(٤).

لم يستطيع داود أن يضم جميع أرض فلسطين إلى مملكته، بل خضع للعرب الفينيقيين في كل من لبنان وساحل فلسطين الشمالي كما أنه خضع للسيادة المصرية في أغلب الأوقات^(٥)، وكانت المناطق التي شملتها مملكة داود تمتد من جبل الكرمل شمالاً إلى الخليل جنوباً وبقي الساحل من شمال يافا إلى جنوب غزة بيد الفلسطينيين وخاضعاً للحكم المصري، بينما كان ساحل فلسطين من شمال عكا مضافاً إليه ساحل لبنان خاضعاً لحكم الفينيقيين^(٦).

وهكذا كانت مملكة داود وقد لا مست البحر المتوسط في مكان ضيق عند يافا وبقيت صور وصيدا خاضعة للفينيقيين وكان الفلسطينيون في الجنوب الشرقي من البلاد يتمتعون باستقلالهم^(٧).

ويشير ويلز إلى أن مملكة داود لا تشمل إلا أجزاء محدودة من أرض فلسطين فيقول:
(ولا يستطيع أحد أن يقول أن أرض الميعاد وقعت في قبضة العبرانيين

(١) يعتقد إنها في سهل البقاع اليوم. وينظر: سليمان ناجي: زمن الطاعون المزمّن، ص ٥٥.

(٢) ٢ صم: ١٢: ٢٩ - ٣١.

(٣) ينظر: سليمان ناجي: زحف الطاعون المزمّن، ص ٥٥ - ٥٦.

(٤) ينظر: د. أحمد شلبي: مقارنة الأديان (اليهودية)، ص ٥٥ - ٥٦.

(٥) ينظر: محمد أديب العامري: عروبة فلسطين في تاريخ، ص ١٤١.

(٦) ينظر: المصدر السابق، ص ٤٤١، وينظر: محمود العائدي: بن غوريون وبناء إسرائيل - منشورات وزارة الإعلام - المطبعة الأردنية - عمان - ١٩٦٩ م، ص ١٩.

(٧) ينظر: د. ليلي حسن سعد الدين: مثل الذي حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً، (ط ١) دار الفكر - عمان - ١٩٨٤ م، ص ١٩.

(اليهود) على أن ما وطد ملك داود وهياً له شيئاً من الأتساع أن أمور مصر في عهده كانت مرتبكة فخفت هيمنتها على فلسطين وبلاد الشام، وكانت أمور الدولة الآشورية مرتبكة كذلك وقد منح هذا لداود شيئاً من حرية الحركة والنشاط والتبسط وممارسة السيادة^(١).

لقد استطاع داود بفضل ما تمتع به من عبقرية ونشاط عجيبين أن ينشئ مملكة مزدهرة لا يتطرق الشك إلى هذا الازدهار، فوطد الحكم لأبنة سليمان الذي أقتطف ثمار ما بدأه والده فبلغ مجد (اليهود) ذروته في عهده^(٢)، وكانت غاية محبة اختياره أورشليم (القدس) عاصمة لمملكته وحسن هذا الاختيار، وهو بذلك قد منحهم مدينة لها مكانة خاصة في نفوس الكثير من البشر وتحظى بالقدسية والإجلال لديهم على مر الأزمان والعصور فكانت القدس ولم تزل مدينة عريقة ذات ماضٍ مقدس ومقام مؤثر في النفوس البشرية التي نسجت حول تلك المدينة عقائد القدسية والإلهام قبل أن يفتحها داود وقبل أن يدخلها إبراهيم، فقد جعلها مدينة للسلام ومركزاً للعبادة، وفيها أنشأ أول مركز لإقامة شعائر وطقوس العبادة على يد الكنعانيين قبل وصول إبراهيم إليها، فكان البيوسيون قد أقاموا هيكلًا لعبادة الإله (شاليم) كما أن ملكي صادق كاهن الإله الأعلى في القدس قد أخرج خبزاً وخبزاً لإبراهيم وليقول له (مبارك إبرام من الله العلي مالِك السموات والأرض)^(٣)، وقد احتوت القدس فيما احتوت من أماكن مقدسة - على صخرة (المربا) ذات القوة السحرية التي تثير الحيرة والجزع في نفوس العلماء والباحثين لما تتمتع به قوة عجيبة وطاقة وحيوية لا يعرف سرها، وعلى هذه الصخر بنى داود مذبحاً للرب كما فعل إبراهيم من قبل^(٤).

ويلاحظ أن داود لم يستطع فرض السيطرة الكاملة على فلسطين رغم كثرة

(١) نقلاً: عن د. أحمد شلبي: مقارنة الأديان (اليهودية) ص ٥٧ - ٥٨. وقارن مع جون.

أ. هامرتن: تاريخ العالم ص ١١٠.

(٢) ينظر: غوستاف لوبون: اليهود في تاريخ الحضارات الأولى، ص ٣٩.

(٣) ينظر: تك: ١٤: ١٨ - ١٩.

(٤) ينظر: إيلين بيتي: أزيلوا إسرائيل هذا هو الحل ص ٩٢ - ٩٩. ود. إسماعيل راجي الفاروقي:

أصول الصهيونية في الدين اليهودي، ص ٤٧. ولوبون: اليهود في تاريخ الحضارات الأولى، ص ٣٧ - ٣٨ ومحمد أديب العامري: عروبة فلسطين، ص ١٣٩.

الحملة التي شنّها والمعاهدات التي أبرمها مع الشعوب والأمم المجاورة وبقي الساحل الغربي من غزة إلى يافا تحت حكم الفلسطينيين ولم تخضع فلسطين بكاملها في أي وقت من الأوقات لسيطرة اليهود^(١).

الفرع السادس: «مملكة سليمان»:

تولى قيادة بني إسرائيل بعد وفاة داود ابنه سليمان الذي دام حكمه ما يقارب من أربعين عاماً^(٢) وقد أتبع سليمان سياسة الوفاق والمهادنة مع الشعوب والممالك المجاورة، فقد وجد أن الغزو والفتح العسكري لا يجدي نفعاً في إخضاع القبائل والمدن لنفوذ مملكته، لذلك اتجه لاستخدام السياسة والدين والمهادنة لتدعيم أركان مملكته، فأوسع سلطانه وأزدهر حكمه وخضعت له المناطق الفاصلة بين الإمبراطوريتين الآشورية والمصرية^(٣).

حيث شمل حكمه أجزاء من سيناء وسوريا^(٤). ونظراً لاستخدامه سياسة المهادنة والوفاق استطاع توسيع حدود مملكته فامتدت من دمشق إلى مصر ومن البحر المتوسط إلى حد بعيد من البادية الشرقية^(٥). واستطاع توسيع رقعة الأراضي الزراعية

(١) ينظر: د. محمد إسماعيل السيد: مدى مشروعية أسانيد السيادة الإسرائيلية في فلسطين، ص ٥٠.
 (٢) أختلف المؤرخون في تحديد الفترات الزمنية والأحداث التي أشارت إليها المصادر اليهودية، وكانت وما زالت من أعقد الأمور التي استعصى حلها على مؤرخي ونقاد علماء التاريخ منذ القدم وحتى يومنا هذا، فقد تضاربت الآراء حول مولد ووفاة سليمان. والرأي راجع أن سليمان حكم ما يقرب من (٤٠) عاماً (٩٧٠ - ٩٣٠ ق. م)، للمزيد من الإطلاع راجع: د. أحمد شلبي: مقارنة الأديان (اليهودية)، ص ٦١، ومحمد أديب العامري: عروبة فلسطين، ص ١٤٤. ود. حسن الحلبي: فلسطين في ضوء القانون الدولي، ص ٨. ود. علي حسين الخربوطلي: العلاقات الحضارية السياسية بين العرب واليهود ص ٢٧. وعمر رشدي: الصهيونية وريبتها إسرائيل، ص ٩. ود. أحمد سوسة: العرب واليهود في التاريخ ص ٢ - ٣، ود. حسن ظاظا: الفكر الديني الإسرائيلي: أطواره ومذاهبه، ص ٤٤.

(٣) ينظر: لوبون: اليهود في تاريخ الحضارات الأولى، ص ٣٩. ود. سامي سعيد الأحمد: الأسس التاريخية للعقيدة اليهودية، ص ٢٣. وينظر: عمر رشدي: الصهيونية وريبتها إسرائيل، ص ٩. ود. علي حسنين الخربوطلي: العلاقات السياسية الحضارية بين العرب واليهود، ص ٢٥.

(٤) ينظر: محمد أديب العامري: عروبة فلسطين، ص ١٤٤.

(٥) ينظر: لوبون: اليهود في تاريخ الحضارات الأولى ص ٣٩.

وقيل أنه قد شاد مدينة (تدمر) كما أنه نجح في مصاهرة فرعون مصر (شيشنق) ليضمن صداقة المصريين وعقد مع (حيرام) ملك صور الفينيقي صلات صداقة وتجارة فامتدت تجارته إلى البحار المجاورة بعد إنشائه أسطولاً تجارياً لهذا الغرض^(١).

أن ما يمكن قوله في مملكة سليمان أنها مملكة كانت تتجاذبها قوتان هما مصر وفينيقيا وأن أهميتها في معظم أمرها يرجع إلى قوة أو ضعف هاتين القوتين فهذه المملكة التي يتبجح اليهود بعظمتها (كانت أشبه بحماية مصرية مرابطة على حدود مصر، قائمة على حراب أسياها الفراعنة الذين كانوا أهم ما يهدفون إليه من وراء هذا الإسناد حماية حدودهم الشرقية من غارات الأقوام الطامعة بمصر وفي مقدمتهم الآشوريون)^(٢)، ويمكن القول بأن مملكة سليمان لم تمثل جميع أرض فلسطين (أرض - الميعاد) وبصورة خاصة المناطق الساحلية بدليل أن سليمان طلب من فرعون مصر^(٣) المساعدة لإخضاع المدن الفلسطينية الساحلية التي تعذر عليه فتحها وكما أشارت التوراة إلى ذلك^(٤) كما أن العديد من المناطق التي استطاع سليمان إخضاعها لحكمه قد تمكنت من الانفصال عن المملكة والتمتع بالاستقلال بعد أن نشط معارضو هذه المملكة ومنذ أواخر أيام داود في الدعوة للانفصال عنها والاحتفاظ باستقلال عشائريهم ودولهم بعيداً عن سيطرة اليهود^(٥).

إن مملكة داود سليمان التي قطعت شوطاً متميزاً في تاريخ اليهود ورغم قصر عمرها - قد شهدت نهضة أدبية واسعة وأصبحت (أورشليم) أيام سليمان مركز

(١) ينظر: د. علي حسنين الخربوطلي: العلاقات السياسية الحضارية بين العرب واليهود، ص ٢٦. ود. أحمد شلبي: مقارنة الأديان (اليهودية)، ص ٥٨، ولوبون: اليهود في تاريخ الحضارات الأولى، ص ٣٩.

(٢) ينظر: د. أحمد سوسة: العرب واليهود في التاريخ، ص ٢٩٦.

(٣) كان فرعون مصر في تلك الحقبة هو (شيشنق) أول فرعون من الأسرة الثانية عشرة الذي غزا (أورشليم) واستولى عليها ونهب جميع ما فيها من كنوز وأموال بعد وفاة سليمان بضع سنوات. للمزيد ينظر: د. أحمد سوسة: العرب واليهود في التاريخ، ص ٢٩٧، د. علي حسنين الخربوطلي: العلاقات السياسية والحضارية بين العرب واليهود، ص ٢٦.

(٤) ١ مل: ١١ - ١٢، ٩: ١٦.

(٥) ينظر: د. أحمد شلبي: مقارنة الأديان (اليهودية)، ص ٥٨ - ٥٩.

فلسطين الثقافي، ألف الكهنة الأفاصيص، وحاول أنبياء اليهود توحيد قومهم عن طريق تقاليدهم ودينهم^(١).

لهذا عدت هذه المرحلة الفترة الذهبية في تاريخ اليهود لما تمتعوا به من استقرار ورخاء وابتعاد عن النكبات التي سبقت هذا العهد أو تلتته، وقد كان بناء (بيت الرب) «الهيكل»^(٢).

أبرز ما يميز عهد سليمان إذ أكسبه شهرة لا تدانى نظراً لما أثير حول هذا البناء من وصف وبذخ وما أثير حوله من معارضه، فيرى (WEECH) (أن بذخ سليمان وقسوته وكثرة زوجاته والخلاف بين أولاده كان السبب في انقسام المملكة وزوالها)^(٣).

فقد حاول مجارة الفراعنة في البذخ والإسراف وإقامة الأبنية الشاهقة والقصور الفخمة، مما أثقل كاهل الشعب بفرض الضرائب، والخزينة بما تراكم من ديون^(٤)، وانتهى عهد الوحدة المملكة داود سليمان حوالي عام (٩٣٥ ق. م) بوفاة سليمان وبذلك عاد التمزق والانقسام إذ انقسمت هذه المملكة إلى دولتين أو مملكتين هما^(٥):

أ - دولة مملكة إسرائيل في الشمال وعاصمتها (السامرة) (سبسطية) جوار مدينة نابلس (شكيم) وقد دام وجود هذه الدولة ما يقارب من (٢٥٠) عاماً حيث استطاع الملك الآشوري سرجون الثاني في سنة (٧٢١ ق. م) فتح (السامرة) ثم

(١) ينظر: د. سامي سعيد الأحمد: الأسس التاريخية للعقيدة اليهودية، ص ٢٣.

(٢) ينظر: د. علي حسنين الخربوطلي: العلاقات السياسية والحضارية بين العرب واليهود، ص ٢٥ - ٢٦.

(٣) ينظر: د. أحمد شلبي: مقارنة الأديان (اليهودية)، ص ٦١.

(٤) ينظر: د. أحمد سوسة: العرب واليهود في التاريخ، ص ٢٩٦ - ٢٩٧.

(٥) ينظر: د. حسن ظاظا: الفكر الديني الإسرائيلي: أطواره ومذاهبه، ص ٤٥ - ٤٦. د. أحمد شلبي مقارنة الأديان (اليهودية)، ص ٦١ - ٦٣. ود. حسن الحلبي: قضية فلسطين في ضوء القانون الدولي ص ٨. ومحمد أديب العامري: عروبة فلسطين، ص ١٥٣. ومحمد العائدي: بن غوريون وبناء إسرائيل ص ١٩. ود. علي حسنين الخربوطلي: العلاقات السياسية والحضارية بين العرب واليهود، ص ٢٧. ود. أحمد سوسة: العرب واليهود في التاريخ، ص ٣٠٦ - ٣٠٧. وسيد طنطاوي: بنو إسرائيل في القرآن والسنة، ص ٥٥.

تدميرها وإجلاء ما يقارب (٢٧) ألفاً من سكانها وأحل محلهم قبائل من بابل وسوريا وجزيرة العرب وبذلك زالت مملكة (إسرائيل من الوجود).

ب - دولة مملكة يهوذا في الجنوب: عاصمتها (أورشليم) (القدس) وقد تألفت من سبطي يهوذا وبنيامين، بدأ الحكم فيها رحبعام بن سليمان، وعمرت هذه المملكة زهاء أربعة قرون حيث تم القضاء عليها وسقطت أورشليم نهائياً على يد القائد البابلي (نبوخذ نصر) حوالي (٥٨٦ ق. م) حيث قتل آخر ملوكها (صد قياهو) ودمرت أورشليم وأحرقت أسوارها وهيكلها وتم الاستيلاء على ما في خزائنها ورحل نبوخذ نصر قسماً كبيراً من سكانها إلى بابل. وقد خضعت فلسطين بعد السيطرة البابلية للحكم الفارسي حيث سمح (كورش) بعودة اليهود إلى القدس ثم خضعت فلسطين إلى حكم اليونانيين في عهد (الإسكندر المقدوني) ثم إلى الحكم الروماني حيث أصبحت إحدى الولايات الرومانية، وقد قام اليهود بعدة ثورات ضد الرومان انتهت بإخراجهم من فلسطين عام ٧٠ للميلاد وتشتيتهم في مختلف دول العالم.

وقد تم فتح فلسطين من قبل الجيوش الإسلامية في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وبذلك عاد الحكم العربي الإسلامي على فلسطين مؤكداً الطابع العربي والخصائص العربية للبلاد^(١).



(١) ينظر: د. حسن الجلبي: قضية فلسطين في ضوء القانون الدولي، ص ٨ - ١٠، وإيلين بيتي: أزيلوا إسرائيل هذا هو الحل ص ٦١ - ٦٧.

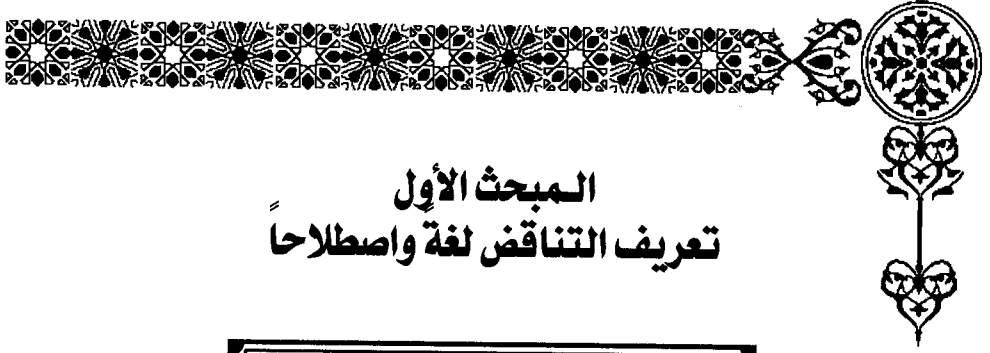


الفصل الأول تعريفات التناقض وبيان الألفاظ المرادفة له

وفيه أربعة مباحث وهي على النحو الآتي:

- المبحث الأول: تعريف التناقض لغة واصطلاحاً، وفيه مطلبان:
- المطلب الأول: التناقض في اللغة.
- المطلب الثاني: التناقض في الاصطلاح.
- المبحث الثاني: تعريف التوراة لغةً واصطلاحاً؛ وفيه مطلبان:
- المطلب الأول: التوراة في اللغة.
- المطلب الثاني: التوراة في الاصطلاح.
- المبحث الثالث: الألفاظ المرادفة للتناقض.
- المبحث الرابع: التوراة في القرآن الكريم؛ وفيه مطلبان:
- المطلب الأول: التوراة في القرآن الكريم.
- المطلب الثاني: كُتّاب التوراة.





المبحث الأول تعريف التناقض لغة واصطلاحاً

المطلب الأول: التناقض لغة

التناقض: التحالف و(النقيض) المخالف.

من نقض والنقض: إفساد ما أبرمت من عقد وبناء، وفي الصحاح^(١): النقضُ نقض البناء والحبل والعهد غيره: النقض ضد الإبرام، نقضه ينقضه نقضاً وأنتقض وتناقض.

والنقض: اسم البناء المنقوض إذا هُدم. وفي حديث صوم التطوع: فناقضني وناقضته، وهي مفاعلة من نَقَضَ البناء وهو هدمه، أي ينقضُ قولي وأنقض قوله وأراد به المراجعة والمرادة. وناقضه في الشيء مناقضةً وناقضاً: خالفه، قال الشاعر:

وكان أبو العيوفٍ أخاً وجاراً وذا رَحِمٍ، فقلْتُ له نِقَاضاً

أي ناقضته في القول وهجوه إيّاي. والمناقضة في القول: أن يتكلم بما يتناقض معناه والنقيضة في الشعر: ما ينقض به، وقال الشاعر:

إنني أرى الدهر ذا نقضٍ وإمرار

أي ما أمر عاد عليه فنقضه، وكذلك المناقضة في الشعر ينقض الشاعر الآخر ما قاله الأول والنقيضة الاسم يجمع على النقائص، ولذلك قالوا نقائص جرير والفرزدق^(٢). ونقيضك الذي يخالفك والأنثى بالهاء، والنقض ما نقضت، والجمع

(١) ينظر: محمد بن أبي بكر بن عبد القدر الرازي: مختار الصحاح/ دار الرسالة الكويت (د. ت)، ص ٦٧٦.

(٢) ينظر: أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري: لسان العرب/ دار لسان المغرب/ بيروت/ المجلد الثالث/ ص ٧٠٦.

أنقاض. ويقال: أُنْقَضَ الجُرْحُ بعد البرء، وأُنْقَضَ الأمرُ التمامه.

وأُنْقَضَ أمر الثغر بعد سَدِّهِ^(١). ويقال: (أُنْقَضَ الحِمْلُ ظهره) أثقله وجعله يُنْقَضُ من ثقله أي يصوت^(٢). وفي التنزيل العزيز: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿١٠﴾ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ﴿١١﴾﴾ أي جعله يُسْمَعُ له نقيض من ثقله.

وجاء في التفسير أثقل ظهره: قال ذلك مجاهد وقتادة، والأصل فيه أن الظهر إذا أثقله الحمل سمع له نقيض أي صوت خفي كما ينقض الرجل لحماره إذا ساقه، قال فأخبر الله ﷻ أنه غفر لنبيه ﷺ، أوزاره التي كانت تراكمت على ظهره حتى أثقلته، وإنها لو كانت أثقالاً حملت على ظهره لسمع لها نقيض أي صوت. ونقيض الرحال والمحامل والأديم والوتر: صوتها.

وفي الحديث: أنه سمع نقيضاً من فوقه، النقيض الصوت. ونقيض السقف: تحريك خشبه وفي حديث هِرْقَل: ولقد تنقضت الغرفة أي تشققت وجاء صوتها. وفي حديث هوازن: فأنقض به دُرَيْدُ أي نقر بلسانه في فيه. وقال الخطابي: أنقض به أي صفق بإحدى يديه على الأخرى حتى أسمع لها نقيضاً أي صوتاً. وقيل: الأنقاض في الحيوان والنقض في الموتان. وقد نقض ينقض وينقض نقضاً.

وأنقض أصابعه: صوت بها، وأنقض بالدابة. ألصق لسانه بالغار الأعلى ثم صوت في حافتيه من غير أن يرفع طرفه عن موضعه^(٣).



(١) ينظر: المصدر نفسه/ ٣/ ٧٠٦-٧٠٧.

(٢) ينظر: محمد فريد وجدي/ دائرة المعارف القرن العشرين/ ١٠/ ٣٤٨، والرازي/ مختار الصحاح/ ص ٦٧٦.

(٣) ينظر: ابن منظور: لسان العرب/ ٣/ ص ٧٠٦.

المطلب الثاني: التناقض اصطلاحاً

في أغلب الأحيان تقودنا الحاجة في بعض الاستدلالات إلى اللجوء باستخدام قضية أخرى لنستدل من خلالها على نقيضتها - أي القضية الأخرى - لأن العلم بكذبها. ولأن العلم بكذبها يلزمه العلم بصدق القضية المطلوبة أو بالعكس، عندما يكون صدق إحداهما يلزم كذب الأخرى والقضيتان اللتان لهما هذه الصفة هما القضيتان المتناقضتان، فإذا أردت مثلاً أن تبرهن على صدق القضية

(الروح موجودة)، مع فرض أنك لا تتمكن على ذلك مباشرةً، فيكفي أن تبرهن على كذب نقيضها وهو (الروح ليست موجودة) فإذا علمت كذب هذا النقيض لا بد أن تعلم صدق الأولى، لأن النقيضين لا يكذبان معاً. وإذا برهنت على صدق النقيض لا بد أن تعلم كذب الأولى، لأن النقيضين لا يصدقان معاً.

وربما يظن أن معرفة نقيض القضية أمر ظاهر كمعرفة نقائص المفردات، كالإنسان وللإنسان التي يكفي فيها الاختلاف بالإيجاب والسلب. ولكن الأمر ليس بهذه السهولة إذ يجوز أن تكون الموجبة والسالبة صادقتين معاً، مثل: بعض الحيوانات إنسان، وبعض الحيوان ليس بإنسان ويجوز أن تكوناً كاذبتين معاً، مثل: كل حيوان إنسان، ولا شيء من الحيوان بإنسان، وعليه، لا غنى للباحث عن الرجوع إلى قواعد التناقض المذكورة في علم المنطق لتشخيص نقيض كل قضية^(١). وإن التناقض هو أحد أقسام التقابل، ولنضعه هنا بعبارة جامعة فنية في خصوص القضايا، فنقول: (تناقض القضايا: اختلاف في القضيتين يقتضي لذاته إن تكون أحدهما صادقة والأخرى كاذبة، ولا بد من قيد (لذاته) في التعريف، لأنه ربما يقتضي اختلاف القضيتين تخالفهما في الصدق والكذب، ولكن لا لذات الاختلاف، بل لأمر آخر، مثل: كل إنسان حيوان، ولا شيء من الإنسان بحيوان، فأنه لما كان الموضوع أخص من المحمول صدقت إحدى الكليتين وكذبت الأخرى. أما لو كان الموضوع أعم من المحمول لكذباً معاً نحو كل حيوان إنسان ولا شيء من الحيوان بإنسان، كما تقدم.

ونعني باختلاف الذي يقتضي تخالفهما في الصدق هو الاختلاف الذي يقتضي

(١) ينظر: محمد رضا المظفر/ المنطق (ط٢)، ١٩٥٧ م/ ٢/ ٤٢.

ذلك في آية مادة كانت القضيتان، ومهما كانت النسبة بين الموضوع والمحمول^(١).
كالاختلاف بين الموجبة الكلية والسالبة الجزئية^(٢).

شروط التناقض:

لا بد لتحقيق التناقض بين القضيتين من اتحادهما في أمور ثمانية، واختلافهما في أمور ثلاثة^(٣).

الوحدات الثماني:

تسمى الأمور التي يجب اتحاد القضيتين المتناقضتين فيها (الوحدات الثماني) وهي ما يأتي:

- ١ - الموضوع، فلو اختلفا فيه لم يتناقضا مثل: العلم نافع، الجهل ليس نافعاً.
- ٢ - المحمول، فلو اختلفا فيه لم يتناقض مثل: العلم نافع، العلم ليس بضرار.
- ٣ - الزمان، فلا تناقض بين (الشمس مشرقة) أي في النهار وبين (الشمس ليست بمشرقة) أي في الليل.
- ٤ - المكان، فلا تناقض بين (الأرض مخصبة) أي في الريف وبين (الأرض ليست بمخصبة) أي في البادية.
- ٥ - القوة والفعل، أي لا بد من اتحاد القضيتين في القوة والفعل فلا تناقض بين (محمد ميت) أي بالقوة وبين (محمد ليس بميت) أي بالفعل.
- ٦ - الكل والجزء، فلا تناقض بين (العراق مخصب) أي بعضه وبين (العراق ليس بمخصب) أي كله.
- ٧ - الشرط، فلا تناقض بين (الطالب الناجح آخر السنة) أي إن اجتهد وبين (الطالب غير ناجح) أي إذا لم يجتهد.
- ٨ - الإضافة، فلا تناقض بين (الأربعة نصف) أي بالإضافة إلى الثمانية، وبين

(١) ينظر: المصدر نفسه/ ٢/ ٤٣.

(٢) إن كل قضية تتألف من موضوع ومحمول.

(٣) لقد أختار أرسطو نوعاً من العبارات هي تلك التي تحتمل الصدق والكذب وهي الفقري في نظرية لقياس ولاستدلال القضية الكلية الموجبة والقضية الجزئية الموجبة والقضية الجزئية السالبة.

الأربعة ليست بنصف أي الإضافة إلى العشرة.

وبعضهم يضيف إليها (وحدة الحمل من ناحية كونه حملاً أولاً أو حملاً شائعاً. وهذا الشرط لازم، فيجب لتناقض القضيتين أن يتحدا في الحمل، فلو كان في أحدهما أولاً وفي الأخرى شائعاً فإنه يجوز أن يصدقا معاً، مثل قولهم (الجزئي جزئي) أي بالحمل الأولي (الجزئي ليس بجزئي) أي بالحمل الشائع، لأن مفهوم الجزئي من مصاديق مفهوم الكلي، فإنه يصدق على الكثيرين^(١).

أما اختلاف القضيتين فنجدها في أمور ثلاثة وهي (الكم والكيف والجهة). حيث سيتم مناقشتها في المبحث الثالث من هذا الفصل في الفقرة (ع).

أما التناقض في مفهوم أرسطو^(٢): فهو تقابل الموجبة والسالبة ما بدا سواء كان موجوداً ولم يكن موجوداً فإن أحده يكون كاذباً والآخر صادقاً. فإن القول في سقراط مريض وأن سقراط ليس مريضاً، أن كان سقراط موجوداً وظاهر أن أحده صادق والآخر كاذب ... أعني التي تتقابل على طريق الموجبة والسالبة^(٣).

أما الفارابي^(٤) فيرى التناقض: هو تقابل الإيجاب والسالبة: وهو أن يكون موضوعها واحداً بعينه وكذلك المحمول، وأن يكون الزمان الذي أثبت فيه المحمول للموضوع هو بعينه الزمان الذي فيه نفي المحمول عن الموضوع، وأن يكون الحال التي بها يوجد الموضوع، موضوعاً في السلب هي بعينها الحال التي توجد موضوعها في الإيجاب التي يوجد فيها المحمول محمولاً على الموضوع إلى الإثبات، وهي بعينها الحال التي يوجد بها في النفي^(٥).

(١) ينظر: محمد رضا مظفر/ المنطق/ ٢/ ٤٣.

(٢) وهو فيلسوف يوناني تتلمذ على أفلاطون وعلم الإسكندر الأكبر وألف (الأورغانون) في المنطق وينقسم إلى ثلاثة: كتاب المقولات، وكتاب العبارة، وكتاب التحليلات. وله أيضاً مؤلفات في العلم الطبيعي مثل (السماع الطبيعي). توفي (٣٢٢) ق.م.

(٣) ينظر: أرسطو: المقولات/ ج ١/ ص ٤٦، ٤٧.

(٤) أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان الفارابي ولد في مدينة فاراب سنة ٢٥٩ هـ/ ٨٧٠ م وتوفي سنة ٣٩٣ هـ/ ٩٥٠ م، لقي بالمعلم الثاني أرسطو العرب.

(٥) ينظر: الفارابي: شرح الفارابي لكتاب أرسطو طاليس في العبارة/ ط ٢/ دار المشرق/ بيروت. لبنان/ ص ١٠٧.

والتناقض هو التقابل... وتعاند الأفاويل... بالمعنى الأعم... وهو أن يقابل الواحد بعينه في المعنى الواحد بعينه ليس على طريق الاتفاق في الاسم وسائر ما أشبه ذلك^(١).

والمتناقضان: هما اللذان ليس يقرن الجزئي بالموجبة منها فقط أبداً ولا بالسالبة أبداً، لكن أحياناً يكون في الموجبة في التناقض سور جزئي وأحياناً يكون فيها سور كلي^(٢).

يقول ابن سينا^(٣) في التناقض. القضيتان المتقابلتان بالتناقض هما: اللتان تقابلان بالإيجاب والسلب تقابلاً يجب عنه لذاته أن تكون إحداهما صادقة والأخرى كاذبة^(٤).

والتناقض أيضاً هو الجمع في تصور واحد وفي قضية واحدة بين عنصرين متنافرين كقولنا دائرة مربعة، أو ضياء مظلم. وقد يكون التناقض صريحاً كالتناقض الذي نعبر عنه بقضيتين متناقضتين، وقد يكون ضمنياً كالتناقض المقدر بين القضية الظاهرة، ونتائجها، أو مقدمتها الخفية. وإذا حملت على الموضوع صفة مناقضة لتعريفه، كان التناقض تناقضاً في الوصف مثل دائرة مربعة. والتناقض في اللفظ هو التناقض بين حدود القضية الواحدة، بحيث يكون المحمول فيها نفيًا للموضوع كما في قولنا: الظلم عدل.

والتناقض عند الأصوليين هو تقابل الدليلين المتساويين على وجه لا يمكن معه الجمع بينهما، ويسمى بالتعارض أو المعارضة.

ومبدأ التناقض: هو القول أن الشيء نفسه لا يمكن أن يكون حقاً وباطلاً معاً، وهذا القول إنما هو نتيجة لمبدأ الهوية أي لقولنا (ما هو هو). وعلى ذلك فالتناقض مناف للمعقولية، لأن من شرط العقل أن يكون متفقاً مع نفسه، فإذا كان العقل يقع في التناقض أحياناً فمرد ذلك اشتغاله بأمور تمنعه من تذكر ما قاله سابقاً، ولو قرب

(١) ينظر: الفارابي: شرح العبارة، ص ٦٢. (٢) ينظر: المصدر نفسه، ص ٧٣.

(٣) هو أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا فيلسوف وطبيب مسلم وله كتاب النجاة ولد سنة ٩٨٠ م وتوفي سنة ١٠٣٦ م.

(٤) ينظر: ابن سينا/ كتاب النجاة/ ص ٦٣.

بين الحكمين المتناقضين اللذين صدق بهما في زمانين مختلفين لأثبت أحدهما وأبطل الآخر. لذلك قيل: أن الزمان علة الوقوع في التناقض، والوسيلة الوحيدة لاجتناب الوقوع في التناقض هي التحليل^(٣).



(٣) ينظر: د. جميل صليبا/ المعجم الفلسفي / ج ١ / ص ٣٤٩.

المبحث الثاني تعريف التوراة لغة واصطلاحاً

المطلب الأول: التوراة لغة

رد بعض المصادر العربية لفظة (التوراة) إلى أصل عربي^(١)، وقالوا: (٢) التوراة تعني الضياء والنور وهي مشتقة من وري (بفتح الراء أو كسرهما) الزند، إذا قدح فظهرت وخرجت منه النار، وسميت التوراة بهذا الاسم لأنها ضياء ونور - لما عدا القرآن - تجلو ظلمة الظلال^(٣)، ولظهور الحق بها^(٤)، وقيل مشتقة من (ورى) إذا (عرض)^(٥) فالتوراة مأخوذة من التورية، وهي التعريض بالشيء والكتمان لغيره، لأن في التوراة معاريف كثيرة ورموز عديدة وتلويحات جليلة من غير تصريح وإيضاح

(١) ينظر: ابن دريد، الجمهرة ٤٢٣/٢ (ورى) وابن منظور: اللسان ٣٨٨/٥ وما بعدها (ورى) والقلقشندي (الشيخ أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد)، كتاب صبح الأعشى - المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩١٨م، ١٣/٢٥٤.

(٢) ينظر: الجوهري، الصحاح ٢٥٢٢/٦ (ورى) وابن دريد: الجمهرة ١/١٧٧، ٤٢٣/٢ (ورى)، وابن منظور: اللسان ٣٨٨/١٥ (ورى) والقرطبي (الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري) الجامع لأحكام القرآن، دار الكتاب العربي، القاهرة ١٩٦٧ م ٥/٤ والبطرسى (الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن...)، مجمع البيان في تفسير القرآن، دار الفكر ودار الكتاب العربي بيروت ١٩٥٧ م ٤٠٦/١ والرازي التفسير ٧/١٧٠ والفيروز آبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مؤسسة دار التحرير القاهرة ١٩٦٩ م ٢٠١/٥ والآلوسي، روح المعاني ٣/٦٦.

(٣) ينظر: الآلوسي (أبو الفضل شهاب الدين محمود البغدادي) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المطبعة المنيرية - القاهرة - ١٣٤٥ هـ ٣/٦٦.

(٤) ينظر: الطوسي (الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن) التبيان في تفسير القرآن، مطبعة النعمان، النجف الأشرف ١٩٦٣ م ٣٩١/١، والرازي التفسير الكبير ٧/١٧٠ - ١٧١.

(٥) ينظر: الآلوسي: روح المعاني ٣/٦٦.

ولكن الجمهور على القول الأول^(١).

لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءَ وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾^(٢).

يعني التوراة^(٣) وفي الحقيقة فلفظة التوراة ليست عربية^(٤) بل هي عبرية^(٥) ولقد بحث العلماء عن أصلها واشتقاقها في العبرانية، فقالوا: أن كلمة (تورة = Toruh) اسم مشتق من وزن (أفعل) المزيد وهو (Horah) وثلاثية (Yarah)^(٦) وقد جاء هذا الثلاثي في العهد القديم بمعنى (ألقى القرعة)^(٧) و(رمى السهام)^(٨) و(دل)^(٩) و(أوصى) و(علم)^(١٠) ومن ذلك جاءت (Tarah) بمعنى: المعلم والتعليم والحكمة والوصية والشريعة والناموس^(١١) والهدى والهداية والإرشاد والتعاليم الدينية^(١٢)

(١) ينظر: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ٤/٥. (٢) ينظر: سورة الأنبياء/ الآية (٤٨).

(٣) ينظر: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ٤/٥.

(٤) ينظر: الزمخشري (أبو القاسم جار الله محمود بن عمر... الخوارزمي)، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، منشورات أفتاب - نهران (بلا) ١/١٠٤ والرازي، التفسير ١٧١/٧ والبيضاوي (أبو الخير عبد الله بن عمر..). أنوار التنزيل وأسرار التأويل مصطفى البابي الحلبي، القاهرة ١٩٦٨ م ٢/٢ والفيروزآبادي، بصائر ٥/٢١٠ تعليق المحقق رقم (٦)، وأبو السعود الإمام.. محمد بن محمد العمادي) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم دار أحياء التراث العربي بيروت ٢/٤ والنسفي (الإمام حافظ الدين عبد الله بن أحمد..). مدارك التنزيل وحقائق التأويل، المطبعة البهية المصرية ١٣١٨هـ - ١/٢٠٩.

(٥) ينظر: القرطبي، الجامع ٤/٦ وخان (صديق حسن..). فتح البيان مقاصد القرآن، مطبعة العاصمة القاهرة ٢/٤.

(٦) ينظر: مرمجي الدمينكي (الأب أوغسطين...) كلمة توراة مقال في مجلة المشرق م ٢٩ (١٩٣١) ص ٤١١.

(٧) يشو: ١٨:٦. (٨) اصم: ٢:٣٦.

(٩) قض: ١٣:١٨. (١٠) خرو: ١٥:١٥.

(١١) ينظر: ناموس لفظ يوناني الأصل معناه: شريعة القانون وهو يقابل التوراة العبرية. (راجع: القاموس ٩٧٨) (ناموس). ومراد كامل (دكتور) الكتب التاريخية في العهد القديم، المطبعة الفنية الحديثة - القاهرة ١٩٦٨ م، ص ٥.

(١٢) ينظر: مرمجي، كلمة توراة ص ٤١١ - ٤١٢. ومرشد الطالبين ص ١١ هامش رقم (١) وسيل، المرشد ص ٧٤ وشيخو (الأب لويس اليسوعي) النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية، مطبعة الآباء اليسوعيين بيروت ١٩١٢ م ١/١٨٤ وديورانت (ول..)، قصة الحضارة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٩٦٤ م ٢٠/٣٦٧ وميخائيل (دكتور نجيب إبراهيم) مصر =

والقانون^(١). ويظن (ويلهوزن) وغيره أن أول استعمال (التوراة) كان للدلالة على إلقاء القرعة والسهام أو الأزمات في الهياكل الاستنباء إدارة الآلهة، وعليه فمدلول (التوراة) القديم كان طلب معرفة مشيئة الله وتدابيره، مما كان على الكهنة أن يعلموه للشعب^(٢) ثم استعملت هذه اللفظة عن الشريعة موسى ﷺ^(٣) وتجاه هذا الأصل العبري، أصول (مشابهة) في غير العبرية من الألسن السامية كالآرامية الكتابية والحبشية الجعزية والحبشية الأمهرية والأكدية والعربية^(٤).



= الشرق الأدنى القديم دار المعارف القاهرة ١٩٥٩ م ٣/١٧٩ والشيرازي (محمد بن مهدي الحسيني...) هؤلاء اليهوديين بين الإسلام والأديان والمبادئ، مطبعة الآداب، النجف (بلا) ص ١١.

(١) ينظر: محمد فريد وجدي: دائرة معارف القرن الرابع عشر - العشرين مطبعة دائرة معارف القرن العشرين القاهرة ١٩٣٧/٢/٧٠٤.

(٢) ينظر: مرمجي، كلمة توراة، ص ٤١٢.

(٣) ينظر: التل (عبد الله...) جذور البلاء، دار الإرشاد ودار القلم بيروت ١٩٧١ م، ص ٩.

(٤) ينظر: مرمجي، كلمة توراة، ص ٤١٢.

المطلب الثاني: التوراة اصطلاحاً

يطلق اليهود لفظة (تورة - Toruh) على كتب موسى الخمسة^(١) ويسمون هذه الكتب أيضاً باسم (توراة ألوهيم) و(توراة يهوه) و(أسفار موسى) و(الناموس)^(٢) والربانيون - منهم - يدعونها: (المقرأ) أي النص المقروء و(خمسة أخماس الشريعة)^(٣)، وأما الإسكندريون - اليهود اليونان، أرباب الترجمة السبعينية - فقد أطلقوا على توراة موسى لفظة (البانتاتوكس) أي الملفات الخمسة باليونانية^(٤).

ومنذ سنة ١٣٠ ق.م قسم اليهود الكتب الإلهية إلى ثلاثة أقسام كبرى هي: الشريعة والأنبياء والكتب (أو الصحف)^(٥).

وكل كتاب من الكتب المنزلة يسميه اليهود (سفر)^(٦)، ويدعون المجموعة - بصيغة الجمع (الأسفار - الكتب)^(٧)، أما العنوان الرئيسي فيشمل الأقسام الثلاثة المذكورة. ولكنهم أخذوا الحروف الأولى من تلك الكلمات الثلاثية (تورة = التوراة) (ونبيئيم = الأنبياء) (وكتبوبم = الكتب) وصاغوا منها لفظاً واحداً وهو (تناك) لينوب في الاستعمال عن أسماء الأجزاء الثلاثة الكبيرة التي يتألف منها العهد القديم، وذلك بقصد الاختصار.

وهذا الاسم متداول في كلامهم حتى يومنا هذا^(٨)، ولا نرى أحداً من اليهود -

(١) ينظر: شلبي (دكتور أحمد..) اليهودية، مكتبة النهضة المصرية القاهرة ١٩٦٦ م ص ٢٣٠، ومويال (الدكتور شمعون يوسف..) التلمود أصله وتسلسله وآدابه، مطبعة العرب القاهرة ١٩٠٩ م ٣/١-٤.

(٢) ينظر: مرمجي، كلمة توراة ص ٤١٢، والقاموس ص ٣٤٨، والبستاني (المعلم بطرس..) دائرة المعارف ٦/٢٦٤.

(٣) ينظر: مرمجي، كلمة توراة، ص ٤١٢، ومرشد الطالبين، ص ٧٣، وسيل المرشد، ص ٧٤، وظاظا (دكتور حسن..) الفكر الديني الإسرائيلي أطواره ومذاهبه، معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٧١ م ص ٧٣.

(٤) ينظر: مرمجي، كلمة توراة، ص ٤١٢.

(٥) ينظر: مقدمة سفر يشوع بن سيراخ، والدكتور فاندر، ميزان الحق، ص ٥٦ نقلًا عن مرمجي كلمة توراة، ص ٤١٢.

(٦) دا: ٩: ٢.

(٧) ينظر: أشح: ٢٩: ٨.

(٨) ينظر: مرمجي، كلمة توراة ص ٤١٣ و ٥٠١، وفؤاد حسنين (دكتور.. علي)، التوراة الهيروغليفية، =

الفلسطينيين أو الإسكندرانيين أو غيرهم - يطلق اسم (التوراة) أو (البانتاتوكس) على جميع الأسفار المقدسة أو العهد القديم كله^(١). فأنهم لم يطلقوه إلا على كتب موسى الخمسة^(٢)، وقد وردت كلمة (التوراة) بهذا المعنى المحصور لا غيره في العهد القديم^(٣).

وهذا يفند رأي القائلين بأن العبرانيين توسعوا في مدلول لفظة (التوراة) فيما بعد، وأطلقوها على جميع الأسفار التي يقال لها العهد القديم^(٤).

وأما المسيحيون - من يونان والآتين - فأنهم يطلقون على كل كتاب منزل - قديماً وحديثاً - اسم (السبيل) وهذا ما يقابل (السفر) في العبرية وعليه سميت الأسفار الإلهية (ببيل) وهو اسم عام يشمل العهدين - القديم والجديد عند الغربيين. أما أسفار موسى الخمسة (التوراة) فان الغربيين لم يطلقوا عليها إلا لفظ (البانتاتوكس) وليس إلا^(٥). أما الإنجيل فقد أطلق عليها أسم: (الشرية) أو (الناموس) ومع أن لفظة (الناموس) أو (التوراة) تطلق عند المسيحيين في معظم الأحيان^(٦).

وعلى أسفار موسى الخمسة^(٧).

إلا أنها مع ذلك قد تعني أحيانا العهد القديم كله^(٨) وربما العهدين - القديم

= دار الكتاب العربي، القاهرة ص ٣٠ وله: اليهودية المسيحية ص ١٠٢، وينظر: ظاظا، الفكر الديني الإسرائيلي ص ٧٣.

(١) ينظر: مرمجي، كلمة التوراة ص ٤١٢ و ٥٠١. (٢) ينظر: سيل، المرشد إلى الكتاب ص ٧٤. (٣) عد: ٣١: ١١ و ١٣ و ٢٤.

(٤) ينظر: طبارة، روح الدين الإسلامي ص ١٤٦ وأيضاً: البلاغي (الشيخ محمد جواد) الهدى إلى دين المصطفى، المكتبة الحيدرية ومطبعتها، النجف ١٩٦٥/٤، والجنابي (الحاج محمد إبراهيم ...) اليهود قديماً وحديثاً، مطبعة الآداب، النجف ١٩٦٧ ص ٥٢ - ٥٣ وعنايت (محمد) العقائد، مطبوعات مجلة العصور لنشر المعرفة والآداب ١٩٢٨ ص ٨٤ والمنجد في اللغة، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٨٠ ص ٦٦ والبستاني (المعلم بطرس) محيط المحيط، مكتبة لبنان بيروت ١٨٧٠ م ١/ ١٧٦.

(٥) ينظر: مرمجي، كلمة توراة ص ٤١٣ و ٥٠١ والبعلبكي (منير...) المورد، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٦٧ ص ٦٧١.

(٦) إنجيل لوقا: ٢٤: ٤٤. (٧) يشو: ١: ٨ ونح: ٨: ١: ١٨.

(٨) ينظر: يو: ١٢: ٣٤.

والجديد - معاً من باب تسميه الكل باسم البعض^(١).

وقد بين الأب مرمجي الدومنيكي السبب الذي دعا بعض المسيحيين إعمام اسم التوراة على العهد القديم كله أو العهدين معاً - وذلك في معرض رده على المعاجم الحديثة، حيث قال: [.. تكبر الظن بأنها قد استندت إلى ما جرى على ألسن العامة في سورية، وغيرها من البلاد، ولاسيما على ألسن البروتستانت، كالمستبين الذين يهتمون بالعهد القديم اهتماماً ينسيهم (العهد الجديد)]^(٢) وأما المسلمون فإنهم يطلقون التوراة على الكتاب الذي أنزله الله دفعه واحدة (مكتوباً في الألواح) على كليمه موسى ﷺ إلى بني إسرائيل^(٣).

بالإضافة إلى اسم التوراة فقد أطلق القرآن على رسالة موسى - أيضاً - الفرقان^(٤) والكتاب^(٥).

وهذا لا يمت إلى الصحة بصلة، زعم الدكتور فاندر بأنه: (قد يطلق المسلمون هذا الاسم (التوراة) على الكتاب المقدس كله بالنسبة إلى كونه يبتدئ بالتوراة)^(٦). وهو غير دقيق أيضاً في قوله: (ولكن القرآن يشير إلى الأسفار المقدسة جميعاً بكتاب واحد هو الكتاب المقدس، مع أنه يذكر له ثلاثة أقسام وهي: «التوراة والزبور والإنجيل»)^(٧).

(١) ينظر: البستاني، دائرة المعارف ٦/ ٢٦٤ وشيبه (عبد القادر.. الحمد) الأدبان والفرق والمذاهب المعاصرة، مؤسسة الطباعة والصحافة والنشر جدة، السعودية ١٣٨٧هـ، ص ١٧. وينظر: عطية (علي إمام...) الصهيونية العالمية... وأرض الميعاد، مطابع الشعب، القاهرة ١٩٦٣، ص ١٢. وينظر: سوسة (الدكتور أحمد...) مفصل العرب واليهود في التاريخ، دار الحرية بغداد ١٩٨١ ص ٣٣.

(٢) ينظر: مرمجي، كلمة التوراة، ص ٣٠٥.

(٣) ينظر: سورة المائدة/ الآية (٤٤)، وسورة الأعراف/ الآية (١٥٧)، وسورة الصف/ الآية (٦).

(٤) ينظر: سورة الأنبياء/ الآية (٤٨)، وينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٤/ ٥ و ١١/ ٢٩٥.

(٥) ينظر: سورة البقرة/ الآية (٥٣)، وينظر: القرطبي، الجامع ١/ ٣٩٩ وفيه المراد بالكتاب هو التوراة بإجماع المتأولين وأختلف في (الفرقان) (هنا) فقل هو التوراة أعيد ذكره باسمين تأكيداً...).

وينظر: سورة البقرة/ الآية (٨٧)، والأنعام (٨٩)، وهود (١٧)، والإسراء (٢)، والفرقان الآية (٣٥)، والقصص (٤٣)، والسجدة (٢٣)، وفصلت (٤٥)، وسورة الأحقاف (١٢).

(٦) ينظر: فاندر، ميزان الحق، ص ٥٦. نقلاً عن مرمجي، كلمة توراة، ص ٥٠١.

(٧) ينظر: فاندر، ميزان الحق. نقلاً عن مرمجي، كلمة توراة ص ٥٠٠.

فالقرآن لا يقصد بالكتاب الأسفار المقدسة أو الكتاب المقدس - عند فاندرو أو اليهود - قطعاً فكلمة الكتاب وردت في القرآن خاصة وعامة، فقد أطلقت على التوراة وحدها، وعلى الإنجيل بمفرده ﴿.. وَقَالَتِ النَّصْرَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾^(١)، وعلى الاثنين معاً ﴿قُلْ يَتَاهَلِ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّورَةَ وَالْإِنْجِيلَ..﴾^(٢).

ومرة على القرآن وأخرى على جنس الكتب المنزلة ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ..﴾^(٣). فالكتاب الأول: تعريف العهد، لأنه عني به القرآن والثاني: تعريف الجنس، لأنه عني به جنس الكتب المنزلة^(٤).

ومن هذا يظهر أن ليس المراد (بالكتاب) ما يسميه اليهود والمسيحيون (الكتاب المقدس) الذي هو عبارة عن كتابات مختلفة لمؤلفين عديدين كتبت في عصور متفاوتة وبيئات متباينة وأماكن متباعدة على مدى نحو ألف وخمسمائة عام.

ولكن مما يؤسف له أن بعض كتاب المسلمين - هم أيضاً - أطلقوا اسم التوراة على كتب العهد القديم كلها دون أن يعتمدوا أي دليل^(٥). ونستخلص مما سبق أن لفظة التوراة لا تشمل - في الحقيقة - إلا الأسفار الخمسة الأولى من العهد القديم المنسوبة لسيدنا موسى ﷺ. وهي لا تشمل - إلا مجازاً -^(٦) العهد القديم كله فضلاً عن العهد الجديد - أو الكتاب المقدس كله، وأكبر دليل على ما نقول هو نسخ الكتاب المقدس الموجود عند اليهود والمسيحيين جميعهم، فإننا لا نجد واحدة منها معنونه باسم (التوراة) أبداً.

(١) ينظر: سورة البقرة/ الآية (١١٧).

(٢) ينظر: سورة المائدة/ الآية (٦٨).

(٣) ينظر: سورة المائدة/ الآية (٤٨).

(٤) ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٦/ ٢٠٩ - ٢١٠. وينظر: الزمخشري، الكشاف، ١/ ٦١٨.

(٥) ينظر: شيبه، الأديان والفرق، ص ١٧ - ١٨.

(٦) ينظر: البستاني، دائرة المعارف ١/ ٢٦٤. وينظر: شلبي، اليهودية ٢٣٠. وينظر: مراد كامل،

الكتب التاريخية ص ٦٠٥. وينظر: طنطاوي (الدكتور محمد عزة...) بنو إسرائيل في القرآن

والسنة دار حراء بالقاهرة ١٩٦٨ م - ١/ ٨٥. وينظر: دروزة (محمد عزة...) التفسير الحديث.

وينظر: عيسى البابي الحلبي القاهرة ١٩٦٨ م - ١/ ١٣٨. وينظر: الهندي (رحمة الله بن خليل

الرحمن...) إظهار الحق، مطابع فنارة القاهرة ١٩٧٨ م - ص ٤٧.

وإذا عرفنا ذلك تحقيقاً وتأكيذاً فلا تبقى قيمة لرأي من قال:

[جاءت (التوراة) عند اليهود بمعنى أسفار موسى، ثم أطلقت بعد ذلك على أسفار الأنبياء، وجميع الكتب المنزلة عندهم، ولما جاء النصارى أطلقوها على أسفارهم لأنهم يعتبرون أسفار اليهود وأسفارهم كتاباً واحداً مقسوماً إلى عهدين قديم وجديد، وهذا رأي علماء المسلمين وعلماء النصارى، إذ عرفوا التوراة بالكتاب، والكتاب بالتوراة]^(١).



(١) ينظر: مرمجي، كلمة توراة، ص ٥٠٤. وينظر: شيبه، الأديان، ص ١٧-١٨.

المبحث الثالث الألفاظ المرادفة للتناقض

(أ) التباين: التباعد والافتراق. ومنه قولهم الكليان إن تفارقا كلياً من الجانبين فمتباينان يعني لم يصدق كل منهما كلياً على ما صدق عليه الآخر فالكليان متباينان والنسبة بينهما نسبة التباين ومرجعه إلى سالتين كليتين كالإنسان والفرس. فانك تقول لا شيء من الإنسان بفرس ولا شيء من الفرس بإنسان. ثم التباين إما (كلي) كما عرفت أو (جزئي) وهو صدق كل منهما بدون الآخر في الجملة (والتباين الجزئي) أعم من التباين الكلي لأن التباين الجزئي إما أن يتحقق في ضمن التباين الكلي أو العموم من وجه لأن الكليتين إذا لم يتصادقا في بعض الصور فإن لم يتصادقا في صورة أصلاً فهو التباين الكلي وإلا فالعموم من وجه. والتباين عند أهل الحساب نسبة بين عددين من النسب الأربع التي أثبتها بين الأعداد وهي (التماثل) و(التداخل) و(التوافق) و(التباين) والوجه في انحصار النسب بين عددين في الأقسام الأربعة المذكورة إنك إذا نسبت عدداً إلى عدد آخر فإن ساوى أحدهما الآخر فهما متماثلان كأربعة رجال وأربع نساء. وإلا فإن كان الأقل منهما مغنياً للأكثر فهما متداخلان كالاثنين والسته.

وإن لم يكن متفقاً له فيما أن يفنيهما عدد غير الواحد فهما متوافقان كالسته والثمانية أولاً يفنيهما غيره فهما متباينان كالخمسة والسته^(١).

(ب) التضاد: هو التباين والتقابل التام، وضد الشيء خلافه.

وهو أيضاً كون الشئيين الموجودين متقابلان بحيث لا يكون تعقل كل منهما بالقياس

(١) ينظر: محمد رضا المظفر/ المنطق (مجموعة المحاضرات التي ألقيت في كلية متدى النشر بالنجف الأشرف) ٤٤/٢. وينظر: عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد القاضي/ جامع العلوم في اصطلاحات الفنون/ منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان/ ج١/ ص٢٧٢.

إلى الآخر كما بين السواد والبياض. وعند أرباب البديع التضاد هو الطباق والمطابقة^(١).

والمتضادتان هما المختلفتان في الكيف دون الكم، وكانتا كليتين.

وسميتا متضادتين لأنهما كالضدين يمتنع صدقهما معاً ويجوز أن يكذبا معاً.

ومعنى ذلك أنه إذا صدقت أحدهما لا بد أن تكذب الأخرى، ولا عكس، أي

لو كذبت أحدهما لا يجب أن تصدق الأخرى.

فمثلاً إذا صدق (كل ذهب معدن) يجب أن يكذب (لا شيء من الذهب بمعدن).

ولكن إذا كذب (كل معدن ذهب) لا يجب أن يصدق (لا شيء من المعدن

بذهب)، بل هذه كاذبة في المثال^(٢).

والتضاد: هو نقض في الوجود^(٣).

والضد: ما كان مابيناً للشيء ومعانداً... شأنه أن يبطل كل واحد منهما الآخر

ويفسده إذا اجتماعاً... وذلك عام في كل شيء يمكن أن يكون له ضد، والضدان هما

في رتبة واحدة من الوجود... إن ما كان له ضد فله مادة مشتركة بينه وبين ضده^(٤).

وإن كل ماله ضدٌّ فأن كمال وجوده هو يعدم ضده^(٥).

وإن الضدَّ والعدم ليسا يناقضان الملكة والضد الآخر، ولكن يلزم أن يناقضا

مقابلهما^(٦). وإن الضد هو الغاية في المباينة^(٧).

والمتضادان: هما اللذان لا يقتسمان الصدق والكذب ما لم يكن موضوعهما

موجوداً.

(١) ينظر: القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد/ جامع العلوم في اصطلاحات الفنون/ ١/ ٣١٣.

(٢) ينظر: محمد رضا المظفر/ المنطق (مجموعة المحاضرات التي ألقى في كلية متدى النشر بالنجف الأشرف) سنة ١٣٢٧ هـ/ ج ٢/ ص ٤٧.

(٣) ينظر: الفارابي/ آراء أهل المدينة الفاضلة/ تقديم وشرح/ إبراهيم جزيني/ منشورات دار القاموس الحديثة - بيروت/ ص ٦٠.

(٥) ينظر: أرسطو/ السياسة/ ص ٤٤.

(٤) ينظر: المصدر نفسه/ ص ٢٩.

(٧) ينظر: المصدر نفسه/ ص ١٩٥.

(٦) ينظر: الفارابي/ شرح العبارة/ ص ١٥٩.

(ج) التعارض: يعني: التناقض فإن وقع في الخبر أو جب كون واحد منهما كذباً ولذلك لا يجوز التعارض في الأخبار من الله تعالى ورسوله وإن وقع في الأمر والنهي والأحكام فيتناقض فيرفع الأخير الأول ويكون نسخاً وهذا متصور وإذا عرفت إن التعارض هو التناقض فلا يتصور التعارض في الفعل لأنه لا بد من فرض الفعلين في زمانين أو في شخصين فيمكن الجمع بين وجوب أحدهما وتحريم الآخر فلا تعارض: فإن قيل فالقول أيضاً لا يتناقض إذ يوجد القولان في حالتين وإنما يتناقض حكمها فكذلك يتناقض حكم الفعلين قلنا إنما يتناقض حكم القولين لأن القول الأول اقتضى حكماً فيقطع القول الثاني دوامه والفعل لا يدل أصلاً على حكم ولا على دوام حكم نعم لو أشعرنا الشارع بأنه يريد بمباشرة فعل بيان دوام وجوبه ثم ترك ذلك الفعل بعده كان ذلك نسخاً وقطعاً لدوام حكم ظهر بالفعل مع تقدم الإشعار فهذا القدر ممكن، وأما التعارض بين القول والفعل فممكن بأن يقول قولاً يوجب على أمته فعلاً دائماً وأشعرهم بأن حكمهم ابتداءً ونسخاً ثم فعل خلافه أو سكت على خلافه كأن الأخير نسخاً وإن أشكل التاريخ وجب طلبه وإلا فهو متعارض. كما روى أنه قال في السارق وإن سرق خلسة فاقتلوه ثم أتى بمن سرق خامسة فلم يقتله فهذا إن تأخر فهو نسخ القول بالفعل وأن تأخر القول فهو نسخ ما دل عليه الفعل^(١).

وقد قال قوم إذا تعارضا وأشكل التاريخ يقدم القول لأن القول بيان بنفسه بخلاف الفعل ليس بياناً بنفسه فسلم ولكن كلا منا في فعل صار بياناً لغيره وبعد أن صار بياناً لغيره فلا يتأخر عما كان بياناً بنفسه، وأما خصوص الفعل فمسلم أيضاً ولكن كلا منا في فعل صار بياناً لغيره وبعد أن صار بياناً لغيره فلا يتأخر عما كان بياناً بنفسه وأما خصوص الفعل فمسلم أيضاً ولكن كلا منا في فعل لا يمكن على خاصيته^(٢).

(د) الاختلاف: ضد الاتفاق. والفرق بينه وبين الخلاف إن الاختلاف يستعمل في القول المبني على دليل، على حين أن الخلاف لا يستعمل إلا فيما لا دليل عليه. والاختلاف عند بعض المتكلمين هو كون الموجودين غير متماثلين وغير متضادين.

(١) ينظر: الإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي/ المستصفى من علم الأصول/ مكتبة المثنى - بغداد/ الجزء الثاني/ ٢٢٦.

(٢) ينظر: المصدر نفسه، ٢/ ٢٢٦.

وطريقة الاختلاف في المنطق تقول قاعدتها: إذا كانت الحالتان اللتان تقع الظاهرة في إحداهما، ولا تقع في الأخرى، متفقتين في جميع الظروف إلا في ظرف واحد، فإن هذا الظرف الوحيد الذي تتفقان فيه هو نتيجة تلك الظاهرة، أو علتها، أو الجزء الضروري من علتها.

وطريقة الاختلاف مقابلة لطريقة الاتفاق، أي لطريقة التلازم في الوقوع، وهي أكثر خطورة منها في البرهان على صدق الفرضية، حتى لقد سماها العلماء بالطريقة الحاسمة وقالوا: أن خير طريقة للبرهان على أن حادثة ما تلعب دور العلة في حادثة أخرى هي أن ترفع الأولى وترفع الثانية معها^(١).

وإن الاختلاف في القضيتين المتناقضتين يجب أن يكون في أمور ثلاثة: (الكم والكيف والجهة).

الاختلاف بالكم والكيف:

أما الاختلاف بالكم والكيف، فمعناه أن إحداهما إذا كانت موجبة كانت الأخرى سالبة، وإذا كانت كلية كانت الثانية جزئية لأنهما لو كانتا موجبتين أو سالبتين لجاز أن يصدقا أو يكذبا معاً.

ولو كانتا كليتين لجاز أن يكذبا معاً، كما لو كان الموضوع أعم. ولو كانتا جزئيتين لجاز أن يصدقا معاً كما لو كان الموضوع أيضاً أعم. نحو: بعض المعدن حديد، وبعض المعدن ليس بحديد.

الاختلاف بالجهة:

أما الاختلاف بالجهة، فأمر يقتضيه طبع التناقض كالاختلاف بالإيجاب والسلب، لأن نقيض كل شيء رفعه فكلما يرفع بالإيجاب بالسلب والسلب بالإيجاب، فلا بد من رفع الجهة بجهة تناقضها.

ولكن الجهة التي ترفع جهة أخرى قد تكون من إحدى الجهات المعروفة،

(١) ينظر: د. جميل صليبا/ المعجم الفلسفي/ دار الكتاب اللبناني/ بيروت/ ط١/ ١٩٧١ م/ ج١، ص٤٧.

فيكون لها نقيض صريح مثل رفع الممكنة العامة بالضرورة وبالعكس، لأن الإمكان هو سلب الضرورة.

وقد لا تكون من الجهات المعروفة التي لها عندنا اسم معروف، فلا بد أن نلتمس لها جهة من الجهات المعروفة تلازمها، فنطق عليها اسمها فلا يكون نقيضاً صريحاً، بل لازم النقيض.

مثلاً (الدائمة) تناقضها (المطلقة العامة) ولكن لا بالتناقض الصريح، بل إحداهما لازمة لنقيض الأخرى. فإذا قلت: (الأرض متحركة دائماً) فنقيضاً الصريح سلب الدوام، ولكن سلب الدوام ليس من الجهات المعروفة، فنلتمس له جهة لازمة، فنقول: لازم عدم الدوام أن سلب التحرك عن الأرض حاصل في زمن من الأزمنة أي (أن الأرض ليست متحركة بالفعل). وهذه مطلقة عامة تكون لازمة لنقيض الدائمة. وإذا قلت: (كل إنسان كاتب بالفعل)، فنقيضها الصريح أن الإنسان لم تثبت له الكتابة كذلك، أي بالفعل. ولازم ذلك دوام بالسلب أي (أن بعض الإنسان ليس بكاتب دائماً) وهذه دائمة وهي لازمة لنقيض المطلقة العامة^(١).



(١) ينظر: محمد رضا مظفر/ المنطق (مجموعة المحاضرات)، ٤٤/٢.



المبحث الرابع التوراة في القرآن الكريم

المطلب الأول: التوراة في القرآن الكريم

من المعروف إن التوراة هي الكتاب الذي أنزل على نبي الله موسى ﷺ. وقد جاءت الآيات القرآنية في ضوء ذلك، مؤكدة نبوة موسى ﷺ، وكون التوراة كتاب الله المنزل على نبيه موسى ﷺ. قال تعالى: ﴿زَكَرْنَاكَ عَلَيْكَ أَلَكِنَّا بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلْنَا التَّوْرَةَ﴾^(١).

يقول الإمام القرطبي في الآية: [لما بين يديه]، يعني من الكتب المنزلة، والتوراة معناها الضياء والنور^(٢)، «ويقول الحافظ ابن كثير: وقوله [وأنزل التوراة] أي على موسى بن عمران»^(٣).

وقوله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾^(٤). قال ابن جريج: الكتاب الكتابة والخط، وقيل كتاب التوراة والإنجيل علمه الله عيسى ﷺ، وقوله تعالى: ﴿وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَإِلَّا جَدَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾^(٥)، ﴿وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ﴾ أي مقررًا لها ومثبتًا^(٦).

(١) سورة آل عمران/ الآية (٣).

(٢) ينظر: أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي/الجامع لأحكام القرآن ط ٣/٤ ص ٥.

(٣) ينظر: الإمام الجليل الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي/ تفسير القرآن العظيم/ دار أحياء الكتب العربية/ الجزء الأول/ ص ٣٤٤.

(٤) سورة آل عمران/ الآية ٤٨.

(٥) سورة آل عمران/ الآية ٥٠.

(٦) ينظر: ابن كثير/ تفسير القرآن العظيم/ ص ٣٦٥.

وقوله تعالى: ﴿يَتَأَهَّلَ الْمُكْتَبُ لِمَ تُحَاجُّوْنَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده).

قال الزجاج: هذه الآية أبين حجة على اليهود والنصارى، إذ التوراة والإنجيل أنزلا من بعده وليس فيهما اسم لواحد من الأديان، واسم الإسلام في كل كتاب. يُقال كان بين إبراهيم وموسى ألف سنة، وبين موسى وعيسى ألف سنة ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ دحوض حجتكم وبطلان قولكم^(١).

وقوله تعالى: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ قُلْ فَأَتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٢).

قوله تعالى: ﴿قُلْ فَأَتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾. قال ابن عباس لما أصاب يعقوب عليه السلام عرق النسا وصف الأطباء له أن يجتنب لحوم الإبل فحرمها على نفسه، فقالت اليهود إنما نحرم على أنفسنا لحوم الإبل، لأن يعقوب حرّمها وأنزل الله تحريمها في التوراة، فأنزل الله هذه الآية. قال الضحاك: فكذبهم الله وردّ عليهم فقال يا محمد ﴿قُلْ فَأَتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فلم يأتوا. فقال عز وجل: ﴿فَمَنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكُذْبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ قال الزجاج: في هذه الآية أعظم دلالة لنبوءة محمد نبينا ﷺ، أخبرهم أنه ليس في كتابهم، وأمرهم أن يأتوا بالتوراة فأبوا، يعني عرفوا أنه قال ذلك بالوحي. وقال عطية العوفي: إنما كان ذلك حراماً عليهم بتحريم يعقوب ذلك عليهم، وذلك إن إسرائيل قال حين أصابه عرق النسا: والله لئن عافاني الله منه لا يأكله لي ولد، ولم يكن ذلك محرماً عليهم. وقال الكلبي: لم يحرمه الله عز وجل في التوراة عليهم وإنما حرمه بعد التوراة بظلمهم وكفرهم، وكانت بنو إسرائيل إذا أصابوا ذنباً عظيماً حرم الله تعالى عليهم طعاماً طيباً، أو صب عليهم رجزاً وهو الموت^(٣). وقوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ يُحْكِمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ (٤). قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ يُحْكِمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ﴾ قال الحسن: هو الرجم، وقال قتادة: هو القود، ويقال هل يدل قوله تعالى: ﴿فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ﴾ على أنه لم ينسخ؟ الجواب: قال

(١) ينظر: القرطبي/ الجامع لإحكام القرآن/ ج ٤/ ص ١٠٧. (٢) سورة آل عمران/ الآية ٩٣.

(٣) ينظر: القرطبي/ الجامع لإحكام القرآن/ ج ٤/ ص ١٣٥. (٤) سورة المائدة/ الآية ٤٣.

أبو علي: نعم، لأنه لو نسخ لم يطلق عليه بعد بالنسخ إنه حكم الله، كما لا يطلق إن حكم الله تحليل الخمر أو تحريم السبت^(١)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوْنَ الْنَّكَاسَ وَأَخْشَوْنَ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾^(٢).

قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ أي بيان وضياء وتعريف أن محمداً ﷺ حق ﴿هُدًى﴾ في وضع رفع الابتداء ﴿وَنُورٌ﴾ عطف عليه. ﴿يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا﴾.

قيل المراد بالنبيين محمد ﷺ وعبر عنه بلفظ الجمع. وقيل: كل من بعث من بعد موسى بإقامة التوراة، وإن اليهود قالت: إن الأنبياء كانوا يهوداً. وقالت النصارى كانوا نصارى، فبين الله عز وجل كذبهم ومعنى ﴿أَسْلَمُوا﴾ صدقوا بالتوراة من لدن موسى إلى (زمان) عيسى (عليهما السلام) وبينهما ألف نبي، ويقال أربعة آلاف ويقال أكثر من ذلك كانوا يحكمون بما في التوراة^(٣).

وقوله تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾^(٤).

قوله تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾، أي جعلنا عيسى يقفو آثارهم، أي النبيين الذين أسلموا. ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ يعني التوراة، فإنه رأى التوراة حقاً، ورأى وجوب العمل بها^(٥).

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِمْ مِنَ رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾^(٦). وإقامة التوراة والإنجيل العمل بمقتضاهما وعدم تحريفهما^(٧).

(١) ينظر: القرطبي/ الجامع لأحكام القرآن/ ج ٦/ ص ١٨٨. (٢) سورة المائدة/ الآية ٤٤.

(٣) ينظر: القرطبي/ الجامع لأحكام القرآن/ ج ٦/ ص ١٨٨. (٤) سورة المائدة/ الآية (٤٦).

(٥) ينظر: القرطبي/ الجامع لأحكام القرآن/ ج ٦/ ص ١٨٨. (٦) سورة المائدة/ الآية (٦٦).

(٧) ينظر: القرطبي/ الجامع لأحكام القرآن/ ج ٦/ ص ٢٤١.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِن رَّبِّكُمْ وَلَازِمًا لِّبِكُمْ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾^(١). قال ابن عباس: جاء جماعة من اليهود إلى النبي محمد ﷺ فقالوا: ألسنت تقرر أن التوراة حتى من عند الله؟ قال «بلى». فقالوا: فأنا نؤمن بها ولا نؤمن بما عداها، فنزلت الآية، أي لستم على شيء من الدين حتى تعلموا بما في الكتابين من الإيمان بمحمد ﷺ، والعمل بما يوجبه ذلك منهما.

وقال أبو علي: يجوز أن يكون ذلك قبل النسخ لهما^(٢).

وقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعْقِبِي أِبْنَ مَرْيَمَ أُذْكَرُ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخَلَّقُ مِنَ الطَّيْنِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَامَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِعَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْحَرٌ مُّبِينٌ﴾^(٣). فالكتاب، يشمل الكتب السابقة، وخصوصاً التوراة، فإنه من أعلم أنبياء بني إسرائيل - بعد موسى - بها. ويشمل الإنجيل الذي أنزله الله عليه. والحكمة هي:

معرفة أسرار الشرع، وفوائده، وحكمه، وحسن الدعوة، والتعليم، ومراعاة ما ينبغي على الوجه الذي ينبغي^(٤).

وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٥).

روى البخاري قال: حدثنا محمد بن سنان قال حدثنا فليح قال حدثنا هلال عن عطاء بن يسار لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص قلت: أخبرني عن صفة

(١) سورة المائدة/ الآية (٦٨).

(٢) ينظر: القرطبي/ الجامع لأحكام القرآن/ ج ٦/ ص ٢٤٥.

(٣) سورة المائدة/ الآية (١١٠).

(٤) ينظر: القرطبي/ الجامع لأحكام القرآن/ ج ٦/ ص ٣٦٢.

(٥) سورة الأعراف/ الآية (١٥٧).

رسول الله ﷺ في التوراة. فقال:

أجل والله أنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾^(١)، وحرزاً للأمة، أنت عبي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ ولا صحاب في الأسواق، ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله تعالى حتى يقم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله، ويفتح لها أعيناً عمياً، وأذاناً صماً، وقلوباً غلفاً^(٢).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِآتٍ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَدِّمُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَا عَلَيْهِمْ حَقًّا فِي التَّوْبَةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِنِعْمِ اللَّهِ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾^(٣).

إخبار من الله تعالى إن هذا كان في هذه الكتب وإن الجهاد ومقاومة الأعداء أصله من عهد موسى عليه السلام^(٤).

وقوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْبَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَرَرَجٍ أَخْرَجَ شَطْرَهُمْ فَفَازَرَهُمْ فَاسْتَغَلَطَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سَوْفِهِمْ يَعْعِبُ الرَّزَاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾^(٥).

قال الفراء: فيه وجهان، إن شئت قلت المعنى ذلك مثلهم في التوراة وفي الإنجيل أيضاً، كمثلهم في القرآن فيكون الوقف على ﴿الْإِنجِيلِ﴾. وإن شئت قلت، تمام الكلام ذلك مثلهم في التوراة، ثم ابتداء فقال: ومثلهم في الإنجيل. وكذا قال ابن عباس وغيره: هما مثلان، أحدهما في التوراة والأخر في الإنجيل وقال مجاهد: وهو مثل واحد، يعني أن هذه صفتهم في التوراة والإنجيل^(٦).

ويقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ

- (١) سورة الأحزاب/ الآية (٤٥).
 (٢) ينظر: القرطبي/ الجامع لأحكام القرآن/ ج ٧/ ص ٢٩٩.
 (٣) سورة التوبة/ الآية (١١١).
 (٤) ينظر: القرطبي/ الجامع لأحكام القرآن/ ج ٨/ ص ٢٦٦.
 (٥) ينظر: القرطبي/ الجامع لأحكام القرآن/ ج ١٦/ ص ٢٩٤.
 (٦) ينظر: القرطبي/ الجامع لأحكام القرآن/ ج ١٦/ ص ٢٩٤.

مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا رَسُولٍ آتَىٰ مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١﴾.

أي وأذكر لهم هذه القصة أيضاً وقال: ﴿يَبْنَؤِ إِسْرَءِيلَ﴾ ولم يقل (يا قوم) كما قال موسى ﷺ، لأنه لا نسب له فيهم فيكونون قومه ﴿إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ أي بالإنجيل ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ﴾ لأن في التوراة صفتي وأناي لم آتيكم بشيء يخالف التوراة فتنفروا عني (٢).

وقوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (٣).

ضرب مثلاً لليهود لما تركوا العمل بالتوراة ولم يؤمنوا بمحمد ﷺ ﴿حُمِلُوا التَّوْرَةَ﴾ أي كُلفوا العمل بها، عن ابن عباس. وقال الجرجاني: هو من الحمالة بمعنى الكفالة، أي ضمنوا أحكام التوراة. ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ هي جمع سفر، وهو الكتاب الكبير، لأنه يسفر عن المعنى إذا قرئ. قال ميمون بن مهران: الحمار لا يدري أسفر على ظهره أم زبيل، فهكذا اليهود. وفي هذا تنبيه من الله تعالى لمن حمل الكتاب أن يتعلم معانيه ويعلم ما فيه، لئلا يلحقه من الذم ما لحق هؤلاء (٤). وقد وردت آيات في القرآن الكريم فيها دلالات واضحة على معنى التوراة ومن هذه الآيات. قوله تعالى: ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لِمَّا كُنْتُمْ نَهْتَدُونَ﴾ (٥).

وفيه المراد بالكتاب: التوراة بإجماع المتأولين. واختلف في الفرقان، فقال الفراء ومطرب:

المعنى آتينا موسى التوراة ومحمداً ﷺ الفرقان.

قال النحاس: هذا خطأ في الإعراب والمعنى، أما الإعراب فإن المعطوف على الشيء مثله، وعلى هذا القول يكون المعطوف على الشيء خلافه. وأما المعنى فقد قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُنْفِقِينَ﴾ (٦). قال أبو إسحاق الزجاج: يكون الفرقان هو الكتاب، أعيد ذكره باسمين تأكيداً. وقال ابن زيد:

- (١) سورة الصف/ الآية (٦). (٢) ينظر: القرطبي/ الجامع لأحكام القرآن/ ج ١٨/ ص ٨٢.
 (٣) سورة الجمعة/ الآية (٥). (٤) ينظر: القرطبي/ الجامع لأحكام القرآن/ ج ١٨/ ص ٩٤.
 (٥) سورة البقرة/ الآية (٥٣). (٦) سورة الأنبياء/ الآية (٤٨).

الفرقان انفراق البحر له حتى صار فرقاً فعبروا وقيل الفرقان الفرج من الكرب، لأنهم كانوا مستعبدين مع القبط.

ومنه قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَقُومُوا لِلَّهِ لَجَلْمٌ لِّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَعِزَّزْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٠٦﴾^(١)، أي فرجاً ومخرجاً. وقيل أنه الحجة والبيان^(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ ؕ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ؕ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿١٠٧﴾^(٣). والمراد بالكتاب هنا هو التوراة^(٤).

وقوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَ وَالنَّبُوءَةَ ؕ إِن يُكَفِّرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴿١٠٨﴾^(٥) والمراد بالكتاب أيضاً هو التوراة^(٦).

وقوله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً ؕ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ؕ وَمَن يُكْفَرْ بِهِ ؕ مِنَ الْأَحْزَابِ ؕ فَآلْتَارُ مَوْعِدُهُ ؕ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾^(٧).

ومن قبله أي من قبل الإنجيل ﴿كِتَابُ مُوسَى﴾ رفع بالابتداء، قال أبو إسحاق الزجاج:

والمعنى ويتلوه من قبله كتاب موسى بالنصب. وحكاها المهدي عن الكلبي، يكون معطوفاً على الهاء في ﴿وَيَتْلُوهُ﴾ والمعنى ويتلو كتاب موسى جبريل عليه السلام. وكذلك قال ابن عباس (رضي الله عنهما) المعنى من قبله تلا جبريل كتاب موسى على موسى. ويجوز على ما ذكره ابن عباس أيضاً من هذا القول أن يرفع ﴿كِتَابُ﴾ على أن يكون المعنى: ومن قبله كتاب موسى كذلك أي تلاه جبريل

(٢) ينظر: القرطبي/ الجامع لأحكام القرآن/ ج ١/ ص ٣٩٩.

(١) سورة الأنفال/ الآية (٢٩).

(٤) ينظر: القرطبي/ الجامع لأحكام القرآن/ ج ٢/ ص ٢٣.

(٣) سورة البقرة/ الآية (٨٧).

(٦) ينظر: القرطبي/ الجامع لأحكام القرآن/ ج ٧/ ص ٣٤.

(٥) سورة الأنعام/ الآية (٨٩).

(٨) ينظر: القرطبي/ الجامع لأحكام القرآن/ ج ٩/ ص ١٦-١٧.

(٧) سورة هود/ الآية (١٧).

على موسى كما تلا القرآن على محمد^(٨).

وقوله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا تَنَجَّدُوا مِن دُونِي وَكَيْلًا﴾^(١). يعني وأكرمنا موسى بالكتاب وهو التوراة^(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيْرًا﴾^(٣). ويريد بالكتاب هنا التوراة أيضاً^(٤).

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾^(٥).

يعني التوراة. قاله قتادة. قال يحيى بن سلام هو أول كتاب (يعني التوراة) نزلت فيه الفرائض والحدود والأحكام^(٦).

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾^(٧).

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾^(٨).

وقوله تعالى: ﴿وَمِن قَبْلِهِ كَتَبْنَا مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانِ عَرَبِيًّا يُسْذَرُ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَاُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ﴾^(٩). ونعني هذه الآيات هو التوراة^(١٠).



- (١) سورة الإسراء/ الآية (٢).
 (٢) ينظر: القرطبي/ الجامع لأحكام القرآن/ ج ١٠/ ص ٢١٢.
 (٣) سورة الفرقان/ الآية (٣٥).
 (٤) ينظر: القرطبي/ الجامع لأحكام القرآن/ ج ١٣/ ص ٣٠.
 (٥) سورة القصص/ الآية (٤٣).
 (٦) ينظر: القرطبي/ الجامع لأحكام القرآن/ ج ١٣/ ص ٢٩٠.
 (٧) سورة السجدة/ الآية (٢٣).
 (٨) سورة فصلت/ الآية (٤٥).
 (٩) ينظر: سورة الأحقاف/ الآية (١٢).
 (١٠) ينظر: القرطبي/ الجامع لأحكام القرآن/ الأجزاء على التوالي ج ١٤ وج ١٥ وج ١٦/ الصفحات على التوالي ص ١٠٨ وص ٣٧٠ وص ١٩١.

المطلب الثاني: كتاب التوراة

كتاب التوراة:

إن مجموعة أسفار العهد القديم^(١) قد جمعها رجال السنهدرين الذي تأسس عقب رحلة أحفاد المرحلين إلى بابل الذي رغبوا في البحرة إلى أورشليم بعد سقوط بابل على يد كورش الملك الفارسي سنة ٥٣٨ ق.م، وكان السنهدرين مؤلفاً من مائة وعشرين عضواً بينهم عزراً ونحمياً وزورو بابل (حفيد يهوياكيم) ودانيال وحجاي وزكريا ملاكي ومردوخاي وقد كان اليهود يأملون أن يسمح لهم كورش الفارسي أن يعيدوا بناء دولة يهوذا، إلا أنه منعهم عن ذلك فانشغلوا بجمع التوراة وبناء الهيكل المقدس^(٢).

وقد جمع هذا الكتاب في عهد عزرا الكاتب الهاروني ومجموع أسفاره تسعة وثلاثون سفرأ يطلق عليه العهد القديم وتميزاً له عن العهد الجديد إنجيل المسيحيين، وقد يحسب كل سفر مزدوجاً مثل صموئيل الأول والثاني والملوك الأول والثاني والأخبار الأول والثاني سفرأ واحداً وعزرا ونحميا وأسفار الملوك الأثني عشر سفرأ واحداً، فيكون مجموعها أربعة وعشرين سفرأ، مجموع إصحاحاتها ٩٢٩ إصحاحاً.

ويطلق على العهد القديم مصطلح (تناخ) حيث إنه مأخوذ من الحروف الأولى الأقسام الكتاب الثلاثة وهي التوراة، الأنبياء، الكتب المقدسة (الأخبار)^(٣).

ويقرر التاريخ أن موسى ﷺ كتب نسخة التوراة ووضعها مع اللوحين في التابوت^(٤)، مرت الأيام، وظهر في بني إسرائيل كثير من الفجرة والكفرة حتى جاء عهد سليمان وفتح التابوت بعد أن وضع في الهيكل، فلم توجد به نسخة التوراة،

(١) إن أول من أطلق لفظ العهد القديم هو بولص الرسول في رسالة الثانية إلى أهل كورنثوس (إصحاح ٣/ ١٤). ينظر: د. فؤاد حسنين/ التوراة الهيروغليفية/ القاهرة (بدون تاريخ).

(٢) ينظر: تاريخ الآلهة/ الكتاب الثالث، ص ٩٥.

(٣) ينظر: د. سعدون الساموك. ورشدي عليان/ تاريخ الرنانيين اليهودية والمسيحية/ مديرية دار الكتب للطباعة والنشر/ جامعة الموصل/ عام ١٩٨٨م، ص ٣٦.

(٤) ينظر: خرو: ٢٥: ٢١.

وإنما وُجد به اللوحان الحجريان فقط، وقد جاء في الكتاب المقدس عن ذلك (...لم يكن في التابوت إلا لوحا الحجر اللذان وضعهما موسى هناك في حوريب حين عاهد الرب بني إسرائيل عند خروجهم من أرض مصر)^(١).

وحدثت بعد سليمان أحداث دينية عجيبة، وصلت إلى الردة وعبادة الأوثان وعبادة آلهة الأقوام المجاورين، وتعرض بيت المقدس للسلب والنهب والتدمير عدة مرات، وبُني مذبح للأصنام في فناء بيت المقدس ولم يُعد هناك ذكراً للتوراة ولا صلة بها، ويعد سقوط مملكة إسرائيل، بقيت مملكة يهوذا تعاني صوراً من الاضطراب والفوضى، وكان اتجاهاها غالباً إلى الزندقة والكفر، وقبيل سقوطها آل السلطان إلى الملك يوشيا ابن آمون (حوالي ٦٢٩ - ٥٩٨ ق. م) وحال هذا إلى العودة للإيمان، واتباع التوراة رجاء أن يكون في هذا إنقاذ مملكته من الفوضى والدمار، وكان يعاصره كاهن اسمه حلقياً انتهز فرصة هذا الميل في الملك فأدعى - بعد سبعة عشر عاماً من حكم يوشيا - أنه وجد نسخة التوراة في بيت المقدس، وأعطاهما إلى شافان الكاتب^(٢).

ولا يقبل الباحثون إدعاء حلقياً، إذ لا يعقل أن توجد نسخة التوراة في بيت المقدس ولا يراها أحد قبل يوشيا ولا خلال السبعة عشر عاماً الأولى من حكمه، وكما يرى الباحثون أن حلقياً أنتهز فرصة ميل يوشيا إلى العودة لدين الله والعمل بالتوراة، فكيف خلال هذه الأعوام السبعة عشر ما أسماه أسفار التوراة، وليس ذلك في الحقيقة إلا من مخترعاته ومما سمعه من أفواه الناس، بقي أن تقتبس جملة واحدة من الباحث العلامة ول ديورانت الذي يقرر أنه لم يبق لدينا من شريعة موسى سوى الوصايا العشر^(٣).

وحقيقة القول أن اليهود بعد أن انحرفت اعتقاداتهم وطباعهم تخلصوا من أسفار موسى الحقيقية لأنها كانت تختلف عما أرادوا من طباع وخلق، وكتبوا سواها

(١) ١ مل: ٨: ٩.

(٢) ينظر: إظهار الحق/ الشيخ رحمة الله الهندي/ دار الكتب العلمية - بيروت لبنان/ ط ١/ ١٩٩٣ م/ ص ٣٢٣ - ٣٢٥.

(٣) ينظر: ول ديورانت/ قصة الحضارة/ ج ٢/ ص ٣٧١.

مما يتناسب مع ما يريدون من تاريخ ومن عقيدة، فعن أسفار موسى مثلاً أنه لا يوجد بها من قريب أو من بعيد ما يفيد أن موسى هو الذي جاء بها، أنزلت عليه، بل على العكس من ذلك يوجد ما يقرر خطأ نسبة هذه الأسفار إلى موسى، وفيما يلي اقتباسات من هذه الأسفار تدعم هذه الحقيقة:

جاء في سفر التثنية ما يلي: (فمات موسى عبد الرب في أرض مؤاب، ولم يعرف).
وليس من المعقول أن يكتب موسى ذلك عن نفسه.

وجاء في نفس السفر (ولم يقيم بعد نبي في بني إسرائيل مثل موسى)^(١). ومن الواضح أن مثل هذه العبادة لا تقال إلا بعد موت موسى بزمان ليس بقصير.

وجاء في سفر التكوين ما يلي: (وهؤلاء هم الملوك الذين ملكوا في أرض أدوم قبلما ملك ملك بني إسرائيل)^(٢). وهذه الفقرة تدل على إنها كتبت في عهد ملك بني إسرائيل أو بعده، وعهد ملك بني إسرائيل متأخر عن موسى بعشرات السنين أو بمئات السنين.

ومن هذا ندرك أن أسفار التوراة ليست من صنع موسى وإنما نسبت له لكثرة ورود اسمه بها.

ويقول الباحث J.smith عن سفر الخروج: إن هذا الذي نقرأه بين أسفار الكتاب المقدس، لم يكتب إلا بعد فترة طويلة من الأحداث الواردة فيه، وربما كانت هذه الأحداث محفوظة جيلاً عن جيل، إذ كان بعضها، كما لا يزال الحال حتى الآن، ضمن التلاوة الدينية التي يرتلها رجال الدين في المناسبات وبخاصة عيد الفصح^(٣).

فإذا تركنا أسفار موسى إلى سواها من الأسفار وجدنا النتيجة نفسها، فإن هذه الأسفار نسبت إلى غير مؤلفيها الحقيقيين، ويبدو أن المؤلفين كانوا متأخرين جداً عما نسبت لهم هذه الأسفار، وقد قرر الكتاب الغربيون هذه الحقيقة، ويرى بعضهم أن سفر يوشع كتبه أرميا، وبين يوشع وأرميا أكثر من ثمانية قرون تقريباً، ويرى آخرون أنه تصنيف صموئيل، ويرى فريق ثالث أنه تصنيف فيخاس^(٤). وسفر

(٢) تك: ٣٦: ٣١.

(١) تث: ٣٤: ١٠.

(٣) ٣٥ - ٣٤ p. Godand man in Early Israel . (٤) ينظر: الهندي/ إظهار الحق/ ص ٦٦.

القضاة ينسبه بعض الكتّاب الغربيين إلى حزقيال، وينسبه آخرون إلى عزرا، وينسبه فريق ثالث إلى فيخاس، وبين عزرا وفيخاس أكثر من تسعة قرون^(١)، وسفر دانيال لا يمكن أن يكون قد كُتب في ذلك الزمن البعيد الذي عاش فيه دانيال، أي عندما سقطت بابل في يد الملك الفارسي كورش سنة ٥٣٨ ق.م بل لا بد أن يكون هذا السفر قد كُتب بعد ذلك بثلاثة قرون أو أربعة.

ويمتاز هذا السفر بما يلي:

١ - يتضمن هذا السفر كلمات مقدونية مع أن اليهود في زمن الأسر البابلي لم يكونوا قد خالطوا اليونانيين بعد ولا صكت أسماءهم اللغة اليونانية.

٢ - وفيه وصف للكلدانيين لا يتسنى الإتيان به لكاتب سابق على عصر الإسكندر.

٣ - أقتبس طرفاً من أقوال إرميا وحزقيال وزكريا مع أن هؤلاء الأنبياء لم يكونوا قد وجدوا إبان الأسر البابلي^(٢)، والأسفار المنسوبة إلى سليمان ليست إليه، ومثل هذا يقال عن كل الأسفار أو أكثرها. وإن العلماء مجمعون على أن أقدم ما كتب من أسفار التوراة هو سفر التكوين، وقد كُتب بعضه في يهوذا وبعضه في إسرائيل، ثم تم التوافق بين ما كُتب هنا وهناك بعد سقوط دولتي اليهود، والرأي الغالب أن سفر التثنية من كتابة عزرا، ويبدو أن أسفار التوراة الخمسة قد اتخذت صورتها الحاضرة حوالي عام ٣٠٠ ق.م^(٣).

ومن يلاحظ سفر أخبار الأيام الأول والثاني فإن سفر أخبار الأيام الثاني يحمل نفس العبارات الموجودة في سفر عزراً ولكن بتغيير طفيف أحياناً. وقد دعت هذه المسألة بعض الباحثين إلى الاعتماد بأن سفري أخبار الأيام الأول والثاني في الأصل يكونان مع سفر عزرا كتاباً واحداً في التاريخ. وسفر الأخبار يحويان محتويات لا تختلف كثيراً عن المحتويات التي وردت في أسفار موسى وفي أسفار الملوك، ففي سفر الأخبار الأول حديث عن آدم وأولاده، وعن الملوك الذين ملكوا

(١) ينظر المصدر نفسه/ ص ٦٨.

(٢) ينظر: عصام الدين حنفي ناصف/ محنة التوراة على أيدي اليهود/ ص ٥٩ - ٦٠.

(٣) ينظر: ول ديورانت/ قصة الحضارة/ ٢/ ٣٦٧ - ٣٦٨.

أرض أدوم قبل بني إسرائيل، ويبدأ الإصحاح الثاني عهداً لبني إسرائيل من الأجداد إلى الأحفاد بتفاصيل واسعة حتى عهد داود وسليمان، وابتداءً من الإصحاح العاشر يتكلم السفر عن ملوك بني إسرائيل بعد الانقسام حتى السبي وعلى العموم فإن هذين السفرين اقتبسا أكثر ما بهما من الأسفار التي ورد الحديث عنها من قبل^(١).

أما أسفار عزرا ونحميا فينسب سفر عزرا إلى عزرا الكاهن، ويبدو أنه عزير الذي ورد ذكره في القرآن الكريم، ويقص هذا السفر قصة عودة بعض المسيبين من بابل إلى أورشليم ثم يجيء في بعض النسخ - سفر يحمل الاسم معاً (عزراً - نحمياً) ويلى ذلك سفر نحميا، ولو تتبعنا الأحداث التاريخية لكان سفر نحمياً جديراً بالتقدم على سفر عزرا، لأن نحميا سبق عزرا في الحضور إلى أورشليم، ولكن يبدو أن شخصاً واحداً هو الذي ألف سفر أخبار الأيام بقسميه وكذلك الأسفار والمنسوبة لعزرا ونحميا وكان ذلك حوالي ٣٠٠ ق. م أي بعد عزرا ونحميا بأكثر من قرنين^(٢). وذلك على الرغم من أن في سفر نحميا عبارات كثيرة يتحدث فيها الكاتب عن نفسه متمصاً شخصية نحميا، وقد تقدم سفر عزرا لأهمية هذا الكاهن في التاريخ اليهودي، ولأنه بعد أن حضر سبق نحميا في المكانة، وكان له قصب السبق في إعادة بناء الهيكل.

وقد تمكن نحميا بذكائه وحسن سياسته من أن يؤثر على ملك الفرس فأذن له بالذهاب إلى أورشليم، لإعادة أسوارها وبناء أبوابها وتشبيد قلاعها، وقد تمكن نحميا من إعادة بناء السور، ثم جاء عزرا ومعه ألف وثمانمائة شخص إلى أورشليم، وكان من بينهم رجال المعبد لإعادة شريعة يهوه، وأصبح عزرا نائباً عن الملك، يعين الموظفين ويوقع عليهم العقوبات وهكذا قام عزرا بحركة إصلاح ديني في القرن الخامس قبل الميلاد، وكانت حركة معزرة بالسلطة الحكومية التي كان يمثلها عزرا في نفس الوقت، ويحوي السفر قانوناً، يفرض على الشعب الطاعة العمياء لعزرا لأنه يؤيد شريعة موسى، كما يسرد السفر أعمال الإصلاح الدينية والاجتماعية

(١) ينظر: د. أحمد شلبي/ مقارنة الأديان اليهودية/ مكتبة النهضة المصرية - القاهرة/ ط١/ ١٩٦٦

م/ ص ٢١٦.

(٢) ينظر: د. أحمد شلبي/ مقارنة الأديان/ اليهودية/ ص ٢١٧.

التي تُنسب إليه، ويُعد سفرًا أخبار الأيام وأسفار عزرا ونحميا سلسلة متكاملة مستقلة تشمل تاريخ العالم من آدم إلى عزرا، حتى ليتمكن بها الاستغناء عن باقي الأسفار التاريخية مع شيء من الاختصار وأسفار عزرا ونحميا هي أقدم الأسفار التي تتحدث عن اليهود بعد المنفى^(١).

ومن يطالع سفر أيوب يرى أن قصة أيوب الواردة في العهد القديم فيها عناصر قصة أيوب التي أوردها القرآن الكريم، ولكن العهد القديم يصور أيوب حائراً بين الرضا والثورة، فهو أحياناً يرضى بما ينزل به، وأحياناً يثور ويتساءل: لماذا نزل بي كل هذا، فأيوب مؤمن بالله راضٍ بما قسم له، ولكن كان هناك دهان بين الله وبين الشيطان ويحاول الشيطان أن يثير التساؤل والسخط في نفس أيوب، ويعتبر الدارسون الغربيون سفر أيوب من أمتع الأسفار من الناحية الفلسفية والأدبية، ويقول عنه كارليل: هو كتاب نبيل وهو كتاب الناس أجمعين^(٢).

أما المزامير فقد سمي بذلك الاسم لأنه يحوي مجموعة من الأغاني تُنشَد بمصاحبة المزامير، فهذا السفر يناظر ما يُعرف في العربية بالتهليل والتواشيح والتسابيح، وبعض المزامير طقوس دينية، وبعضها يتصل بالأعياد الإسرائيلية، وأكثر المزامير ترجع لداود، فله وحده ثلاثة وسبعون مزموراً وبالسفر مزامير أخرى لسليمان ولأساف الذي كان رئيس المغنين في عهد داود، وتنسب بعض المزامير لموسى^(٣). وتُنسب أسفار سليمان (الأمثال - الجامعة - نشيد الأناشيد) إلى سليمان، وليست في الحقيقة إليه، وليس في أسلوبها وحدة أو تناسق، فالسفر - فيما نعتقد - ليس من فعل شخص واحد ولا نتاج عصر واحد، وإنما هو من الآداب الشعبية التي تتناقلها الأجيال ويُدخل عليها كثير من الزيادة أو النقصان.

وكما تعدد الأشخاص الذين ألفوا هذه الأمثال، فإن موضوعاتها متعددة أيضاً، فمنها أمثال دينية ومنها أمثال دنيوية، ومنها أمثال للتحذير والإنذار، ومنها ألغاز وهجاء^(٤).

وبعض الأمثال تُردُّ باسم سليمان كنصائح يوجهها لولده، وبعضها تُنسب

(١) ينظر: المصدر نفسه/ ص ٢١٧.

(٢) ينظر: المصدر نفسه/ ص ٢١٩.

(٣) ينظر: المصدر السابق نفسه/ ص ٢٢٠.

(٤) ينظر: المصدر نفسه/ ص ٢٢١.

لسليمان أيضاً ولكنها عامة ليست موجهة إلى أحد، وبعضها تُنسب إلى حكماء، حُدِّدَت أسماؤها أولم تُحدِّد، وممن حددت أسماؤهم (أجور بن ياقة) وبعض هؤلاء يوجهون الأمثال نصائح لأولادهم وبعضهم يطلقونها إطلاقاً، وبعض الأمثال تتصل بالملك (لموئيل) وهي عبارة عن نصائح أمه له لما صار ملكاً، ويُجتم السفر بمدح للزوجة الصالحة، فهو يصفها بأنها (تفوق اللآلئ، بها يثق قلب زوجها، فلا يحتاج إلى غنيمة، تصنع له خيراً لا شراً كل أيام حياتها، تفتح فمها بالحكمة، وفي لسانها سُنَّة المعروف تُراقب طرق أهل بيتها، ولا تأكل خبز الكسل... الحُسن غُشُّ والجمال باطل أما المرأة المتقية الرب فهي تُمدح^(١)).

أما سفر الجامعة فهو أيضاً نوع من الشعر الذي يُطلق عليه شعر الحكمة، وهو قريب الشبه بالإصحاحات الأولى سفر الأمثال، حيث يتحدث حكيم له خبره ومعرفة يسميه السفر (الجامعة)^(٢)، وقد يتشام أحياناً ويتشكل فيما حوله فيتكلم بعبارات الشك والإلحاد والزندقة.

أما سفر نشيد الأناشيد فهو عبارة عن موضوع غرامي أو هو غزل بين يهوه وبين إسرائيل يرتله اليهود حتى اليوم في عيد الفصح، وقد قُبل في الكتاب المقدس لأن فيه اسم سليمان، والحقيقية أنه ليس له، فهو أغانٍ شعبية من وضع الشعب ويردها الشعب في عصور متعددة في مناسبات الزواج والزفاف.

أما أسفار الأنبياء وهي في النسخة الكاثوليكية ستة عشر سفراً، وتكاد تكون محتويات هذه الأسفار متشابهة، فهي أحياناً مهاجمة لسلوك بني إسرائيل ولمعبوداتهم التي مالوا إليها دون يهوه، وهي أحياناً تهديد لهم بالشر نظير سوء سلوكهم، وبعضها يتنبأ بسقوط دولتهم، وبعضها يحث على الخضوع للسلطات الخارجية وبعضها يتكلم عن المسيح المنتظر وهكذا، وترد الفكرة مع أكثر من نبي أحياناً، وليست نسبة هذه الأسفار للأنبياء دقيقة، وليس وضعهم في الكتاب المقدس مسلسلاً تسلسلاً تاريخياً، فعاموس الذي عاش في القرن الثامن قبل الميلاد يجيء بعد ارميا الذي عاش في القرن السابع قبل الميلاد.

وسفر عوبديا يصور رؤيا تلقى فيها خطاباً من الرب يندد بإبادة كل رجل في

(١) ينظر: الإصحاح: ٣١.

(٢) ينظر: الإصحاح: ١٢: ٩.

جيل عيسو لأن أبناء عيسو جادوا على أبناء يعقوب، وسفر حبقوق عبارة عن وحي تلقاه هذا النبي ومناجاة لربه، وفيما يلي فقرات من الإصحاح الأول تشير إلى ما ذكرنا (الوحي رآه حبقوق النبي - حتى متى يارب أدعو وأنت لا تسمع، أصرخ إليك من الظلم وأنت لا تخلص...) (١).

وفي سفر حجّي، ما يدل على أن (الربّ كلف حجّي ليكلم حاكم يهوذا وكاهنها الأكبر مندداً ببقاء بيته خراباً، ويقولهم أنه لم يحن وقت بنائه بينما هم يسكنون في بيوت مغطاة) (٢). وإن أكثر هؤلاء الأنبياء كان ظهورهم في فترة الانقسام، فالسبي، فما بعد السبي.

أما سفر المراثي فيرد بعد سفر ارميا ومنسوباً له وفيها يبكي ارميا حالة يهوذا وأورشليم، وما نزل بيني إسرائيل من انحرافات، والمصير السيئ الذي آلت له دولتهم.

وهنالك أسفار زائدة قد اعترفت بها الكنيسة الكاثوليكية سنة ١٥٤٦م، حيث لم يكن معترف بها قبل هذا التاريخ وهي سبعة أسفار، ومن الجدير بالذكر أن هذه الأسفار وضعت بعد الزمن الذي أتفق على أنه عصر العهد القديم. وهذه الأسفار هي:

سفر طوبيا وهو عبارة عن أسطورة وردت في العهد القديم وسفر يهوديت أيضاً أسطورة وليس هذا السفر تاريخياً، وإنما هو أسطورة تصور آمال بني إسرائيل واتجاه حيلهم.

أما سفر الحكمة فينسب إلى سليمان هو في الحقيقة ليس له، ويتجه مؤلف السفر إلى ملوك الأرض والجبابة بها بالا يغتروا بمكانتهم، وأن يُراعوا العدالة مع من يحكمون، فالحكمة لا تأوي إلى جسد المذنب، كما يتحدث السفر عن أثر الحكمة في الأحداث التاريخية من آدم حتى موسى (عليهم السلام).

أما سفر يسوع بن سيراخ فتنسب ليسوع أمثال كتلك التي تنسب لسليمان، ويسوع هذا رجل يهودي من أورشليم كثير التجوال والتراحل، له أسلوب رائع يصوغ به أفكاره عن الحكمة والرشد، ويُقرر يسوع أن مصدر الحكمة هو الله وإن الله يمنحها لبعض أحبائه، وفي السفر تعاليم أخلاقية وصور من السلوك، وهو ينصح من يريد الكلام أن يستعد له، ويرى من الحكمة إلاّ يستشير الإنسان حسوداً،

(٢) الفقرات الأولى من الإصحاح الأول.

(١) ينظر: الإصحاح الأول: ١ - ٢.

وَأَلَّا يُعْطِي الْجَسَدَ مَا يَضُرُّهُ^(١).

وَأَنْ سَفَرَ بَارُوخَ فَيُنْسَبُ إِلَى بَارُوخَ تَلْمِيزًا أَرْمِيًا وَقَدْ اخْتَفَى مَعَهُ فِي الصَّحْرَاءِ هَرَبًا مِنْ رِجَالِ الدِّينِ الْيَهُودِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْبُدُونَ بَحْلًا وَيَقْدُرُونَ لَهُ الذَّبَائِحَ، وَسَفَرَ بَارُوخَ أَشْتَاتَ مِنَ الْأَفْكَارِ، وَلَيْسَتْ بِهِ وَحْدَةً مَتَنَاسِقَةً.

أَمَّا سَفَرُ الْمَكَابِيونِ الْأَوَّلِ وَالثَّانِي فَأَنْ هُذَيْنِ السَّفَرَيْنِ يَحْوِيَانِ تَارِيخَ الْمَكَابِيِّينَ وَيَشِيدَانِ بِبَطُولَةِ الْأُسْرَةِ الْمَكَابِيَةِ وَفِي الْكُتَابَيْنِ حَدِيثٌ عَنِ الْإِسْكَانْدَرِ الْأَكْبَرِ وَتَرَاثِهِ الْعَقْلِيِّ الَّذِي عَارَضَهُ الْيَهُودُ، وَكَانَتْ هَذِهِ الْمَعَارِضَةُ مِنْ أَسْبَابِ الْخِلَافِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السُّلْطَةِ الْحَاكِمَةِ^(٢).

وَمِنَ الْجَدِيرِ بِالذِّكْرِ أَنَّ أَسْفَارَ الْعَهْدِ الْقَدِيمِ قَدْ نُسِبَتْ إِلَى هَذِهِ الْأَسْمَاءِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا مَعَ كُلِّ سَفَرٍ وَلَكِنَّ الْحَقِيقَةَ أَنَّ هَذِهِ النِّسْبَةَ غَيْرَ صَحِيحَةٍ، وَأَنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ نُسِبَتْ لَهُمُ الْأَسْفَارُ أَوْ أَكْثَرُهُمْ لَمْ يَكْتُبُوهَا، أَوْ لَمْ يَكْتُبُوا حَرْفًا مِنْهَا، وَقَدْ سَبَقَ أَنْ أَشْرْنَا إِلَى هَذَا عِنْدَ حَدِيثِنَا عَنْ بَعْضِ الْأَسْفَارِ، وَرَأَيْنَا أَنَّ بَعْضَ مَنْ نُسِبَتْ إِلَيْهِمُ الْأَسْفَارُ لَيْسَ لَهُمْ وَجُودٌ فِي التَّارِيخِ، وَإِنَّمَا وَضَعَتْ قِصَصَهُمْ وَضَعًا لِهَدَفٍ مُعَيَّنٍ وَبَعْضُ الْأَسْفَارِ لَيْسَتْ فِي الْحَقِيقَةِ إِلَّا أَسَاطِيرَ وَأَغْنِيَاتٍ شَعْبِيَّةً لَصَقَهَا الْكُتَابُ بِبَعْضِ الْأَنْبِيَاءِ أَوْ الْمُتَنْبِئِينَ مِنَ الْيَهُودِ^(٣).

وَإِذَا أَضْفْنَا إِلَى مَا سَبَقَ مَا تَمْتِيزُ بِهِ الْأَسْفَارُ مِنْ تَعَدُّدِ أَسَالِيبِ الْكُتَابَةِ، وَطَرُقِ الْإِنْشَاءِ حَتَّى فِي سَفَرِ الْوَاحِدِ وَتَكَرُّرِ الْمَفْرَدَاتِ فِي مُخْتَلَفِ الْأَسْفَارِ، وَأَثَارِ التَّنْقِيحِ وَالتَّصْحِيحِ الظَّاهِرَةِ فِي أَكْثَرِهِمْ، لَظَهَرَ لَنَا جَلِيًّا مِشَارَكَةَ الْأَيْدِي الْعَدِيدَةِ فِي كُتَابَةِ مَجْمُوعَاتِ التَّوْرَةِ، وَالْأَخْذُ بِمَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ جَمِيعُ النِّقَادِ مِنْذُ عَهْدِ أَسْتْرُوكَ، وَهُوَ أَنَّ هَذِهِ الْأَسْفَارَ كَتَبَتْ مِنْ قَبْلِ أَرْبَعِ فِئَاتٍ مُعَيَّنَةٍ لِكُلِّ مِنْهَا مَدْرَسَتُهَا وَعَصْرُهَا. وَلَقَدْ أَطْلَقَ النِّقَادُ عَلَى كُلِّ مِنْهَا تَسْمِيَةً خَاصَّةً تَمِيزُهَا عَنْ سَوَاهَا، فَالْفِئَةُ الْأُولَى مِنْهَا سُمِّيَتْ بِ (الْيَهُوَايَةِ) (Yahvistes) لِاصْطِلَاحِهَا عَلَى تَسْمِيَةِ الْخَالِقِ بِيَهُوَى وَزَعْمِهَا أَنَّهُ كَانَ يَدْعَى كَذَلِكَ مِنْذُ الْقَدَمِ، وَيُؤَافِقُ ظَهْرُهَا لِلْقَرْنِ التَّاسِعِ قَبْلَ الْمِيلَادِ وَيُنْسَبُ إِلَيْهَا كُتَابَةُ سِيرِ الْأَبَاءِ وَيُرْمَزُ إِلَيْهَا بِالْحَرْفِ (ل) وَالثَّانِيَةُ هِيَ الْمَسْمَاةُ بِالْأَلُوْهِيةِ

(١) ينظر: د. فؤاد حسنين/ التوراة/ في أمكنة متعددة. (٢) ينظر: المصدر نفسه/ في أمكنة متعددة.

(٣) ينظر: د. أحمد شلبي/ مقارنة الأديان اليهودية/ ص ٢٢٩.

(Elohistes) لزعمها أن الخالق كان يدعى قبل عهد موسى بالوهيم، وظهرت للوجود بعد زمن قصير من ظهور اليهودية، واختصت أيضاً بسير الآباء ويرمز إليها بالحرف (E) والفئة الثالثة الثنوية (Deuteronomistes) نسبة لسفر التثنية الذي اختصت بكتابته ولها ظاهرة في عمليات التصليح والتنقيح في الأسفار الأخرى. وساهم أفرادها في الإصلاحات التي أدخلت على الديانة اليهودية في عهد يوشيا، وظهرت للوجود نحو عام ٦٢٢ قبل الميلاد ويرمز إليها بالحرف (D) والفئة الرابعة هي التي ظهرت في عهد المنفى واختصت في كتابة الشرائع والقوانين، وسميت بمدرسة الكهنوت (Ecole sacedogale) ويرمز إليها بالحرف (p)، وهي التي أوجدت ما يسمى بقوانين الكهنوت (Code sacerdotale) تحت إشراف النبي حزقيال^(١)، وهذه الفئات الأربع هي التي كتبت جميع الأسفار الباقية عن العهود السابقة لعهد المنفى. فسفر القضاة يحمل طابع فتني (E-J) مثل الأسفار الأخرى تماماً، كما يحتوي سفر صموئيل على قصص تحمل طابع كتاب (E, J) أيضاً كونه منسوباً لمن يحمل اسمه.

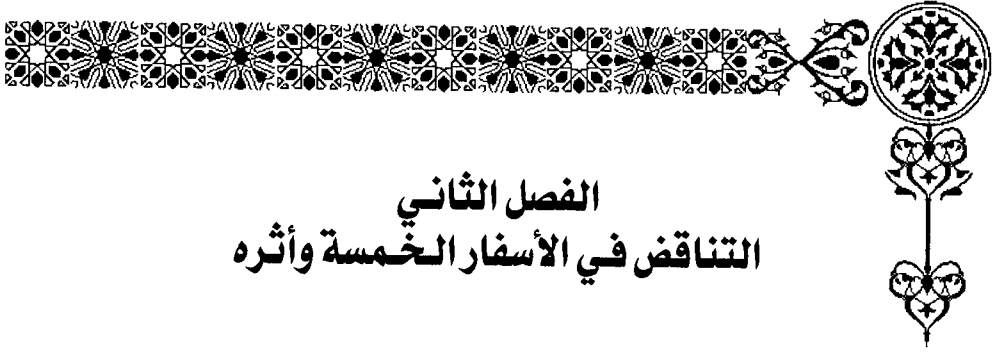
والجدير بالذكر عن هذا السفر هو ذكره لاستعمال الكتابة والوثائق الخطية لأول مرة في التوراة. ويضاف إلى ما سبق ما يلاحظ تقريباً في تكوين أكثر الأسفار من تعدد أساليب الإنشاء، وتجانس مفردات بعضها مع بعض الآخر، وما فيها من أخطاء تكشف عن زيف مزاعم نسبتها لأشخاص أو عهود معينة مثل خلو سفر التكوين الذي نسب إلى موسى، حتى من عبارة واحدة تشير إلى علاقته به أو تدوينه إياه، كما تزخر الأسفار الأربعة الأخرى بعبارات توحى بأنها لم تكتب من قبل موسى، خلافاً لما زعمته المصادر اليهودية.

أما مظاهر الزيادات والنواقص الغريبة في نصوص الأسفار المكررة لبعض التشريعات. فهي تدل صراحة على تعدد الأيدي التي علمت فيها، وما يصح القول في هذه الأسفار الخمسة يصح أيضاً في كافة الأسفار الأخرى.

ومن هنا يتضح بجلاء أن أكثرها كتبت في عهود متأخرة عما تبحث عنه، ومن قبل الفئات التي سبق ذكرها^(٢).

(١) ينظر: سليمان ناجي/ المفسدون في الأرض/ دار العربي للإعلان والنشر/ ط ٢/ ١٩٧٦ م/ ص ١٦.

(٢) ينظر: المصدر نفسه/ ص ١٧.



الفصل الثاني التناقض في الأسفار الخمسة وأثره

وفيه مبحثان؛ وهي على النحو الآتي:

* المبحث الأول: التناقض في الأسفار الخمسة؛ وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: التناقض في سفري التكوين والخروج.

- المطلب الثاني: التناقض في أسفار اللاويين والعدد والثنية.

* المبحث الثاني: أثر التناقض في الأعمال السلبية لليهود، وفيه أربعة مطالب:

- المطلب الأول: أسطورة أرض الميعاد.

- المطلب الثاني: أسطورة شعب الله المختار.

- المطلب الثالث: أثر التناقض في فساد عقيدتهم:

- أولاً: مع الله تعالى.

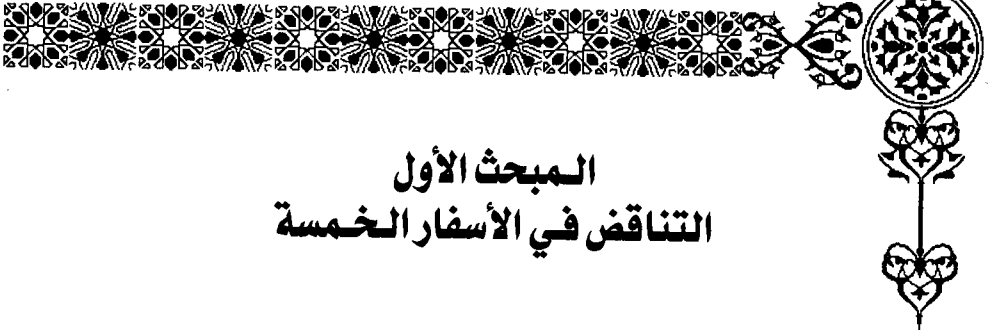
- ثانياً: مع الأنبياء (عليهم السّلام).

- المطلب الرابع: أثر التناقض في فساد أخلاقهم:

- أولاً: علاقاتهم مع الآخرين.

- ثانياً: علاقاتهم مع أنفسهم.





المبحث الأول التناقض في الأسفار الخمسة

إن التناقض الظاهر والأكاذيب الواضحة في التوراة دليل على تحريفها وتبديلها وأنها غير الذي أنزل على النبي موسى (ﷺ) وفيها من الكذب على الله تعالى وعلى الملائكة وعلى الأنبياء (عليهم السّلام) وقبل أن نبدأ البحث في موضوع التناقض لابد من الإشارة هنا إلى عدد أسفار العهد القديم حيث أن عدد الأسفار قد بلغ تسعة وثلاثون سفيراً في النسخة البروتستانتية وبلغ عدد الأسفار ستة وأربعون سفيراً في النسخة الكاثوليكية وهذا بطبيعته يشكل تبايناً واضحاً في عدد الأسفار واختلاف المحتوى بين النسختين وسوف أركز على التناقض الموجود في (التوراة) الأسفار الخمسة أو أسفار موسى (ﷺ) وهي التكوين والخروج واللاويين (الأخبار) والعدد والتثنية (الاستثناء) لما فيها من التناقض الكثير لكن دون الاستغناء عن باقي الأسفار الأخرى في حالة وجود تناقض مشترك مع الأسفار الخمسة ولا بد من تعريف بسيط للأسفار الخمسة.

(١) سفر التكوين: وهو خمسون إصحاحاً في اثنين وثمانين صفحة ويحتوي قصة الخليفة وطوفان نوح ومواليده ثم قصة نزوح إبراهيم (ﷺ) إلى أرض كنعان وذريته فيها ثم في مصر إلى نهاية حياة يوسف (ﷺ)^(١).

(٢) سفر الخروج: وهو أربعون إصحاحاً في تسع وستين صفحة وقد أحتوى هذا السفر على شؤون وأحداث ووصايا وتشريعات وفيه أيضاً إشارات إلى ما سوف يحل ببني إسرائيل من مصائب وشدائد. وفيه سيرة بني إسرائيل بعد يوسف في مصر وخروجهم منها إلى حلولهم في شرق الأردن وفي هذا السفر الوصايا العشر

(١) ينظر: محمد عزة دروزة/ تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم/ مطبعة نهضة مصر/ القاهرة/ ١٩٥٨، ص ٧.

التي أعطاها الله لموسى (ﷺ) (١).

٣) سفر اللاويين (الأخبار): وهو سبعة وعشرون إصحاحاً وفي تسع أربعين صفحة وسمي بهذا الاسم نسبة إلى أسرة لآوى أو ليفي، ويحتوي هذا السفر كثيراً من التشريعات والوصايا والأحكام، مثل كفارات الذنوب، والأطعمة المحرمة، الأنكحة المحرمة ومثل الطقوس والأعياد والنذور والظهارة، كما يحتوي كثيراً من الأمور المتصلة بالعادات والأوامر الدينية التي يستحق من أتبعها الثواب ومن خالفها العقاب (٢).

٤) سفر العدد: وهو ستة وثلاثون إصحاحاً في سبعين صفحة وسمي بذلك لأنه حافل بالعد والتقسيم لأسباط بني إسرائيل، وبه ترتيب لمنازلهم حسب أسباطهم وإحصاء للذكور منهم. ويحتوي أيضاً هذا السفر على سيرة بني إسرائيل في بركة سيناء وما بعدها (٣).

٥) سفر التثنية أو تثنية الشريعة أو الاشرع: وهو أربعة وثلاثون إصحاحاً في ستين صفحة وفي هذا السفر عُرضت الوصايا العشر عرضاً جديداً، كما أعيد الكلام عن الأطعمة الحلال والحرم، وعن نظام القضاء والملك عند بني إسرائيل، وتحدث هذا السفر عن الكهنة والنبوة، كما تحدث عن انتخاب يشوع بن نون خلفاً لموسى (ﷺ)، وينتهي السفر بخبر وفاة موسى ودفنه في جبال مؤاب (٤).

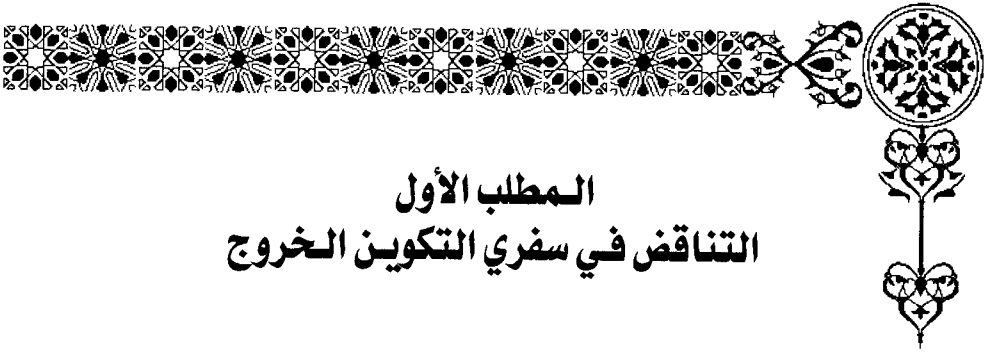


(١) ينظر: د. أحمد شلبي/ مقارنة الأديان/ (اليهودية)/ مكتبة النهضة المصرية - القاهرة/ ١٩٦٦، ص ٢١١.

(٢) ينظر: المصدر نفسه/ ص ٢١٢. وينظر: محمد عزة دروزة/ تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم/ ص ٥٣.

(٣) ينظر: د. أحمد شلبي/ مقارنة الأديان/ (اليهودية) ص ٢١٢ وينظر: محمد عزة دروزة/ تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم/ ص ٥٩.

(٤) المصدران السابقان نفسيهما وعلى التوالي ص ٢١٣ و ص ٥٩.



المطلب الأول التناقض في سفري التكوين الخروج

أ - التناقض في سفر التكوين أو (الخلق): إن من يتصفح سفر التكوين يجد في الإصحاح الأول ٢٦ قوله (أصنع بناء آدم كصورتنا كشبهنا)^(١). لو لم يقل إلا كصورتنا لكان له وجه حسن ومعنى صحيح وهو أن نضيف الصورة إلى الله تعالى إضافة الملك والخلق كما تقول هذا عمل الله وتقول للفرد والقبیح والحسن هذه سورة الله أي تصوير والله والصفة التي أنفرد بملكها وخلقها لكن قوله كشبهنا منع التأويلات وسد المخارج وقطع السبل وأوجب شبه آدم لله عز وجل ولا بد ضرورة وهذا يعلم بطلانه ببديهية العقل إذ الشبه والمثل معانها واحد وحاشى لله أن يكون له مثل أو شبه^(٢).

وجاء في سفر التكوين: (وكان نهر يخرج من عدن ليسقي الجنة. ومن هناك ينقسم فيصير أربعة رؤوس، اسم أحدها النيل وهو محيط بجميع بلاد زويلة الذي به الذهب وذلك البلد جيد وبها اللؤلؤ وحجارة البلور، واسم الثاني جيحان وهو محيط بجميع بلاد الحبشة، واسم الثالث الدجلة وهو السائر شرق الموصل، واسم الرابع الفرات وأخذ الله آدم ووضع في جنات عدن) في هذا الكلام من الكذب فاحشة قاطعة بأنها من تأليف كذاب مستهزئ وأول ذلك^(٣)، إخباره عن هذه الأربعة تفرق من النهر الذي يخرج من جنات عدن التي أسكن الله فيها آدم إذ خلقه ثم أخرج منها إذ أكل من الشجرة التي نهاه الله تعالى عن أكلها وكل من له أدنى معرفة

(١) تك: الإصحاح الأول/ ٢٦.

(٢) ينظر: الأمام أبي محمد علي بن حزم الأندلسي الظاهر/ ت ٤٥٦ هـ/ الفصل في الملك والأهواء والنحل/ مكتب المثنى/ بغداد/ ١/ ١١٧.

(٣) تك: الإصحاح الثاني/ ١٠ - ١٤.

بالهيئة وبنصبه الربع المعمور من الأرض الذي هو في سماك الأرض أو من مشى إلى مصر والشام والموصل يدري إن هذا كله كذب فاضح وإن مخرج النيل من عين الجنوب من خارج المعمور ومصيه قبالة تينس وقبالة الإسكندرية في آخر أعمال مصر في البحر الشامي وإن مخرج الدجلة والفرات وجيحان من الشمال، فأما جيحان فيخرج من بلاد الروم ويمر ما بين المصيصة وربضها المسمى كفرينا حتى يصب في البحر الشامي على أربعة أميال من المصيصة وأما دجلة فمخرجها من أعين بقرب خلّاط ومن عمل أرمينية بقرب آمد من ديار بكر وتصب مياهها في البطائح المشهورة بقرب البصرة في أرض العراق متاخمة أرض العرب، وأما الفرات فمخرجة من بلاد الروم على يوم من يوم قالى فلا قرب أرمينية^(١)، ثم يخرج إلى ملطية ثم يأخذ على أعمال الرقة إلى العراق وينقسم إلى قسمين كلاهما يقع في دجلة فهذه كذبة شنيعة كبيرة لا مخلص منها وتخالف العقل والمنطق والله تعالى لا يكذب وهي قوله أن النيل محيط ببلد زويلة وجيحان محيط ببلد الحبشة وهذه أيضاً كذبة شنيعة فاحشة ما في جميع أرض السودان والحبشة وغير الحبشة نهر غير النيل أصلاً ويتفرع سبعة فروع كلها مخرج واحد ثم يجتمع فوق بلاد^(٢) النوبة^(٣) وكذب ثالثة وهي قوله إن بلد زويلة الجيد وهذا كذب ما للؤلؤ بها مكان أصلاً إنما للؤلؤ في مغاصاته في بحر فارس وبحر الهند وأنهار الهند والصين وهذه فضائح لا خفاء لم يقلها الله تعالى قط ولا إنسان يهاب الكذب فأن قال قائل فقد صح قول النبي حين قال (النيل والفرات وسيحان من أنهار الجنة) نعم هذا قول حق لا شك فيه ومعناه هو على ظاهرة بلا تكليف تأويل أصلاً وهي أسماء لأنهار الجنة كالكوثر والسلسبيل، وليس كذلك هذا الذي في توراة اليهود لأن واضعها لم يدعها في لبس من كذبه بل بيّن أنه عني النيل المحيط بأرض زويلة بلد الذهب الجيد ودجلة بشرقي الموصل وجيحان المحيط ببلد الحبشة التي لم تخلق بعد فلم يدع لطالب تأويل لكلامه حيلة ولا مخرجاً وأيضاً فإنهم لا يمكنهم البتة تخريج ما في توراتهم

(١) أرمينية: هضبة كانت تقوم في هذا الإقليم في العصور القديمة مملكة آسيا الصغرى التي

شملت تركيا وأرمينيا السوفيتية الحالية/ الموسوعة الميسرة/ ١٢٣.

(٢) النوبة: وهي مدينة تقع في إقليم دافور السودانية.

(٣) ينظر: أبن حزم الأندلسي/ الفصل في الملل/ ١/ ١١٩.

المكذوبة على ما وصفنا نحن الآن في نص توراتهم إن الجنة التي أخرج منها آدم لأكله من الشجرة التي فيها إنما هي شرقي عدن في الأرض لا في السماء كما يقول المسلمون فثبتت الكذبة لا مخرج منها أصلاً ولو لم يكن في توراتهم إلا هذه الكذبة وحدها لكفت في بيان أنها موضوعه لم يأت بها موسى (عليه السلام) قط ولا هي عند الله تعالى^(١) وجاء في السفر هكذا (فأما من شجرة معرفة الخير والشر فلا بد تأكل منها، فانك تموت موتاً في أي يوم تأكل منها)^(٢) وهذا غلط. لأن آدم (عليه السلام) أكل منها ولم يمض في اليوم الذي أكل فيه من هذه الشجرة، بل بقي حياً بعدها أكثر من تسعمائة.

وهذا الكلام ينافي الحقيقة ويناقضها، ويذكر هذا السفر قوله:

(وقال الرب الإله هوذا الإنسان قد صار كواحد منا عازماً للخير والشر، والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضاً ويأكل ويحيا إلى الأبد)^(٣) إن حكايتهم عن الله تعالى أنه قال هذا آدم قد صار كواحد منا مصيبة من مصائب الدهر وموجب ضرورة أنهم آلهة أكثر من واحد ولقد أدى هذا القول الخبيث المفترى كثيراً من خواص اليهود إلى الاعتقاد أن الذي خلق آدم لم يكن إلا خلقاً الله تعالى قبل آدم وأكل من الشجرة التي أكل منها آدم فعرف الخير والشر ثم أكل من شجرة الحياة فصار إلهاً من جملة الآلهة^(٤).

وجاء في سفر التكوين هذا القول (فطرد الإنسان وأقام شرقي جنة عدن الكروبيم ولهيب سيف متقلب لحراسة طريق شجرة الحياة)^(٥). وجاء في نسخة أخرى من التوراة ذلك القول ولكن بهذه الصيغة (وكل بالجنان المشتهر إسرافيل ونصب بين يديه رمحاً نارياً ليحفظ طريق شجرة الحياة)^(٦)، إن لم يكن أحدهما خطأً من المترجم وإلا كيف هذا الاختلاف الواضح بينهما.

(١) ينظر: ابن حزم الأندلسي/ الفصل في الملل/ ١/ ١١٩.

(٢) تك: الإصحاح الثاني/ ١٧. (٣) تك: الإصحاح الثالث/ ٢٢.

(٤) ينظر: ابن حزم الأندلسي/ الفصل في الملل/ ١/ ١٢١.

(٥) تك: الإصحاح الثالث/ ٢٤ (لاحظ النسخة العبرية).

(٦) المصدر نفسه (لاحظ النسخة السامرية).

ويذكر في النسخة العبرانية هكذا (وقال قابيل لهابيل أخيه. ولما صارا في الحقل قام قابيل على هابيل أخيه فقتله)^(١)، أما في النسخة السامرية واليونانية والتراجم القديمة وردت هكذا (وقال قابيل لهابيل أخيه تعال نخرج إلى الحقل ولما صارا في الحقل).

فهذه العبارة (تعال نخرج إلى الحقل) سقطت من العبرانية وهذا يعتبر اختلاف بين النسختين.

وذكر في الإصحاح الرابع/ ١٥ قوله (فقال له الرب لذلك كان من قتل قابيل فسبعه أضعاف ينتقم منه...)^(٢). ولا تناكر بين جميعهم في أن لامك بن متوشائل بن محويائل بن عيراد بن حنوك بن قايين هو الذي قتل قابيل جد جد أبيه وأنه لم يقل به فنسبوا إلى الله تعالى الكذب لأنه وعده أن يفديه إلى السبعة ولم يفده وأيضاً فإن ذكر السبعة هنا حمق لأن لامك الذي قتله هو الخامس من ولد قابيل وقابيل هو الخامس من آباء لامك فلا مدخل للسبعة ههنا^(٣).

ثم يقول في سفر تكوين: (فكانت كل أيام متوشالحو تسعمائة وتسعاً وستين سنة ومات)^(٤) وأنه ولد له لامك وهو ابن مائة وسبع وثمانين سنة وإن لامك إذ بلغ مائة وأثنين وثمانين سنة ولد له نوح (ﷺ) فلاشك من أن متوشالحو كان إذ ولد له نوح ابن ثلاثمائة وتسع وستين سنة فوجب من هذا ضرورة إن نوحاً (ﷺ) كان ابن ستمائة سنة إذ مات متوشالحو فاضبطوا هذا ثم قال أن في اليوم السابع عشر من الشهر الثاني من سنة ستمائة من عمر نوح اندفعت المياه بالطوفان ثم قال أن في اليوم سبعة وعشرين يوماً من الشهر الثاني من سنة إحدى وستمائة لنوح خرج نوح من التابوت يعني السفينة وهو من كان معه فوجب من هذا ضرورة لا محيد عنها إن متوشالحو بن جندك دخل السفينة وأنه فيها مات قبل خروجهم منها بشهرين غير ثلاثة أيام وقد قطع فيها وبت على أنه لا يدخل التابوت أحد من الناس إلا نوحاً (ﷺ) وبنيه الثلاثة وامرأة نوح وثلاث نساء لأولاده وقد قطع فيها مبيت على أنه لم ينبج من الغرق أنسي أصلاً ولا حيوان في غير التابوت وهذه كذبة لأن في نصوص توراتهم كما أوردنا إن

(١) تك: الإصحاح الرابع/ ٨.

(٢) تك: الإصحاح الرابع/ ١٥.

(٣) تك: الإصحاح الخامس/ ٢٧.

(٤) ينظر: ابن حزم الأندلسي/الفصل في الملل/ ١/ ١٢١.

متوشالحو لم يغرق لأنه لو غرق لم يستوف تمام السنة الموفية ستمائة ستة لنوح وفي نصها أنه استوفها وأيضاً فإنه عندهم محمود ممدوح لم يستحق الهلاك قط وأبطلوا أن يكون دخل التابوت إذ قطعوا بأنه لم يدخلها أنسي إلا نوحاً وبنيه الثلاثة ونساؤهم وأبطلوا أن ينجو في غير التابوت بقطعهم إنه لم ينج إنس ولا حيوان في غير التابوت ولا بد لمتوشالحو من أحد هذه الوجوه الثلاثة فظهر الكذب البحت في نقل توراتهم ضرورة وتثقيف كل ذي عقل إنها غير منزلة من الله تعالى ولا جاء بها نبي أصلاً لأن الله تعالى لا يكذب والأنبياء لا تأتي بالكذب فصح يقيناً أنها من عمل زنديق جاهل أو مستخف متلاعب بهم^(١) ويقول سفر التكوين: (وكان نوحٌ عَلَيْهِ السَّلَام) ابن خمسمائة سنة وولد نوحٌ عَلَيْهِ السَّلَام ساماً وحاماً ويافث^(٢).

أن نوحاً عَلَيْهِ السَّلَام لما بلغ خمسمائة سنة ولد له يافث وسام وحام ثم ذكر أن نوحاً إذ بلغ ستمائة سنة كان الطوفان ولسام يومئذ مائة سنة وقال بعد ذلك إن سام بن نوح لما كان ابن مائة سنة ولد أرفخشاد لسنتين بعد الطوفان وهذا الكلام كذب فاحش وتلون سمح وجهل مظلم لأنه إذا كان نوح إذ ولد له سام ابن خمسمائة سنة وبعد مائة سنة كان الطوفان فسام حينئذ ابن مائة سنة وإذا ولد له بعد الطوفان بسنتين أرفخشاد فسام كان إذ ولد أرفخشاد ابن مائة سنة وستين وفي نص توراتهم انه كان ابن مائة سنة. وهذا الكلام فيه اختلاف بين الحقيقة وبين التوراة. وهذا أيضاً كذب لا خفاء به.

ويقول سفر التكوين هكذا (وحدث لما ابتدأ الناس يكثر على الأرض وولد لهم بنات. إن أبناء الله رأوا بنات الناس إنهن حسنات فاتخذوا لأنفسهم نساء من كل ما اختاروا)^(٣) وقال بعد ذلك كان يدخل بنو الله إلى بنات آدم ويولد لهم حراماً وهم الجبابرة الذين على الدهر لهم أسماء وهذا حمق ناهيك به وكذب عظيم إذ جعل الله أولاداً ينكحون بنات آدم وهذه مصاهرة تعالى الله عنها حتى إن بعض أسلافهم قال إنما أعني بذلك الملائكة وهذه كذبة إلا إنها دون الكذب في ظاهر اللفظ^(٤) ويقول سفر التكوين هكذا (وتكون أيامه مائة وعشرين سنة)^(٥) وهذا غلط لأن أعمار الذين

(١) ينظر: ابن حزم الأندلسي/ الفصل في الملل/ ١/ ١٢٣. (٢) تك: الإصحاح الخامس/ ٣٢.

(٣) تك: الإصحاح السادس/ ١ - ٢. (٤) ينظر: ابن حزم الأندلسي/ الفصل في الملل/ ١/ ١٢١.

(٥) تك: الإصحاح السادس/ ٣.

كانوا في سالف الزمان طويلة جداً، حيث عاش نوح عليه السّلام تسعمائة وخمسون سنة، وعاش سام ستمائة سنة، وعاش أرفخشد ثلاثمائة وثلاثين سنة، وهكذا في هذا الزمان صار البلوغ إلى سبعين أو ثمانين أيضاً قليل^(١).

ويعلم من سفر التكوين (إنه كان أمر أن يأخذ من كل بهيمة طاهرة ومن كل طير طاهر أو غير طاهر سبعة أزواج ومن كل بهيمة غير طاهرة اثنتين اثنتين)^(٢).

حيث إن الاختلاف واضح بين النصين ولا يحتاج إلى تفسير.

وذكر في السفر التكوين في النسخة العبرانية هكذا (وصار الطوفان أربعين يوماً على الأرض)^(٣) أما في النسخة اللاتينية وفي الترجمة اليونانية هكذا (وصار الطوفان أربعين يوماً وليلة على الأرض) والاختلاف ظاهر بين النسختين.

ويذكر سفر التكوين هكذا (وأستقر الفلك في اليوم السابع والعشرين من الشهر السابع على جبال أرمينية. والمياه كانت تذهب وتنقص إلى الشهر العاشر لأنه في الشهر العاشر الأول من الشهر بانت رؤوس الجبال)^(٤). فبين الآيتين اختلاف لأنه إذا ظهرت رؤوس الجبال في الشهر العاشر فكيف استقرت السفينة في الشهر السابع على جبال أرمينية.

وذكر في سفر التكوين هكذا (فقال ملعون كنعان. عبد العبيد يكون لأخوته)^(٥).

حيث أن نوحاً إذ بلغه فعل ابنه حام أبي كنعان قال ملعون أبو كنعان عبد العبيد يكون لأخوته مستعبداً يكون لأخويه يبارك الإله ساماً ويكون أبو كنعان عبداً لهم. إحسان الله لياث ويسكن في أخبية سام ويكون أبو كنعان عبداً لهم ثم نسي نفسه المحرف أو تعاضم استخفافاً بهم فلم يطل لكنه بعد ستة أسطر قال إذ ذكر أولاد حام فقال بنو حام كوش ومصرام وفوحا وكنعان وبنو كوش وحبان وزويله ورغاوة ورعمه وسفتخا وبنو رعمة السند والهندوكوش ولد نمرود الذي ابتداءً يكون جباراً في الأرض الذي كان جبار صيد بين يدي الله (عَلَيْهِ) وكان أول مملكته بابل فحصل

(١) ينظر: ابن حزم الأندلسي/ الفصل في الملل/ ١/ ١٢١. (٢) تك: الإصحاح السابع/ ٢- ٣.

(٣) تك: الإصحاح السابع/ ١٧. (٤) تك: الإصحاح الثامن/ ٤- ٥.

(٥) تك: الإصحاح التاسع/ ٢٥.

من هذا الخير تكذيب نوح في خبره وهو بإقرارهم نبي معظم جداً وإذ وصف أن ولد أبي كنعان صاروا ملوكاً على أخوة بني كنعان وعلى بنيتهم ثم العجب كله أن على ما توجه توراتهم كان ملك نمرود بن كوش بن كنعان بن حام على جميع الأرض ونوح حي وسام بن نوح حي لأن نص توراتهم إن نوحاً عاش إلى أن بلغ إبراهيم بن تارح (عليه السلام) ثمانية وخمسين عاماً وأن سام بن نوح عاش إلى أن بلغ يعقوب وعيصاً أبناً إسحاق بن إبراهيم (عليه السلام) خمساً وأربعين سنة على ما ذكر من مواليدهم أباً فأباً فما لنا نرى خبر نوح معكوساً وحاشا لله أن يكذب نبي^(١).

وجاء في هذا السفر (إن تادح أبا إبراهيم خرج من أور (الكلدانين قاصداً أرض كنعان ومعه إبراهيم ابنه وساراي كتته ولوط ابن ابنه هاران المتوفى. وجاء إلى حاران*) ومات فيها^(٢).

وفي هذا سفر التكوين (إن الرب قال لإبراهيم أنطلق من أنطلق من أرضك وعشيرتك وبيت أبيك إلى الأرض التي أريك فأجعلك أمة كبيرة ويتبارك بك جميع عشائر الأرض فخرج من حاران ومعه زوجته ساراي وابن أخيه لوط وجميع ما يملكون من أموال وعبيد وأتوا إلى أرض كنعان^(٣).

فكلام الإصحاح الحادي عشر يفيد أن فكرة النزوح إلى أرض كنعان كانت فكرة تارح أبي إبراهيم بينما كلام الإصحاح الثاني عشر يفيد أن نزوح إبراهيم بأمر الرب وكأنما هو شيء خاص به لا علاقة به لأبيه تارح. وفي الإصحاح الخامس عشر من هذا السفر وجّه الخطاب إلى إبراهيم (أنا الرب الذي أخرجك من أور الكلدانيين لأعطيك هذه الأرض ميراثاً لك، مما يفيد نفسك المعنى^(٤)، سفر يشوع هكذا قال الرب إلى إسرائيل (في عبر النهر سكن آباؤكم منذ الدهر تارح أبو إبراهيم

(١) ابن حزم الأندلسي/ الفصل في الملل/ ١/ ١٢١.

(*) حاران: مدينة قديمة ما تزال تعرف باسمها القديم، وتقع في الشمال الشرقي من بلاد ما بين النهرين في جوار الحدود السورية التركية على منابع نهر البليخ/ مفصل العرب واليهود/ ٨٢٧.

(٢) تك: الإصحاح الحادي عشر/ ٣١.

(٣) تك: الإصحاح ١٢/ ١-٥.

(٤) سفر التكوين/ الإصحاح/ ١١، ١٢، ١٥.

وأبو ناحور وعبدوا آلهة أخرى فأخذت أباكم إبراهيم من عبر النهر وسيرته في جميع أرض كنعان وكثرت نسله^(١)، وهذا يفيد نفس المعنى كذلك.

وكلام الإصحاح الحادي عشر من سفر التكوين يفيد أن إبراهيم من مدينة أور الكلدانيين وأن إقامة تارح في حران كانت عابرة بينما كلام الإصحاح الثاني عشر يفيد ولو لم يكن بصراحة أن مقام إبراهيم وأرضه وعشيرته وبيت أبيه في حاران^(٢).

وجاء في الإصحاح الرابع والعشرين أن إبراهيم أستخلف كبير عبده بأن لا يأخذ لأبنة إسحاق زوجة من بنات كنعان بل يذهب إلى أرضه وعشيرته ويأخذ منها زوجة لأبنة ووصاه بأن لا يرد ابنه إلى هناك لأن ربه أخذه من بيت أبيه وأرض ولده وأتى به إلى أرض كنعان وأن العبد ذهب إلى آرام النهرين إلى مدينة ناحور أخى إبراهيم وخطب ابنته لإسحاق وأتى بها إلى أرض كنعان. وقد جاء في سفر التكوين: أن إسحاق وصى ابنه يعقوب بأن لا يتزوج من بنات كنعان بل يذهب إلى إخوان آدم ويتزوج من بنات خاله لابان فنفذ وصية أبيه حيث يفيد هذا وذاك أيضاً، أن أرض إبراهيم (عَلَيْهِ السَّلَام) وعشيرته كانت في آرام النهرين^(٣).

ومع أن المتحمل كثيراً أن تكون بعض النصوص المتقدمة متأثرة بما كان من واقع طرود بني إسرائيل على شرق الأردن وغربه بعد خروجهم من مصر ومحاربتهم لأهلها واستيلائهم بالقوة والدم على أقسام كبيرة منها، وأن يكون التناقض البادي فيها نتيجة لتداول الروايات والذكريات أجيالاً بعد أجيال فإن لا يمنع أن يكون في ما ذكر فيها حقيقة ما بالنسبة إلى منشأ إبراهيم ونزوجه إلى أرض كنعان. وحينئذ يبدو أرض كنعان. وحينئذ يبدو احتمالان لمنشأ إبراهيم وهما أور الكلدانيين وأرام النهرين^(٤).

وجاء في التوراة: (فقال لإبرام أعلم يقيناً أن نسلك سيكون غريباً في أرض

(١) يشع/ الإصحاح ٢٤.

(٢) ينظر: محمد عزة دروزه/ تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم/ ١٣.

(٣) تك: ٢٨.

(٤) محمد عزة دروزه/ تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم/ ١٣.

ليست لهم ويستعبدون لهم. فيذلونهم أربع مائة سنة^(١).

أشار سفر التكوين إلى أن نسل إبراهيم (بني إسرائيل) يستعبد ويذل في أرض غريبة (هي مصر) لمدة أربع مائة سنة. وأما سفر الخروج فيؤكد أن إقامة بني إسرائيل في مصر طالت أربع مائة وثلاثين سنة^(٢) ولا شك في أن بين السفرين اختلاف واضح، فتكون كلمة (ثلاثين) إما ناقصة من التكوين أو مزيدة في الخروج وبالرغم من هذا الاختلاف فإن كلتا المدينتين خطأ بالضرورة، وذلك:

(١) لأن معظم المؤرخين المسيحيين ومفسريهم متفقون على أن مدة سكون بني إسرائيل في مصر كانت مائتين وخمس عشرة سنة فقط^(٣).

(٢) ولأن بولس جعل المدة من إعطاء الرب العهد لإبراهيم بأن يعطي نسله أرض كنعان^(٤).

إلى نزول شريعة موسى (التوراة)، وجعل كلها أربع مائة وثلاثين سنة^(٥).

ويفهم من بعض المصادر البروتستانتية: أن المدة من ميثاق الله مع إبراهيم إلى نزول الشريعة على جبل سيناء كانت أربع مائة وسبع سنين فقط^(٦).

(٣) أنه قد عدلت وصححت النسخة السامرية والترجمة اليونانية فأصبحت آية الخروج فيها هكذا: (فكان جميع ما سكن بنو إسرائيل وآباؤهم وأجدادهم أرض كنعان وأرض مصر أربع مائة وثلاثين سنة)^(٧)، وفي ذلك قال المفسر الكتابي آدم كلارك (أتفق الكل على إن مضمون هذه الآية في غاية الإشكال)^(٨). ثم ذكر أن الصحيح هو ما في السامرية واليونانية في رسالة بولس^(٩). وهو مات ذهب إليه كثير من العلماء فقالوا: من دخول إبراهيم أرض كنعان إلى ولادة إسحاق كانت المدة

(١) تك: ١٥. (٢) سفر الخروج: ١٢: ٤٠ - ٤١.

(٣) رحمة الله بن خليل الرحمن الهندي/ إظهار الحق/ دار الكتب العلمية/ بيروت - لبنان/ ١٩٩٣، ط ١/ ١/ ٢٦٧. والبلاغي، الهدى ٢/ ٤٤ وعبد الوهاب، إسرائيل حرفت الإنجيل والأسفار ٨٢ - ٨٣.

(٤) تك: ١٢: ٧. (٥) أهل غلاطية: ٣: ١٧.

(٦) للتفصيل راجع: إظهار الحق/ ١/ ٢٦٩ - ٢٧٠. (٧) خرو: ١٢: ٤٠.

(٨) تفسيره: ١/ ٣٦٩ عن إظهار الحق ١/ ٢٦٨. (٩) تفسيره: ١/ ٣٦٩ عن إظهار الحق ١/ ٢٦٨.

خمساً وعشرين سنة، وكان لإسحاق ستون سنة عند ولادة يعقوب الذي كان عمره مائة وثلاثين سنة لدى دخوله مصر فالمجموع مائتان وخمس عشرة سنة. وإقامة بني إسرائيل في مصر كانت - أيضاً - لمدة مائتين وخمس عشرة سنة.

فالكل أربعمائة وثلاثون سنة. ولذلك أستحسن جامعو (تفسير هنري واسكات) عبارة النسخة السامرية، فذكروا أنه (لا شبهة في أن هذه العبارة صادقة وتزيل كل مشكل وقع في المتن)^(١).

وتقول التوراة (في ذلك اليوم قطع الرب مع إبرام ميثاقاً قائلاً لنسلك أعطني هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات)^(٢).

حيث ذكر التوراة أن الله تعالى قال لإبراهيم لنسلك أعطني هذا البلد من نهر مصر النهر الكبير إلى نهر الفرات وهذا كذب وشهرة من الشهر لأنه إن كان عنى بني إسرائيل وهكذا يزعمون فما ملكوا قط من نهر مصر ولا على نحو عشرة أيام منه شبراً فما فوقه وذلك من موقع النيل إلى قرب بيت المقدس وفي هذه المسافة الصحاري المشهورة الممتدة والحضار ثم غزة^(٣) وعسقلان^(٤) وجبال الشراة التي لم تزل تحاربهم طول مدة دولتهم تذيقيهم الأمرين إلى انقضاء دولتهم ولا ملكوا قط من الفرات ولا على عشرة أيام منه بل بين آخر حوز بني إسرائيل إلى أقرب مكان من الفرات اليوم نحو تسعين فرسخاً^(*) فيها وحمص^(٥) التي لم يقربوا منها قط ثم دمشق^(٦) وصور^(٧) وصيدا^(٨) التي لم يزل أهلها يحاربونهم ويسومونهم السخف طول مدة دولتهم بإقرارهم ونصوص كتبهم وحاشا لله أن يخلف وعده في قدر دقيقه

(١) الهندي / إظهار الحق / ١ / ٢٦٨ - ٢٦٩ . (٢) تك: الإصحاح الخامس عشر - ١٨ .

(٣) غزة: وهي إحدى المدن الفلسطينية وتقع على البحر الأبيض المتوسط.

(٤) عسقلان: وهي من المدن الفلسطينية وتقع على البحر المتوسط.

(*) الفرسخ: وهي وحدة قياس تستخدم لقياس المسافة: أي ما يعادل مائة ذراع.

(٥) حمص: وهي مدينة سورية تقع إلى الشمال من دمشق.

(٦) دمشق: وهي عاصمة الجمهورية العربية السورية.

(٧) صور: وهي من المدن اللبنانية والتي تقع على ساحل البحر الأبيض المتوسط.

(٨) وصيدا: وهي من المدن اللبنانية والتي تقع على ساحل البحر الأبيض المتوسط إلى الجنوب

من سرايه فكيف في تسعين فرسخاً في الشمال ونحوها في الجنوب ثم قوله النهر الكبير وما في بلادهم التي ملكوا نهر يذكر الأردن وحده وما هو بكبير إنما مسافة مجراه من محيرة الأردن إلى مسقطه في البحيرة الممتدة نحو ستين ميلاً فقط فإن قال قائل إنما عنى الله بهذا الوعد بني إسماعيل (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) وهذا أيضاً خطأ لأن هذا القدر المذكور هاهنا من الأرض أقل من جزء من مائة جزء مما ملك الله (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) بني إسماعيل (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ)^(١) وأين يقع ما بين مصب النيل عند تنيس وبين الفرات من آخر الأندلس على ساحل البحر المحيط وبلاد البربر كذلك إلى آخر السند وكابل مما يلي بلاد الهند ومن ساحل اليمن إلى ثغور أرمينية وأذربيجان فما بين ذلك والحمد لله رب العالمين فكيف هذه الدعوى الباطلة لأن ذلك الكلام بعضه معطوف على بعض فالموعودون بملك البلد هم المتوعدون بأنهم يملكون ويعذبون في البلد الآخر وقد أكرم الله تعالى بني إسماعيل وصانهم عن ذلك فوضح الكذب الفاحش في الأخبار المذكورة وضح أنه ليس من عند الله (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) ولا من كلام نبي أصلاً بل من تبديل وغد جاهل أو متلاعب بالدين وفساد المعتمد^(٢). وتقول التوراة: (وظهر له الرب عند بلوطات قمرا وهو جالس في باب الخيمة وقت حر النهار فرفع عينا ونظر وإذا ثلاثة رجال واقفون لديه فلما نظر ركض لاستقبالهم من باب الخيمة وسجد إلى الأرض. وقال يا سيد إن كنت قد وجدت نعمة في عينك فلا تتجاوز عبدك ليؤخذ قليل من ماء واغسلوا أرجلكم واستندوا تحت الشجرة وأقدم لكم كسرة من الخبز تشتد بها قلوبكم وبعد ذلك تجتازون. فمن أجل ذلك مررتم على عبدكم فقالوا: أصنع كما قلت فأسرع إبراهيم إلى الخيمة إلى سارة وقال لها: اصنعي ثلاث صبيعات من دقيق سميد اعجنيه واصنعي خبز مله وحضر إبراهيم إلى البقر وأخذ عجلاً رخصاً سميناً ودفعه للغلام وأستعجل بإصلاحه وأخذ سمناً ولبناً والعجل الذي صنعوه وقدم بين أيديهم وهو واقف لديهم تحت الشجرة فأكلوا)^(٣).

إن في هذه الآيات من البلاء والضلال فأول ذلك أخباره إن الله تعالى تجلى لإبراهيم وأنه رأى الثلاثة النفر فأسرع إليهم وسجد وخاطبهم بالعبودية فإن كان

(١) ابن حزم الأندلسي / الفصل في الملك / ١ / ١٢٨ - ١٢٩.

(٢) تك: ١٨: ١ - ٨.

(٣) المصدر نفسه / ص ١٢٩.

أولئك الثلاثة هم الله فهذا هو التثليث بعينه بلا كلفة أشد من التثليث لأنه بشخص ثلاثه والنصارى يهربون من التشخيص ويوجد في بعض كتب النصارى الاحتجاج بهذه القضية في إثبات التثليث، وهذا كما ترى في غاية الفضيحة فإن كان الثلاثة ملائكة، وهكذا يقولون فعليهم في ذلك أيضاً فضائح عظيمة وكذب فاحش من وجوه أولها من المحال والكذب أن يخبر بأن الله تجلى له ثلاثة من الملائكة، وثانيها: أن يخاطب أولئك الملائكة بخطاب الواحد وهذا مما يزيد في ضلال النصارى في هذا الفصل وهذا أيضاً محال في الخطاب، وثالثها: سجوده للملائكة فإن من الباطل أن يسجد رسول الله (ﷺ) وخليله لغير الله تعالى ولمخلوق مثله فهذه كذبة وإن قالوا بل لله سجد فهذه كذبة، ورابعها: خطابه لهم بأنه عبدهم فإن كان المخاطب بذلك هو الله تعالى وهو المتجلي له فقد عادت البلية وإن كان المخاطبون بذلك الملائكة فحاشا لله أن يخاطب إبراهيم (ﷺ) بالعبودية غير الله تعالى ومخلوقاً مثله مع أن من المحال أن يخاطب ثلاثة بخطاب واحد، وخامسها: قوله يؤخذ قليل من ماء ويغسل أرجلكم وأقدم كسره من الخبز تشتد بها قلوبكم فهذه الحالة لئن كان خاطب بهذا الخطاب الله تعالى فهي التي لا سوي لها ولا بقية بعدها والتي تملأ الفم وإن كان خاطب بذلك الملائكة فهذا أكذب لأن إبراهيم (ﷺ) لا يجهل أن الملائكة لا تشتد قلوبهم بأكل كسر الخبز فهذه على كل حال كذبة باردة سمجة فإن قالوا ظنهم ناساً قلنا هذا أكذب لأن في أول الخبر يخبر أن الله تجلى له وكيف يسجد إبراهيم ويتعبد لخاطر طريق حاشا له من هذا الضلال^(١) وسادسها: أخباره أنهم أكلوا الخبز والشوي والسمن واللبن وحاشا له أن يكون هذا خبراً عن الله تعالى لا ولا عن الملائكة أين هذا الكذب البارد الفاضح الذي يشبه عقول اليهود المصدقين به من الحق المنير الواضح عليه ضياء اليقين من قول الله (ﷻ) في هذه القصة نفسها: ﴿فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكَّرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَحْفَ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ لُّوطٍ ﴿٧٦﴾﴾^(٢). هيهات نور الحق من ظلمات الكذب. وسابعها: هو إقرارهم بأن إبراهيم أطعم الملائكة اللحم واللبن والسمن معاً والربانيون منهم يحرمون هذا اليوم فأقل ما فيه النسخ على أن يكون سلامته من

(١) الفصل في الملل / ابن حزم الأندلسي / ١ / ١٣١ . (٢) سورة هود الآية / ٧٠ .

أطم الدواهي والسّلامة والله منهم بعيدة^(١).

وتذكر التوراة (وقالوا له أين سادة امرأتك، فقال هاهي في الخيمة، فقال: إني ارجع إليك نحو زمان الحياة ويكون لسارة امرأتك ابنٌ. وكانت سارة سامعةً في باب الخيمة وهو وراءه. وكان إبراهيم (عليه السلام) وسارة شيخين متقدمين في الأيام. وقد انقطع أن يكون لسارة عادةً كالنساء فضحكت سارة في باطنها قائلةً فنائي يكون لي تتعمٌ وسيدي قد شاخ فقال الرب لإبراهيم لماذا ضحكت سارة قائلة الحقيقة ألدٌ وأنا قد شخت. هل يستحيل على الرب شيء. في الميعاد أرجع إليك نحو زمان الحياة ويكون لسارة ابنٌ. فأنكرت سارة قائلة لم أضحك لأنها خانت. فقال لا بل ضحكت)^(٢) وعاد الخبر بين سارة وإبراهيم (عليه السلام) وبين الله (عليه السلام) وعاد الحديث الماضي ثم في هذا زيادة أن الله تعالى (عليه السلام) قال أن سارة ضحكت وقالت سارة لم أضحك فقال الله بلى قد ضحكت فهذه مراجعة الخصوم وتعارض الأكفاء وحاشا سارة الفاضلة المنبأة من الله (عليه السلام) بالبشارة من أن تكذب الله (عليه السلام) فيما يقول وتكذب هي في ذلك فنجحد ما فعلت نتجمع بين سوءتين إحداهما: كبيرة من الكبائر قد نزه الله (عليه السلام) الصالحين عنها فكيف الأنبياء والأخرى أدهى وأمرٌ وهي التي لا يفعلها مؤمن^(٣).

ويقول سفر التكوين: وصعد لوط من صوغر وسكن في الجبل وابنته معه. لأنه خاف أن يسكن في صوغر. فسكن في المغارة هو وابنتاه، وقالت البكر للصغيرة أبونا قد شاخ وليس في الأرض رجل ليدخل علينا كعادة كل الأرض. هلم نسق أبانا خمراً ونضطجع معه. فنحبي من أبينا نسلاً. فسقتا أباهما خمراً في تلك الليلة، ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها. وحدث في الغد أن البكر قالت للصغيرة إني قد اضطجعت البارحة مع أبي. نسقيه خمراً الليلة أيضاً فأدخلي اضطجعي معه. فنحبي من أبينا نسلاً. فسقتا أباهما خمراً في تلك الليلة أيضاً. وقامت الصغيرة واضطجعت معه. ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها. فحبلت ابنتا لوط من أبيهما. فولدت البكر ابناً ودعت اسمه موآب. وهو

(١) الفصل في الملل/ ابن حزم الأندلسي/ ١/ ١٣١. (٢) تك: ١٨: ٩-١٥.

(٣) الفصل في الملل/ ابن حزم الأندلسي/ ١/ ١٣٢.

أبو الموابيين إلى اليوم والصغيرة أيضاً ولدت ابناً ودعت اسمه بن عمي وهو أبو بني عمون إلى اليوم^(١).

وفي السفر الخامس من التوراة بزعمهم إن موسى عليه السلام قال لبني إسرائيل إن الله تعالى قال لما انتهينا إلى صحراء بني مواب قال لي لا تحارب بني مواب ولا تقاتلهم فإني لم أجعل لكم فيما تحت أيديهم سهماً لأنني قد ورثت بني لوط وجعلتها مسكناً لهم ثم ذكر أن موسى عليه السلام قال لهم أن الله تعالى قال له أيضاً أنت تخلف اليوم حوز بني مواب المدينة التي تدعى عاد وتنزل في حوز بني عمون تحاربهم ولا تقاتل أحداً منهم فإني لم أجعل لكم تحت أيديهم سهماً لأنهم من بني لوط وقد ورثتهم تلك الأرض^(٢).

إن في هذه الأقوال فضائح وسوءات تقشعر من سماعها جلود المؤمنين بالله تعالى العارفين حقوق الأنبياء عليهم السلام فأقلها ما ذكر عن بنتي لوط عليها السلام من قولها ليس أحد في الأرض يأتينا كسبيل النساء تعال نسق أبانا خمراً ونضاجعه ونستبق منه نسلاً فهذا كلام أحرق في غاية الكذب والبرد أترى كان أنقطع نسل ولد آدم كله حتى لم يبق في الأرض أحد يضاجعها أن هذا العجب فكيف والموضع معروف إلى اليوم ليس بين تلك المغارة التي كان فيها لوط عليه السلام مع بنتيه وبين قرية سكنى إبراهيم عليه السلام إلا فرسخ واحد لا يزيد وهو ثلاثة أميال فقط فهذه سوءة والثانية إطلاق الكذاب لهذه الخرافة لعنه الله هذه التهمة على الله تعالى من أنه أطلق نبيه ورسوله عليه السلام على هذه الفاحشة العظيمة من وطء ابنتيه واحدة بعد أخرى فإن قالوا لا ملامة عليه في ذلك لأنه فعل ذلك وهو سكران وهو لا يعلم من هما قلنا فكيف عمل إذ رأهما حاملتين وإذ رأهما قد ولدتا ولدين لغير رشده وإذ رأهما تربيان أولاد الزنا هذه فضائح الأبد وتوليد الزنادقة المبالغين في الاستخفاف بالله تعالى وبرسوله عليه السلام والثالثة إطلاقهم على الله تعالى أن نسب أولاد هاتين الزانيتين فرخي الزنا إلى ولادة لوط عليه السلام حتى ورثها ولدين كما ورث بني إسرائيل وبني عيسو ابني إسحاق سواء بسواء تعالى الله عن هذا علواً كبيراً فإن قالوا كان مباحاً حيثئذ قلنا فقد صح النسخ الذي تنكرونه بلا كلفة وقال قبل هذا إن إبراهيم

إذ أمره الله تعالى بالمسير من حران إلى أرض كنعان أخذ مع نفسه امرأته سارة وابن أخيه لوط ابن هاران وذكروا في بعض توراتهم أنه كلمته الملائكة وأن الله تعالى أرسلهم إليه فصيح بإقرارهم أنه نبي الله، وهم يقولون أنه بقي في تلك المغارة شريداً طريداً فقيراً لاشيء له يرجع إليه فكيف يدخل في عقل من له عقل وإيمان إن إبراهيم (عليه السلام) يترك ابن أخيه الذي تغرب معه وآمن به ثم تنبأ مثله^(١).

يضع ويسكن مغارة مع ابنتيه فقيراً هالكاً وهو على ثلاثة أميال منه وإبراهيم على ما ذكر في التوراة عظيم المال مفرط الغنى كثير اليسار من الذهب والفضة والعبيد والإماء والجمال والبقر والغنم والحمير ويقولون في توراتهم أنه ركب ثلاثمائة وثمانية عشر مقاتلاً لحرب الذين سبوا لوطا وما له حتى استنقذوه وماله فكيف يضيعه بعد ذلك هذا التضییع ليست هذه صفات الأنبياء ولا كرامة ولا صفات من فيه شيء من الخير لكن صفات الكذابين الذين وضعوا لهم هذه الخرافات الباردة التي لا فائدة فيها ولا موعظة ولا عبرة حتى ظلوا بها^(٢).

وفي موضعين في توراتهم المبدلة يذكر السفر: (أن سارة امرأة إبراهيم (عليه السلام) أخذها فرعون ملك مصر)^(٣) ويذكر سفر التكوين: (أن ملك الخالص أبو مالك قد أخذها مرة ثانية وأن الله سبحانه وتعالى أرى الملكين في منامهما ما أوجب ردها إلى إبراهيم (عليه السلام))^(٤).

إذ ذكر أن سن إبراهيم (عليه السلام) إذ انحدر من حران خمسة وسبعون عاماً وأن إسحاق ولد له وهو ابن مائة سنة ولسارة إذ ولد تسعون عاماً فصح أنه كان يزيد عليها عشر سنين وذكر أن ملك الخالص أخذها بعد أن ولدت إسحاق وهي عجوز مسنة بإقرارها بلسانها إذ بشرت بإسحاق فكيف بعد أن ولدته وقد جاوزت تسعين عاماً ومن المحال أن تكون في هذا السن تفتن ملكاً وإن إبراهيم قال في كلتا المرتين هي أختي وذكر عن إبراهيم أنه قال للملك هي أختي بنت أبي لكن ليست من أمي فصارت لي زوجة فنسبوا في نص توراتهم إلى إبراهيم (عليه السلام) أنه تزوج

(١) الفصل في الملل / ابن حزم الأندلسي / ١ / ١٣٤، اليهود قديماً / محمد إبراهيم الجنابي / ٢٩.

(٢) المصدر نفسه / ١ / ١٣٥. (٣) تك ١٢ : ١٨ - ١٩.

(٤) تك ٢٩.

أخته، وأن نص اللفظة في التوراة أخت هي لفظة تقع في العبرانية على الأخت وعلى القريبة أما قوله لكن ليست من أمي وإنما هي بنت أبي فوجب أنه أراد الأخت بنت الأب وأقل ما في هذا إثبات النسخ الذي يقرون منه فخلط ولم يأت بشيء^(١).

وجاء في التوراة: أن ما ورد في التوراة يلاحظ تحديد الذبيح بأنه إسحاق وليس إسماعيل حيث جاء فيها (أن الله أمتحن إبراهيم فقال له يا إبراهيم: فقال: ها أنذا، فقال خذ أبنك وحيذك الذي تحبه إسحاق. وأذهب إلى جبل الموريا وأصعده هناك محرقة على أحد الجبال الذي أقول لك...)^(٢).

إن وضع الاسم (إسحاق) مع كلمة (وحيذك) تناقض ظاهر لأن إسحاق لم يكن وحيداً لإبراهيم في يوم من الأيام فقد ولد وعمر إسماعيل أربع عشرة سنة. كما نص سفر التكوين حيث يقول: (وبقي إسماعيل وإسحاق معاً حتى مات إبراهيم ودفناه في مدينة حبروية (الخليل).

ويقول السفر: (وعاد إبراهيم فأخذ زوجه اسمها قطورة)^(٣). حيث ذكر أن إبراهيم (عليه السلام) تزوج امرأة اسمها قطورة بعد وفاة زوجته سارة حيث ولدت له زمران ويقشان ومدان ومديان ويشبق وشوحاً وأعطى إبراهيم جميع ماله لإسحاق وأعطى بني الإماء عطايا وأبعدهم عن إسحاق. إن نص الكلام كله متتابع مرتب ولم يذكر له زوجة في حياة سارة ولا أمة لها ولد إلا هاجر أم إسماعيل (عليه السلام) ولا ذكر له بعد سارة زوجة ولا أمة ولا ولداً غير قطورة وبينها وفي كتبهم أن قطورة هذه بنت ملك الربد موضع عمان اليوم بقرب البلقا وهذه أخبار يكذب بعضها بعضاً.

ويذكر السفر: (وكان إسحاق ابن أربعين سنة لما أتخذ لنفسه زوجة رفقة بنت بتوئيل الآرامي أخت لابان الآرامي من فدان آرام)^(٤).

ويذكر أن رفقة كانت عاقراً ثم حملت وازدحم الولدان في بطنها وقالت لو علمت أن الأمر هكذا كان يكون ما طلبته ومضت لتلمس علماً من الله تعالى فقال لها الله في بطنك أمتان وحزبان يفترقان منه أحدهما أكبر من الآخر والكبير يخدم الصغير فلما

(١) الفصل في الملل / ابن حزم الأندلسي / ١ / ١٣٥ . (٢) تك: ٢٢ : ١ - ٣ .

(٤) تك: ٢٥ : ٢ .

(٣) تك: ٢٥ : ١ .

كانت أيام الولادة إذ إن بتوأمين في بطنها وخرج الأول أحمر كله كفروه من شعر فسمي عيسو وبعد ذلك خرج أخوه ويده ممسكة بعقب عيسو فسماه يعقوب^(١).

وهذا الكلام مليء بالكذب وأنهم ينسبون هذا الكذب إلى الله وحاشا لله أن يكذب ولا خلاف بينهم في أن عيسو لم تخدم قط بني يعقوب وأن بني عيسو لم تخدم بني يعقوب بل في التوراة نصاً يقول إن يعقوب سجد على الأرض سبع مرات لعيسو إذ رآه وإن يعقوب لم يخاطب عيسو إلا بالعبودية والتذلل المفرط وأن جميع أولاد يعقوب عدا بنيامين الذي لم يكن وُلد بعد. وكلهم سجدوا لعيسو وأن يعقوب أهدى لعيسو مداراة له خمسمائة وخمسين رأساً من أبل وبقر وحمير وضاء ومعز وأن يعقوب رآها منه عظيمة إذ قبلها منه وان بني عيسو لم تزل أيديهم على أقباء بني إسرائيل من أول دولتهم إلى انقطاعها أما يتمكنون عليهم أو يكونون على السواء معهم وأن بني إسرائيل لم يملكوا قط أيام دولتهم بني عيسو فعجباً لهذه الفضائح والضلال في توراتهم. ويذكر التوراة (وحدث لما شاخ إسحاق وكلت عيناه عن النظر أنه دعا عيسو ابنه الأكبر وقال له يا ابني فقال له هانذا...)^(٢). وقال له لا أعلم يوم موتي فأخرج وصد لي صيدا لتصنع لي الطعام من هذا الصيد لتباركه نفسه وتحريض رفقته ليعقوب بأن يصنع ذلك. وأن يتقدم لأبيه ليأخذ بركته بدلاً من أخيه وقد كست يديه وملاسه عنقه بجلد من المعز ليكون ملمسه ملمس عيسو وتقدم لأبيه باسم عيسو مع أن صوته صوت يعقوب^(٣). ومع ذلك باركه قائلاً (يعطيك الله من ندى السماء من دسم الأرض ويكثر لك الحنطة والخمر وتخدمك الأمم وتسجد لك القبائل وتكون سيداً لأخوتك ويسجد لك بنو أمك ويكون لاعتك ملعوناً ومباركك مباركاً. وجاء عيسو بعد ذلك بالطعام الذي صنعه من صيده إلى ابنه وحينئذ أدرك إسحاق الخديعة فارتعش ارتعاشاً شديداً ولكنه قال له قد جعلته سيداً لك ودفعت إليه جميع إخوته عبيداً وبالحنطة والخمر أمددته فماذا أصنع لك ثم قال له لما بكى: بمعزل عن دسم الأرض يكون مسكنك وعن ظل السماء من العلو وبسيفك تعيش وأخاك تخدم وتكسر نيره عن عنقك إذا قويت، وقد أثارت الخديعة

(١) الفصل في الملل/ ابن حزم الأندلسي/ ١/ ١٣٦. (٢) تك: ٢٧/ ١.

(٣) تاريخ بين إسرائيل من أسفارهم/ ٣٢.

حقد عيسو وأضمر الشر لأخيه مما جعل أمة تهربه إلى ديار خاله لابان في حاران ليقوم بها مدة ينفث غضب أخيه عليه. وفي القصة تكرار للصورة العجيبة من الأناية وأثرها في يعقوب إزاء أخيه عيسو، وعجبية اشتراك أم عيسو في مؤامرة ضد ابنها وإن كان يمكن أن يعزى ذلك إلى كراهيتها لزوجتيه ثم عجبية انخداع إسحاق وإصراره على حرمان عيسو وتفضيل يعقوب بعد أن عرف بخديعة يعقوب له، ومهما يكن من أمر فإن فكرة توكيد اختصاص يعقوب ونسله بالبركة والتميز وتسجيل سيادتهم على أخوتهم وأبناء أخوتهم وسائر أمم الأرض وعبوديتهم لهم ملموحيه بكل قوة في القصة مما جعل مدوني السفر يسيغون تدوينها مع ما فيها من تلك الصور العجيبة التي تسجل شدة أناية وخذاع يعقوب وغباء إسحاق والمتبادر إن هذا التسجيل من العوامل التي ظلت تدفع بني إسرائيل إلى الأثرة والأناية والخذاع مهما كانت الوسائل والأساليب^(١).

وجاء في الإصحاحات ٢٨ - ٣١. سياق طويل يقص فيه قصة وصية إسحاق ليعقوب بأن لا يتزوج من بنات كنعان بل من بنات خاله في فدان آرام ودعوته بأن يعطيه بركة إبراهيم له.

ولنسله ليرث أرض غربته التي وهبها الله لإبراهيم (عليه السلام)، وذهابه إلى حاران واتفاقه مع خاله لا بان على خدمته سبع سنين مقابل زواجه بابنته راحيل فأدخلت عليه غيرها فحصلت ليثة إلى جنبه بلا نكاح بدلاً من راحيل التي أحبها وخدمته لخاله سبع سنين أخرى مقابل زواجه براحيل وخدمته ست سنين لخاله مقابل قطعان من المواشي أعطاهها له، وهبه راحيل أمتها بلهه وليثة أمتها زلفة ليعقوب لاستيلائهما في ظروف امتنعتا فيها عن الحمل، وولادة راوبين وشمعون ولاوي ويهوذا وزبولون ويساكر وبتاً اسمها دينه من ليثة ويوسف من راحيل ودان وفتالي من بلهه وجاد وأشير من زلفة أثناء مقامه في حاران^(٢).

ونمو غنم يعقوب نمواً عظيماً حتى أثار حسد وحقد خاله وأبنائه مما جعله

(١) تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم/ محمد عزه دروزه/ ٣٢.

(٢) المعروف أن بني يعقوب اثنا عشر وهؤلاء أحد عشر، أما الثاني عشر فقد ولد له من راحيل بعد خروجه من حاران وهو بنيامين.

ينصرف مغاضباً لهم بزوجاته وأولاده ومواشيه وأمواله ويعود إلى أرض كنعان ومما ذكره الإصحاح الحادي والثلاثين إن راحيل سرقت أغنام أبيها وان لابان وأبناءه خرجوا في أثر يعقوب وأدركوه في شرق الأردن وعاتبوه على فراره وسرقة أصنامهم وأن الرب تراءى للابان في الحلم.

وكيف يتراءى له الرب مع أنه وثني - وأمره بعدم مس يعقوب بشر مما جعله في النهاية يجنح إلى مسالمة وقطع عهد سلام معه. وقد ذكر الإصحاح الثامن والعشرون خبر رؤية يعقوب للرب في حلمه ووعد له بتنمية نسله وتبارك جميع قبائل الأرض به وبنسله وإعطائه الأرض له ولنسله، مما هو متأثر فيما هو المتبادر بفكرة اختصاص يعقوب بالبركة والأرض التي ظلت تحرك بني إسرائيل وتحملهم على تسجيل ذلك وترسيخه جبلاً بعد جيل والمرة بعد المرة^(١). وجاء في الإصحاح الثاني والثلاثين قصة زائفة حيث ذكر أن رجلاً ظهر ليعقوب وهو في طريقه فصارعه حتى مطلع الفجر وأبى أن يطلقه حتى يباركه، وقد سأله الرجل عن اسمه فقال له أنه يعقوب فقال لا يكون أسمك يعقوب فيما بعد بل إسرائيل لأنك إذ رؤُست عند الله فعلى الناس أيضاً تستظهر^(٢) وسأله عن اسمه فلم يقله له وباركه ومضى وسمي يعقوب المكان فنوئيل قائلاً: إني رأيت الله وجهاً إلى وجه، مما يبدو فيه الخيال من جهة وفكرة تسجيل عناية الرب بيعقوب وتقديره علوه وبالتالي علو نسله على الناس من جهة أخرى.

وفي هذه الإصحاح الذي يليه خبر لقاء عيسو مع يعقوب في الطريق وتخوف يعقوب منه لما يعرف من سابق حقه عليه واستغاثته الله بإنقاذه، وإظهار عيسو الترحيب به والمودة خلافاً لما وتقديم، تقديم يعقوب إليه هدية من المواشي التي جاء بها، ورجوع عيسو بعد ذلك إلى سعير، وأستمر يعقوب في طريقة إلى أن دخل أرض كنعان ونزل عند شكيم حيث ابتاع حقلاً من أهلها وأقام مذبحاً ودعاه باسم الله القدير إله إسرائيل.

(١) الفصل في الملل/أبن حزم الأندلسي/١/١٤٠، تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم/محمد عزة دروزه/٣٢.

(٢) في النسخ البروتستانتية العبارة جاءت هكذا (لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت).

في الإصحاح الرابع والثلاثين قصة عدوان شكيم بن حمور الحوى رئيس البلد على عرض دينة بنت يعقوب وشغفة بها وطلبها من أبيها لتكون زوجة له بواسطة أبيه وقد عرض الأب على يعقوب وبنيه تبادل الصهارة والإقامة بين ظهرانيتهم والاتجار والتملك وأظهر استعداداه لإعطاء المهر الذي يطلبونه لدينه ولأن ابنه علق بها^(١).

وقال بنو يعقوب: لا نستطيع أن نعطي أختنا لرجل أقلف لأن ذلك عار علينا فإذا اختتن كل ذكر منكم فحينئذ نوافقكم ونصاهركم ونقيم عندكم، ونصير شعباً واحداً. وكان ذلك منهم كيداً ومكراً على ما ذكر الإصحاح نفسه. ووافقته الفتى اختتن وأقنع أبوه أهل المدينة فاختتن كل ذكر فيها حسب طلب بني يعقوب. وحينئذ أستل شمعون ولأوى أخوا دينة سيفين ودخلا المدينة آمينين وقتلا كل ذكر بما فيهم حمور وشكيم اغتناماً لفرصة جراح الختان ووجعه وأخذوا أختهم وسبوا جميع نساء المدينة وأطفالها استاقوا جميع ما فيها من بقر وغنم وحمير ونهبوا جميع أموالها واستبد الخوف بيعقوب وقال لبنيه لقد استقيتmani واخبتما ريحي عند أهل الأرض والكنعانيين والفرزيين وأنا في نفر معدود فيجتمعون عليّ ويقتلونني أنا وأهل بيتي، ثم خرج من المنطقة بأمر الرب إلى بيت آيل فأقام فيها مذبحاً ثم ارتحل منها إلى قرية أربع حيث كان ينزل أبو إسحاق.

والمبالغة بادية في وصف ما فعله لأوى وشمعون من قتل جميع الذكور وسبي الأطفال والنساء ونهب جميع الأموال واستياق جميع المواشي. وينقض ذلك ما حكاه الإصحاح من خوف يعقوب من أهل المنطقة وفراره منها إلى محل بعيد مأهول بشعب غير الشعب الذي يأهل منطقة شكيم حيث كانت هذه المنطقة مأهولة بالكنعانيين بينما كانت منطقة أربع مأهولة بالأمويين على ما مرّ بيانه. ومهما يكن من أمر ففي القصة حادث غدر عجيب نحو شعب برمته بسبب عاطفة غرامية لشخص منهم، وخاصة بعد أن أظهر هذا الشخص وأبوه رئيس البلد وأهل المدينة كل استعداد لتلافي الأمر، ووافقوا على شرط ومنحوا يعقوب وبنيه كل

(١) الفصل في الملل/ ابن حزم الأندلسي/ ١/ ١٤٣، تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم/ محمد عزه دروزة/ ٣٣-٣٤.

شيء مما لا ريب فيه أن تسجل هذا الحادث من العوامل التي أصلت الروح التي صدر عنها هذا الغدر في بني إسرائيل وجعلتهم لا يتورعون عن ارتكاب مثله في كل فرصة مناسبة^(١).

وذكر في الإصحاح الخامس والثلاثين من سفر التكوين خبر تجلي الرب ليعقوب بعد خروجه من منطقة شكيم على الوجه الذي خرج به وتكرار وعده له بتنمية نسله وإخراج ملوك من صلبه وجعل الأرض التي أعطاها لإبراهيم وإسحاق له ولنسله والمتبادر أن هذا متأثر بفكره الاختصاص التي ظلت تتحكم في أذهان بني إسرائيل وتجعلهم يسجلونه المرة بعد المرة.

وفي الإصحاح: خبران عجيبان: أولهما قول يعقوب لأهله (أزيلوا الآلهة الغربية التي بينكم).

فسلموها إليه. أي أن أهل يعقوب لم يلبثوا أن تأثروا بمن كانوا يسكنون عندهم من أهل الأرض فاتخذوا أصنامهم آلهة لهم^(٢).

ولقد كانت زوجتا يعقوب حديثتي عهد بالوثنية لأن لابان أباهما كان وثنياً وقد سرقت راحيل أصنامه على ما مر ذكره قبل قليل. ولقد ظل هذا ديدن بني إسرائيل في مختلف أدوار تاريخهم القديم حيث كانوا لا يلبثون أن ينجرفوا إلى الوثنية تأثراً بمن كان حولهم من الشعوب.

أما ثاني الخبرين: فهو مضاجعة راوبين بكر يعقوب لبلهة زوجة أبيه وأم دان وفتالي وانتشار الخبر عند الجميع. ومن العجيب إن الإصحاح لم يسجل أثراً لهذا العار الذي كان أعظم من عار هتك عرض دينه.

وقد ذكر في آخر الإصحاح خبر وفاة إسحاق ودفنه من قبل ابنه يعقوب وعيسو وإقحام عيسو في الخبر عجيب مثل إقحام إسماعيل في خبر دفن إبراهيم مع إسحاق لأن عيسو قد نزع وسكن في جبل سعير في أقصى جنوب شرق الأردن^(٣)!

(١) تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم/ محمد عزه دروزة/ ٣٣-٣٤.

(٢) المصدر السابق نفسه/ ٣٥.

(٣) المصدر نفسه/ ٣٥.

وتذكر التوراة: أن عيسو لما رأى أن بنات كنعان شريرات في عيني أبيه مضى إلى إسماعيل فتزوج بنتاً له اسمها محلّه بالإضافة إلى زوجاته الأوليات^(١). ثم ذكر السفر مواليده عيسو وزوجاته^(٢). مع شيء من التناقض، حيث سميت بنت إسماعيل هنا باسمه وسميت زوجاته الأوليان عادة بنت أيلون الحثي وأهليامه بنت عانة بنت صبعون الحوى ووصفتا بصفة بنات كنعان. وقد ذكر الإصحاح إنه ولد لعانة ولد اسمه اليفاز ولبسمة ولد اسمه دعوثيل ولا هليامه ثلاثة أولادهم يعوش ويعلام وقورح. هؤلاء ولدوا في أرض كنعان. ثم أخذ عيسو نساءه وبنيه وبناته وكل نفس في بيته وما شيته وكل بهائمة وأنتقل إلى أرض غربتهما. وقد أقام عيسو بجبل عسير. وهو أدرم وأبو الأدميين وهناك نمت ذريته وكثرت. وقد ولد لأليفاز يتمان وأومار وصفو وجعثام وقناز وولد لرعوئيل نحت وزارح وشمه ومزه ثم يقول الإصحاح وهؤلاء زعماء بني عيسو: بنو اليفاز بكر عيسو الزعيم تيمان والزعيم أومار والزعيم صفو والزعيم قناز والزعيم قردح والزعيم جعثام والزعيم عماليق. وهذا الأخير هو ابن لأليفاز من سرية اسمها تمناع. ثم بنو رعوئيل الزعيم نحت والزعيم زارح والزعيم شمة والزعيم مزة. ثم بنو أهليامه زوجه عيسو الزعيم يعوش والزعيم يعلام والزعيم قورح وفي آخر الإصحاح ذكروا مرة ثانية ببعض زيادة ونقص هكذا هذه أسماء زعماء عيسو بقباثلهم ومواضعهم بأسمائهم: الزعيم تمناع علوه والزعيم يتيت والزعيم أهليامه والزعيم أيله والزعيم فينون والزعيم قناز والزعيم تيمان والزعيم مبصار والزعيم مجدثيل والزعيم عيرام. حيث تعتبر عبارة هذه الإصحاح ركيكة ومتداخلة. ويذكر السفر في النسخة العبرانية هكذا (وضاجع بلهة سرية أبيه فسمع إسرائيل)^(٣).

وجاءت في النسخة اليونانية هكذا (وضاجع بلهة سرية أبيه فسمع إسرائيل وكان قبيحاً في نظره) والصحيح ما في اليونانية ولكن في الحقيقة إن النسختين خطأ لما تحتويان من الكلام المنكر والقبيح والذي ينسبونه إلى الله فحاشا لله من أن يصدر منه هذا الكلام وحاشا لزوج النبي يعقوب من الزنا وعلى كل حال فإن

(١) تك: الإصحاح/٢٨.

(٢) تك: الإصحاح/٣٦.

(٣) تك: الإصحاح/٣٥:٢٢.

الفرق والاختلاف واضح بين النسختين^(١).

وذكر هذا السفر هذه العبارة في النسخة اليونانية (لما سرقت صواعي) وهذه الجملة لا توجد في العبرانية والصحيح ما في اليونانية^(٢).

ويذكر في السفر (فهؤلاء بنو ليئة الذين ولدتهم بين نهر سورية ودينا ابنتها فجميع بنيتها ثلاثة وثلاثون نفساً) فقوله ثلاثة وثلاثون نفساً غلط^(٣).

والصحيح أربع وثلاثون نفساً. وأعترف بكونه غلطاً، مفسرهم المشهور هارسلي حيث قال: (لو عددت الأسماء وأخذتم ديना صارت أربعة وثلاثين ولا بد من أخذها، كما يعلم من تعداد أولاد زلفة لأن سارا بنت أشير واحدة من ستة عشر).

وقال السفر في ذكر بركة يعقوب (عَلَيْهِ السَّلَام) على بينه وأنه وضع يده اليمنى على رأس أفرايم بن يوسف واليسرى على رأس منسي بن يوسف وإن ذلك شق على يوسف (عَلَيْهِ السَّلَام) وقال لا يحسن هذا يا أبت لأن هذا بكر ولدي فأجعل يمينك على رأسه يعني منسي فكره ذلك يعقوب وقال علمت يا بني علمت وستكثر ذرية هذا وتعظم ولكن أخاه الأصغر يكون أكثر منه نسلاً وعدداً يعني أن فرايم يكون عدد نسل منسي ثم ذكر في مصحف يوشع أن بني منسي كانوا إذا دخلوا الشام وقسمت عليهم الأرض اثنين وخمسين ألفاً وسبعمئة مقاتل وإن بني أفرايم كانوا حينئذ اثنين وثلاثين ألفاً وخمسمئة^(٤).

وذكر في كتاب لهم ومعظم عندهم اسمه سفطيم أنه ذكر بني إسرائيل قبل داود (عَلَيْهِ السَّلَام) أربعة من ملوك بني منسي وأربعة من بني أفرايم وأن من جملة بني منسي المذكورين رجلاً اسمه مفتاح بن علفاذ قتل من بني أفرايم اثنين وأربعين ألف مقاتل حتى كاد أن يستأصلهم في كتاب لهم آخر معظم عندهم أيضاً اسمه ملاخيم أنه ملك عشرة أسباط من بني إسرائيل بعد سليمان (عَلَيْهِ السَّلَام) إلى أن ذهب الأسباط المذكورون وسبوا من بني أفرايم ملكيين كانت مدتهما جميعاً ستاً وعشرين سنة فقط وهما باريعام وابنه باباط ووليهم من بني منسي خمسة ملوك واتصلت دولتهم

(١) الفصل في الملل/ ابن حزم الأندلسي/ ١/ ١٥١. (٢) تك: الإصحاح/ ٤٤/ ٥.

(٣) تك: الإصحاح/ ٤٦/ ١٥. (٤) تك: الإصحاح/ ٤٨.

مائة وعامين وهما زحربا بن باريعام بن نواس بن نهر باحار بن بهو كلهم ملك بن ملك بن ملك بن ملك بن ملك ولم يكن فيمن ملك الأسباط العشرة أقوى ملكاً من هؤلاء المنسائين وهذا ضد قول يعقوب الذي حكوه عنه وحاشا لله أن يكذب نبي فيما ينذر به من الله (ﷺ) فأن قالوا أن يوشع بن نون وربور أنسه وملحي المورشي النبي كلهم كان من بني أفرايم، وكان بنو أفرايم إذ أخرجوا من مصر أربعين ألف وسبعمائة مقاتل وكان بنو منسي يومئذ اثنين وثلاثين ألفاً ومائتين مقاتل. ولم يذكروا أن يعقوب قال يكون الشرف في نسل أفرايم إنما حكيتم أنه قال أن أفرايم يكون أكثر نسلًا وعدداً من منسي على التأييد والعموم وإيصال البركة لا على وقت خاص قليل ثم يعود الأمر بخلاف ذلك فتبطل البركة ويصير المبارك مدبراً والمدبر مباركاً في الأبد^(١).

وفي هذا السفر ذكر عن يعقوب (ﷺ) أنه قال لرأوبين في ذلك الوقت أنت أول المواهب مفضل في الشرف مفضل في العز ولا تفضل منهم له ماء^(٢). إن هذا الكلام يكذب أوله وآخره.

وفي الإصحاح نفسه ذكر إن يعقوب (ﷺ) أنه قال ليهودا حينئذ لا تنقطع من يهوذا المخصرة ولا من نسله قائد حتى يأتيني المبعوث الذي هو رجاء الأمم^(٣).

وهذا كذب لأنه قد انقطعت من يهوذا المخصرة وانقطعت من نسله القواد ولم يأت المبعوث الذي هو رجاءهم وكان انقطاع الملك من ولد يهوذا من عهد نبوخدنصر منذ أكثر من ألف وخمسمائة عام إلا مدة يسيرة وهي مدة زربائيل بن صلثائيل فقط.

ويقول الكاتب أشموال بن يوسف اللاوي والمعروف بابن النفرال: في سنة أربعمائة وأربع حيث يقول لم تزل رؤوس الجواليت ينتسلون من ولد داود وهم من بني يهوذا وهو قيادة وملك ورياسة فقلت لهذا خطأ لأن رأس الجالوت لا يندد أمره أحد من اليهود ولا من غيرهم وإنما هي تسمية لا حقيقية لها ولا له قيادة ولا بيده

(١) الفصل في الملل/ ابن حزم الأندلسي/ ١/ ١٥٣. (٢) تك: الإصحاح/ ٤٩.

(٣) تك: الإصحاح/ ٤٩.

محصرة فكيف وبعد أحرب بابن برام لم يكن من بني يهوذا أصلاً. مدة ستة أعوام ثم بعده نشأ الملقب صدقيا بن يوشيا لم يكن منهم لأحد له معين ولا من يملك على أحد أثنين وسبعين عاماً متصلة حتى ولي زربابيل ثم انقطع الولاية منهم جملة لا رأس جالوت ولا غيره مدة ولات الهارونيين ملكاً مائتين من السنين. ليس لأحد من يهوذا في ذلك أمر إلى دولة المسلمين أو قبلها بيسير فأوقعوا اسم الجالوت على رجل من بني داود إلى اليوم إلا أن بعض المؤرخين القدماء ذكروا إن هردوس وابنيه وابن ابنه إعريفاس بن إعريفاس كانوا من بني يهوذا وألا ظهر إنهم من الروم عند كل مؤرخ فظهر كذب هؤلاء وحاشا لله أن يكذب نبي^(١).

وفي هذا السفر: ذكر يعقوب (عليه السلام) قال للاوي وشمعون سأبددهما في يعقوب وأفرقهما في إسرائيل^(٢). أما لاوي فكان نسله مبدداً في بني إسرائيل كما ذكر وأما بنو شمعون فلا بل كانوا مجتمعين في البلد الذي وقع لهم كسائر الأسباط ولا فرق وليس إنذار النبوة مما يكذب في قصة ويصدق في أخرى.

وجاء في هذا السفر في النسخة العبرانية هكذا: (فأذهبوا بعضامي من هاهنا)^(٣). وفي اليونانية والسامرية هكذا: (فأذهبوا بعضامي من هاهنا معكم). فلاختلاف واضح بينهما.

ب - التناقض في سفر الخروج:

لقد ذكر السفر هذه العبارة في النسخة اليونانية: (وولد أيضاً غلاماً ثانياً ودعا اسمه لعازر فقال من أجل إن إله أبي أعانني وخلصني من سيف فرعون) حيث إن هذه العبارة لا توجد في النسخة العبرانية والصحيح ما في اليونانية. ويعتبر هذا الكلام اختلافاً واضحاً بين النسختين^(٤).

وجاء في هذا السفر هذه العبارة في النسخة العبرانية هكذا (فولدت له هارون وموسى). وفي النسخة السامرية والترجمة اليونانية هكذا: (فولدت له هارون وموسى ومريم وأختهما) فلفظ (مريم أختهما) سقط من النسخة العبرانية. وهذا

(١) الفصل في الملل/ ابن حزم الأندلسي/ ١/ ١٥٣. (٢) تك: الإصحاح/ ٤٩: ٥ - ٧.

(٣) تك: الإصحاح/ ٥٠: ٢٥.

(٤) إظهار الحق/ الهندي/ ١/ ٣٢٦.

اختلاف واضح بين النسختين^(١).

وجاء في السفر أيضاً: إن هارون ألقى العصا بين يدي فرعون وعبيده فصارت حية فدعا فرعون بالعلماء والسحرة وفعلوا بالرقى المصري مثل ذلك ولكن عصا موسى ازدردت عصيهم ثم ذكر إن موسى وهارون فعلا ما أمرهما السيد فرجع العصا وضرب بها ماء النهر بين يدي فرعون وعبيده فعاد دماً ومات كل حوت فيه وتتن والنهر ولم يجد المصريون سبيلاً إلى الشراب منه وصار الماء في جميع أرض مصر دماً ففعل مثل ذلك سحرة مصر برقاهم ثم ذكر أن هارون مد يده بالعصا وضرب بها غبار الأرض فتخلف منها بعوض في الآدميين والأنعام وعاد جميع الغبار بعوضاً في جميع أرض مصر فلم يفعل السحرة مثل ذلك برقاهم وراموا اختراع البعوض فلم يقدروا عليه فقال السحرة إلى لفرعون: هذا صنع الله^(٢).

لو صح هذا الكلام لبطلت نبوة موسى (ﷺ) بل نبوة كل نبي ولو قدر السحرة على شيء من جنس ما يأتي به النبي لكان باب السحرة وباب مدعى النبوة واحداً ولما انتفع موسى بازدراء عصاه لعصيهم ولا بعجزهم عن البعوض وقد قدروا على قلب العصي حيات وعلى إعادة الماء دماً^(٣). وعلى المجيء بالضفادع ولما كان لموسى (ﷺ) بنبوته أكثر من أنه أعلم بذلك العمل منهم فقط ولو كان كما قال هؤلاء الكذابون لكان فرعون صادقاً في قوله إنه لكبيركم الذي علمكم السحر ولا منفعة لهم في قول السحرة في البعوض هذا صنع الله لأنه يقال لبني إسرائيل فعلى موجب قول السحرة لم يكن من صنع الله قلب العصا حية والماء دماً والمجيء بالضفادع بل غير صنع الله وهذه عزيمة تقشع منها الجلود أين هذا الأفك المفترى البارد من نور الحق الباهر إذ يقول الله (ﷻ) ﴿ إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سِحْرٍ ﴾^(٤). ويقول الله تعالى: ﴿ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴾^(٥) قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٦١﴾ قَالُوا يَمْوَسَّىٰ إِنَّمَا أَنْ تُلْقِيَ وَإِنَّمَا أَنْ تَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ ﴿٦٢﴾ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿٦٣﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٦٤﴾ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ

(٢) خرو: ٧: ٩

(١) خرو: ٦: ٢٠

(٣) الفصل في الملل/ ابن حزم الأندلسي/ ١/ ١٥٣. (٤) سورة طه/ الآية ٦٩.

﴿فَعَلِبُوا هُنَالِكَ وَأَنْقَلَبُوا صَغِيرِينَ﴾^(١).

ويقول تعالى: ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا جِآهُمْ وَعَصِيَّتُهُمْ يُخِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهُ تَسَعَى﴾^(٢).

فأخبر عز وجل أن الذي عمل موسى حق وإن عصاه صارت ثعباناً على الحقيقة. بقوله تعالى: ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾^(٣).

فصح أنه تبين ذلك لكل من رآه يقيناً وأخبر أن الذي عمل السحرة إنما هو إفك وتخيل وكيد وهذا هو الحق الذي تشهد به العقول لا في الكتاب المبدل المحرف^(٤).

فصح أن فعل السحرة حيلة مموهة لا حقيقة لها وهذا الذي يصححه البرهان إذ لا يحيل الطباع إلّا خالقها شهادة لرسله وأنبيائه وفرقاً بين الصدق والكذب لا قولهم عمل السحرة مثل ما عمل موسى في وقت تكليفه برهان على صدق قوله وعند تحديده لهم على أن يأتوا بمثله إن كانوا صادقين وهو كاذب فأتوا بمثله. وإن وأضح ذلك الكتاب الذي يسمونه (الحماس) ويدعون أنه توراة موسى (ﷺ) إنما كان زنديقاً مستخفاً بالباري تعالى ورسله وكتبه وحاشا لموسى (ﷺ) منه وأنهم إلى الآن يزعمون أن إحالة الطباع وقلب الأجناس عن صفاتها الذاتية إلى أجناس أخر واختراع الأمور المعجزات في البنية يقدر على ذلك بالرقى والصناعات. وإن من صدق بهذا مبطل للنبوّة بلا شك إذ لا فرق بين النبي وغيره إلّا في هذا الباب فإذا أمكن لغير النبي فلم يبق إلّا دعوى لا برهان عليها ونعوذ بالله من الضلال. وفي قصة قلب الماء دماً فضيحة أخرى ظاهرة الكذب وهي أنّ في نص الكلام الذي يزعمونه التوراة ثم قال السيد لموسى قل لهارون مد يدك بالعصا على مياه مصر وأنهاها وأوديتها ومروجها وجناتها لتعود دماً وتصير ماءً في آنية التراب والخشب دماً ففعل موسى وهارون كما أمرهما به السيد إلى قوله وصار الماء في جميع أرض مصر دماً ففعل مثل ذلك مثل سحرة مصر برقاهم واشتد قلب فرعون ولم يسمع لهم على حال ثم انصرف فرعون ودخل بيته ولم يوجه قلبه إلى هذا أيضاً

(٢) سورة طه/ الآية ٦٦.

(١) سورة الأعراف/ ١١٣ - ١١٩.

(٤) الفصل في الملل/ ابن حزم الأندلسي/ ١/ ١٥٥.

(٣) سورة الأعراف/ الآية ١٠٧.

وحفر جميع المصريين حوالي النهر ليصيبوا الماء منها لأنهم لا يقدرّون على شرب الماء من النهر^(١).

وهذا نص كتابهم فأخبر أن كل ماء كان بمصر في أنهارها وأوديتها ومروجها وجناتها وأواني الخشب والتراب والماء كله في جميع أرض مصر صار دماً فأبي ماء بقي حتى تقلبه السحرة دماً كما فعل موسى وهارون. إن هذا الكلام مليء بالكذب فإن قالوا ماء الآبار التي حفرها المصريون حول النهر وإلا فكيف عاش الناس بلا ماء أصلاً أليس هذه فضائح مردودة.

ويذكر السفر: (ف فعل الرب هذا الكلام في الغد ومات كل بهائم المصريين ولم يمت واحدة من ماشية بني إسرائيل)^(٢)، فيعلم منه أن بهائم المصريين ماتت كلها ثم في الإصحاح (من خاف كلمة الرب من عبيد فرعون هرب بعبيده ودوابه إلى البيوت، ومن لم يخطر على باله قول الرب ترك عبيده ودوابه في الحقول)^(٣)، فيبينهما اختلاف.

ويذكر الإصحاح الحادي عشر هذه العبارة في النسخة السامرية: «وقال موسى لفرعون الرب: يقول إسرائيل ابني بل بكري، فقلت لك أطلق ابني ليعبدني، وأنت أبيت أن تطلقه هاأنذا سأقتل ابنك بكرك». حيث لا توجد هذه العبارة في النسخة العبرانية.

وفي هذا السفر: «يقول حينئذ مجد موسى وبنو إسرائيل بهذه السورة وقالوا مجد بنا السيد فإنه يعظم ويشرف وأغرق في البحر الفرس وراكبة قوّتي ومديحي للسيد وقد صار خلاصي هذا الهي أمجده إله أبي أعظمه السيد قاتل كالرجل القادر»^(٤)، «اعلموا إن السيد إلهكم الذي هو نارٌ أكل»^(٥).

هذا الكلام إساءة كبيرة لأنه يشبه الله (ﷻ) بالرجل القادر ويخبر أنه نار. هذه مصيبة لا تجبر وفي السفر ذكر وصف المنّ النازل عليهم من السماء فقال: وكان أبيض شبيهاً بزريعة الكزبر ومذاقه كالسميد المعلى^(٦). ثم قال في السفر الرابع كان

(١) الفصل في الملل / ابن حزم الأندلسي / ١ / ١٥٥ . (٢) خرو: ٩ : ٦ .

(٣) خرو: ٩ : ٦ . (٤) خرو: ١٥ : ١ - ٢ .

(٥) خرو: ٥ : ٢٤ . (٦) خرو: ١٦ : ٣١ .

المن شبيهاً بزريعة الكزبر ولونه إلى الصفرة وكان طعمه كطعم الخبز المعجون بالزيت^(١).

أن هذا الكلام فيه تناقض في الصفة وأحدى الصفتين تكذب الأخرى بلا شك^(٢).

وذكر هذا السفر أن الله (ﷻ) قال لبني إسرائيل لقد رأيتموني كلكم من السماء فلا تتخذوا معي آلهة الفضة^(٣). ثم قال بعد ذلك صعد موسى وهارون وناداب وأبيهو وسبعون رجلاً من المشايخ ونظروا إلى إسرائيل وتحت رجله كلبه من زمرد فيروزي وكسما صافية ولم يمد الرب يده إلى خيار إسرائيل بني إسرائيل الذي نظروا وأكلوا وشربوا وقال بمقربة من ذلك وكان منظر عظمة السيد كنار آكله في قرن الجبل يراه جماعة من بني إسرائيل^(٤).

وهذا الكلام تجسيم لا شك فيه وتشبيه لا خفاء به.

ويقول السفر الخامس كلمكم الله من وسط اللهب فسمعتم صوته ولم تروا له شخصاً وهاتان قضيتان تكذب كل واحدة منهما الأخرى.

وفي السفر ذكر تدمير بني إسرائيل من إبطاء موسى في النزول من الجبل مرة من المرات وطلبهم من هارون صنع آلهة لهم تسير أمامهم، وتنفيذ هارون للطلب وصنعه من أقراط الذهب التي في آذان النساء والأولاد عجلًا وبنائه أمامه مذبحاً وتقريبه القرابين له... وهكذا لم يكذب حبر وصايا الرب حتى بادر بنو إسرائيل إلى نقضها مما كان ديدناً لهم في جميع تاريخهم.

وأخبر الرب موسى بحيدان قومه عن الطريق التي أمرهم بسلوكها وسجودهم للعجل المسبوك، وقال له أنهم شعب قساة الرقاب فدعني أغضب عليهم وأفنيهم فتضرع موسى وطلب العفو فاستجاب الرب لضراعتة، هذا مما يمت إلى فكرة الاختصاص الرباني لبني إسرائيل التي نبهنا عليها قبل والتي كانت تدفعهم إلى

(٢) الفصل في الملل/ ابن حزم الأندلسي/ ١/ ١٦٠.

(١) خرو: ١١: ٧.

(٤) خرو: ٣٢: ١.

(٣) خرو: ٢٠: ٢٢.

الانحرافات المرة بعد المرة^(١). ورجع موسى ومعه لوحان منقوشان بمعجزة ربانية فيهما الوصايا، ولما وصل ورأى العجل والناس يغنون ويرقصون حوله أتقد غضبه وألقى اللوحين فانكسرا ثم العجل وذراه وهتف من كان الرب فليقبل إليّ فأجتمع إليه جميع بني لاوي فأمرهم بلسان الرب أن يتقلد كل واحد سفيه وأن يقتل أخاه فنفذوا أمره وسقط من الشعب ثلاثة آلاف قتيل، ثم صعد إلى الجبل فناجى ربه معترداً مستغفراً^(٢).

وفي الإصحاح الثالث والثلاثين: ذكر أن الله تعالى قال لموسى أذهب وأصعد من هذا الموضع أنت وأمتك التي أخرجت من مصر إلى الأرض التي وعدت بها مقسماً إبراهيم وإسحاق ويعقوب لأورثها نسلهم وأبعث بين يديك ملكاً لإخراج الكنعانيين والأموريين والحثيين والفرزيين والحويين واليبوسيين تدخل في أرض تفيض لبناً وعسلاً لست أنزل معكم لأنكم أمة قساة الرقاب لثلا تهلك بالطريق فلما سمعت العامة هذا الوعيد الشديد عجبت ولم تأخذ زينتها فقال السيد لموسى قل لبني إسرائيل أنتم أمة قد قست رقابكم سأنزل عليكم مرة وأهلكم فضعوا زينتكم لأعلم ما أفعل بكم وبعد ذلك بفصول قال أن موسى قال لله تعالى إن كنت سيدي عني راضياً فأنا أرغب إليك أن تذهب معنا وبعد ذلك إن الله تعالى قال لموسى سأخرج بنفسي بين يديك.

إن في هذا الكلام كذبتين وتشبيه محقق أما الكذبتان. فأحدها قوله أنه سيبعث بين يدي موسى ملكاً لإخراج الأعداء وأما هو تعالى فليس ينزل معهم ثم نزل معهم وهذا كذب لا مخلص منه تعالى الله عن هذا وحاشا له من أن يقول سأفعل ثم لا يقول لا يفعل ثم لا يفعل وأن يقول لا أفعل، والثانية قوله إنني سأنزل إليكم مرة وأهلككم ثم لم يفعل حاشا لله من هذا وأما التشبيه المحقق فامتناعه من أن ينزل بنفسه واقتضاره على أن يبعث ملكاً لنصرتهم أجاب إلى النزول معهم وهذا ما لا يسوغ فيه ما يسوغ فمن حديث التنزيل من أنه فعل بفعله تعالى لأنه لو كان هذا لكان إرسال الملك أقوى ما يوجد في العالم فإذا قد بطل فقد صح نزول نقله^(٣). وجاء في

(١) تاريخ إسرائيل من أسفارهم / محمد عزة دروزة / ٤٦.

(٢) تاريخ إسرائيل من أسفارهم / محمد عزة دروزة / ٤٧.

(٣) الفصل في الملل / ابن حزم الأندلسي / ١ / ١٦٠.

الإصحاح الثالث والثلاثين: كان الرب يكلم موسى مواجهة فمأ بفم كما يكلم المرء صديقة وأن موسى رغب إلى الله تعالى أن يراه وأن الله تعالى قال له سأدخلك في حجر وأحفظك بيمينني حتى أجتاز ثم أرفع يدي وتبصر ورائي لأنك لا تقدر أن ترى وجهي^(١). ففي هذين القولين تشبيهه شنيع جداً من إثبات آخر بخلاف الوجه وهذا ما لا مخرج منه^(٢)، وقد ورد في التوراة ما يقرر أن الأبناء يؤخذون بذنب الآباء حتى الجيل الثالث والرابع، وهاك نص العبارة: (مفتقد إثم الآباء في الأبناء وفي أبناء الأبناء حتى الجيل الثالث والرابع)^(٣) وفي سفر حزقيال ما يعارض هذا الاتجاه، فقد جاء به النفس التي تخطيء هي فموت الابن لا يحمل من أثم الأب، والأب لا يحمل من إثم الابن، برُّ البار عليه يكون، وشرُّ الشرير عليه يكون^(٤).



(١) تاريخ إسرائيل من أسفارهم / محمد عزة دروزة / ٤٧.

(٢) خرو: ٧، تث: ٥: ٩، وعد: ١٤: ١٨. (٣) خرو/ ٧، تث/ ٥: ٩، وعد/ ١٤: ١٨.

(٤) خر/ ١٨ / ٢٠.

المطلب الثاني التناقض في أسفار اللاويين والعدد والتثنية

أ - التناقض في سفر اللاويين: إن من يقرأ سفر اللاويين (الأخبار) يجد فيه هذه الجملة التي وردت في النسخة العبرانية: (كما أمر موسى) وتوجد بدلها اليونانية والسامرية هذه الجملة: (كما أمر الرب موسى)^(١). حيث إن الاختلاف واضح بين النسختين. وجاء في السفر: هذه العبارة (إذ انزل بكم غريب في أرضكم فلا تظلموه وليكن عندكم الغريب الدخيل فيما بينكم كالصريح منكم وكنفسك تحبه لأنكم كنتم غرباء في أرض مصر)^(٢). وفي هذا السفر إيجاب بقتل أي من بني إسرائيل أو الغرباء الدخلاء فيهم يعطي من نسله (لمولك)^(٣). ثم يستمر الإصحاح في الأوامر والنواهي والعقوبات بصيغة مطلقة بحيث تبدو إنها شاملة للإسرائيليين والغرباء والدخلاء فيما بينهم، هذا في حين أنه ليس في الأسفار ما ثني عما يدل على إن موسى أو بني إسرائيل مأمورون بدعوة غيرهم إلى ديانتهم، وإن كل ما فيها منصب على كون الديانة اليهودية ديانتهم الخاصة وكون الرب ربهم الخاص تنزه تعالى. فالظاهر إنهم كانوا يتساهلون فيقبلون انتساب الغرباء والدخلاء الذين يعيشون بينهم إلى ديانتهم ويشملونهم بأحكامها ورسومها^(٤)، وليس ذلك دعوة ولا تبشيراً، بحيث يصح أن يقال أن الديانة اليهودية ليست تبشيرية ولا إنسانية عامة مع أن ما أنطوى فيها من تعاليم ومبادئ وخاصة وتوحيد الله وعبادته وحده بأسلوب صارم ويجعلها جديرة بأن تكون ديانة ورسالة إنسانية عامة وخالدة.

والمتبادر أن هذا قد أتى من عقيدتهم النفسية التي جعلتهم شديدي الأناية

(١) لاو: ٩: ١٠، إظهار الحق/ الهندي/ ١/ ٣٤٨. (٢) لاو: ١٩: ٣٣ - ٣٤.

(٣) مولك: إله كنعاني يقرب له الأبناء حرقاً، ولاو: ٢٠: ٢ - ٤.

(٤) ينظر: محمد عزة دروزه/ تاريخ بني إسرائيل من إسفارهم/ ص ٥١.

والعزلة والكرهية بالنسبة للأمم الأخرى وجعلتهم يعتبرون أنفسهم شعب الله المقدس ويعتبرون جميع الشعوب دونهم عبيداً لهم ويسجلون ذلك في أسفارهم مما أثار ضدهم جميع الشعوب قديماً وحديثاً^(١).

وإذا كانت طوائف من أمم أخرى اعتنقت الديانة اليهودية مما هو ثابت يقيناً في ظروف سبيهم إلى بابل وبعد عودتهم من السبي ثم بعد جلائهم عن فلسطين بعد الميلاد فالمتبادر أن ذلك كان سبب ما صاروا إليه من حالة وهن وتشتت. ولعله كان من قبيل التساهل بقبول من أراد اعتناقها ممن كان مندمجاً فيهم كدخلاء أو غرباء أو لأجل تقوية أنفسهم بهم. وقد احتوى هذا السفر: ترغيباً وترهيباً شديدين لبني إسرائيل في حالة إتباعهم هذه الوصايا ومخالفتهم لها فقال لهم بلسان الرب: (إن جريتم على رسومي وحفظتم وصاياي وعملتم بها أتت غيوتكم في أوانها وأخرجت الأرض غلالها وتأكلون طعامكم شعباً وتقيمون في أرضكم آمنين والقي السلام في الأرض وأزيل الوحوش الضارية منها فلا يكون عليهم مزعج ولا في أرضكم سيف.. ثم إن لم تطيعوني بعد هذا زدتك تأديباً على خطاياكم سبعة أضعاف. فأحطم شامخ عزمك وأجعل سماءكم كالحديد وأرضهم كالنحاس وتفرغ قواكم عبثاً... وإذا كانوا حينئذ في أرض أعدائهم لا أخذلهم ولا أكرهم بحيث أفنيهم وأفسخ عهدي معهم لأنني أنا الرب إلههم بل أذكر لهم عهد الأولين الذين أخرجتهم من أرض مصر على عيون الأمم لأكون لهم إلهاً أنا الرب»^(٢)...

ويلمح في العبارات الأخيرة أثر من مزاعم الاختصاص التي أوجدت عقدة في بني إسرائيل من حيث كون الإله هو إلههم وكونهم هم شعبه وأنه يشفق عليهم وينقذهم مهما أثموا وانحرفوا وطغوا وبغوا. كما يلمح فيها كما وفي الإصحاحات أثر ما كان من سيرة بني إسرائيل وأحداثهم في أرض كنعان وما كان من انحرافاتهم وما أصابهم من نكال وتشريد بسببها^(٣).

ب - التناقض في سفر العدد: جاء في هذا السفر: (فكان عدد بني إسرائيل جميعه لبيوت آبائهم وعشائرتهم من ابن عشرين سنة وما فوق، ذلك كل الذين كان

(١) المصدر نفسه/ ٥١. (٢) لاو: ٢٦: ١-١٩.

(٣) ينظر: محمد عزة دروزة/ تاريخ إسرائيل من اسفاهم/ ص ٥١.

لهم استطاعة الانطلاق إلى الحروب. ستمائة ألف وثلاثة آلاف وخمسمائة وخمسون رجلاً. واللاويون في سبط عشائهم ولم يعدوا معهم^(١). يعلم من هذه الآيات إن عدد الصالحين لمباشرة الحروب كان أزيد من ستمائة ألف. وإن اللاويين مطلقاً ذكوراً أو إناثاً، وكذلك إناث جميع الأسباط الباقية مطلقاً، وكذا ذكورهم الذين لم يبلغوا عشرين سنة، خارجون عن هذا العدد. فلو ضمنا جميع التروكين والمتروكات من المعدودين لا يكون الكل أقل من ألفي ألف وخمسمائة ألف (٢٥٠٠٠٠٠) وهذا غير صحيح لوجوده.

الوجه الأول: إن عدد بني إسرائيل من الذكور والإناث حينما دخلوا مصر كان سبعين كما هو مصرح في الآية السابعة والعشرين من الإصحاح السادس والأربعين من سفر التكوين والآية الخامسة من الإصحاح الأول من سفر الخروج والآية الثانية والعشرين من الإصحاح العاشر من سفر التثنية وأن مدة إقامة بني إسرائيل في مصر كانت مائتين وخمس عشرة سنة لا أزيد من هذه^(٢). وقد صرح في الإصحاح الأول من سفر الخروج إن قبل خروجهم بمقدار ثمانين سنة، وأبناؤهم كانوا يقتلون وبناتهم تستحيا. وإذا عرفنا هذه الأمور الثلاثة، أعني عددهم حينما دخلوا مصر ومدة إقامتهم فيها وقتل أبنائهم. فالقول: لو قطع النظر عن القتل، وفرض أنهم كانوا يضاعفون في كل خمس وعشرين سنة، فلا يبلغ عددهم إلى ستة وثلاثين ألفاً في المدة المذكورة فضلاً عن أن يبلغ إلى ألفي ألف وخمسمائة ألف.

الوجه الثاني: يبعد كل البعد أنهم يكثرون من سبعين بهذه الكثرة، وأن سلطان مصر يظلمهم بأشنع ظلم، وكونهم مجتمعين في موضع واحد ولا يصدر عنهم البغاوة ولا المهاجرة من دياره والحال إن البهائم أيضاً تقوم بحماية أولادهم.

الوجه الثالث: إنه يعلم من سفر الخروج أن بني إسرائيل كان معهم المواشي العظيمة من الغنم والبقر، ومع ذلك صرح في هذا السفر أنهم عبروا البحر في ليلة واحدة وإنهم كانوا يرتحلون كل يوم، وكان يكفي لارتحالهم الأمر اللساني الذي يصدر عن موسى^(٣).

(٢) ينظر: الهندي / إظهار الحق / ١ / ٤٦ - ٤٧.

(١) عد: ١ : ٤٥ - ٤٧.

(٣) خرو: ١٢.

الوجه الرابع: إنه لا بد أن يكون موضع نزولهم وسيعاً جداً، بحيث يسع كثرتهم وكثرة مواشيهم وحوالي طور سيناء، وكذلك حوالي اثنتي عشرة عيناً في إيليم ليسا كذلك. فكيف وسع هذان الموضعان كثرتهم وكثرة مواشيهم^(١).

الوجه الخامس: وقع في الآية الثانية والعشرين من الإصحاح السابع من سفر الاستثناء هكذا: (فهو يهلك هذه الأمم من الأمم قدامك قليلاً قليلاً تسمه إنك لا تستطيع أن تبيدهم بمرة واحدة لثلا يكثر عليك دواب البر). وقد ثبت أن طول فلسطين كان يعد مائتي ميل وعرضه بقدر تسعين ميلاً كما صرح به صاحب مرشد الطالبين في الفصل العاشر في كتابه في الصفحة (٥١).

فلو كان عدد بني إسرائيل قريباً من ألفي ألف وخمسمائة ألف وكانوا متسلطين على فلسطين مرة واحدة بعد إهلاك أهلها، لما يكثر عليهم دواب البر، لأن الأقل من هذا القدر يكفي لعمارة الملكة التي تكون بالقدر المذكور. وقد أنكر ابن خلدون أيضاً هذا العدد في مقدمة تاريخية، وقال: (الذي بين موسى وإسرائيل إنما هو ثلاثة آباء، على ما ذكره المحققون، ويبعد إلى أن ينشعب النسل في أربعة أجيال إلى مثل هذا العدد)^(٢).

وجاء في السفر: (إن خدام قبة العهد لا بد أن لا يكونوا أنقص من ثلاثين وأزيد من خمسين)^(٣).

وفي السفر: (أن لا يكونوا أنقص من خمس وعشرين وأزيد من خمسين)^(٤).
حيث إن الاختلاف بين العبارتين واضح^(٥).

وجاء في السفر في الترجمة اليونانية هذه العبارة (وإذا نفخوا مرة ثالثة ترفع الخيام للارتحال، وإذا نفخوا مرة رابعة ترفع الخيام الشمالية للارتحال)^(٦). حيث لا توجد هذه العبارة في النسخة العبرانية وجاء في السفر: هذه العبارة في النسخة السامرية (قال الرب مخاطباً لموسى أنكم جلستم في هذا الجبل كثيراً فارجعوا

(١) ينظر: الهندي/إظهار الحق/١/ص ٤٧. (٢) ينظر: الهندي/إظهار الحق/١/٤٨.

(٣) عد: ٤: ٣. (٤) عد: ٨: ٢٤ - ٢٥.

(٥) ينظر: الهندي/إظهار الحق/١/٣٢٦. (٦) عد: ١٠: ٦.

وهلموا إلى جبل الأموريانيين وما يليه إلى العرباء وإلى أماكن الطور الأسفل قبالة التيمن، وإلى شط البحر أرض الكنعانيين ولبنان، وإلى النهر الأكبر نهر الفرات. هوذا أعطيتكم الأرض فأدخلوا ورثوا الأرض التي حلف الرب لأبائكم إبراهيم وإسحاق ويعقوب أنه سيعطيكم إياها ولخلفكم من بعدكم^(١) حيث لا توجد هذه العبارة في النسخة العبرانية.

وجاء في السفر: (قيام مريم وهارون أخو موسى عليه السلام معا ندين لموسى امرأته الحبشية)^(٢). كيف تكون حبشية وقد قال في أول توراتهم أنها بنت يثرون المدياني وهو بلا شك من ولد مدين بن إبراهيم (عليه السلام) فأحد هذين القولين يكذب الآخر.

وجاء في السفر هذه العبارة: (إن فداء خطأ الجماعة أنه كان لابد أن يكون ثوراً مع لوازمه وجدياً)^(٣).

وذكر في الإصحاح الرابع من سفر الأخبار (إن فداء خطأ الجماعة ثور واحد). حيث إن الاختلاف بينهما واضح.

وجاء في السفر: إن ملك عراد الكنعاني سمع خبر مجيء بني إسرائيل عن طريق اتاريم^(٤).

فخرج إليهم وقتلهم وسبى منهم فدعا بنو إسرائيل لربهم فدفع إليهم الكنعانيين فاسلبوهم هم ومدنهم حسب عبارة الإصحاح! ثم رحلوا من طريق بحر القلزم على ما حكاه الإصحاح نفسه ليدوروا حول أرض أدوم ولم يلبثوا أن عادوا إلى تدمرهم على موسى قائلين له. لماذا أصدقتنا من مصر لنموت في البرية؟ فسلط عليهم الحيات فلدغت وأماتت من كثيرين فتضرع للرب فكف عنهم الحيات وأمره بصنع حية نحاسية ورفعها على سارية فيبراً كل لذيغ نظر إليها. حيث يظهر من هذا الكلام آثار الطقوس المصرية وتعاويذها على ما هو معلوم. ثم ارتحلوا بضع مراحل حتى نزلوا في منزل يدعى يا موت.

(٢) عد: ١٢: ١-٢.

(١) عد: ١٠: ١٠-١١.

(٤) عد: ٢١: ١-٢.

(٣) عد: ١٥: ٢٤.

ومن هنا أرسل موسى رسلاً إلى سيحون الأموري ملك حشبون التي يقوم مكانها اليوم قرية حسان في البلقاء في شرق الأردن يطلب منه الأذن بالمرور من أرضه فأبى وخرج مع جميع قومه بني إسرائيل ومنهم وأشتبك معهم في حرب ياهص دارت فيها الدائرة عليه فاستولوا على أرضه ومدنه من أرنون إلى ييوق إلى تخم بني عمون الذي كان منيعاً على ما ذكره الإصحاح نفسه وقد ذكر في الإصحاح الثاني من سفر التثنية ثم أنهم قتلوا كل الرجال والنساء ولم يبقوا باقياً وأخذوا كل ما وجدوه من بهائم وأموال. وبعد أن أقاموا ردهاً في المدن والأرض المفتوحة صعدوا في طريق باشان التي يقوم مقامها اليوم مدينة بيسان فخرج عليهم ملكها عوج مع جميع قومه وأشتبك معهم في الحرب في مكان اسمه أذرعى - لعله مكان قرية اسمها زرعين اليوم بين بيسان ومرج بني عامر وشجعهم الرب^(١). وقال لهم تصنعون به ما صنعتم بسيحون فكتبت لهم الغلبة عليه فضربوه وقومه حتى لم يبق له شريد وورثوا أرضه.

ومن الجدير بالذكر هنا أن هذه العبارة تكررت بعد هذا كثيراً ولكن النصوص تفيد أنها لم تكن صادقة ومليئة بالكذب. وأنه كان في هذه المنطقة وغيرها مما ذكرت الأسفار نفس العبارة عن سكان لم يقو بنو إسرائيل على طردهم فبقوا حيث هم: مما هو في مبالغات الأسفار كما هو المتبادر.

وجاء في السفر هذه العبارة في النسخة العبرانية: (يجري الماء دلوه وذريته بماء كثير، فيتعالى من أجاج ملكة وترفع مملكته). حيث إن الاختلاف بين بينهما واضح^(٢).

ووردت في السفر هذه العبارة في النسخة العبرانية (فتحت الأرض فاها وابتلعت مورح في موت الجماعة مع المائتين والخمسين الذين أحرقتهم النار وكانت آية عظيمة).

وفي النسخة السامرية هكذا (وابتلعتهم الأرض ولما ماتت الجماعة

(١) ينظر: محمد عزة دروزة/ تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم/ ص ٦٠.

(٢) ينظر: إظهار الحق/ الهندي/ ١/ ٣٢٨.

وأحرقت النار المائتين والخمسين فصار عبرة). نلاحظ بين العبارتين اختلاف^(١).

ويعلم من السفر أن بني إسرائيل أفنوا الديانيين في عهد موسى (عليه السّلام) وما أبقوا منهم ذكراً مطلقاً ولا بالغاً ولا غير بالغ، حتى الصبي الرضيع أيضاً. وكذا ما أبقوا منهم امرأة بالغة وأخذوا غير البالغات جواري لأنفسهم. ويعلم من سفر القضاة إن المديانيين في عهد القضاة كانوا ذوي قوة عظيمة، بحيث كان بنو إسرائيل مغلوبين وعاجزين منهم، ولا مدة بين العهدين إلاّ بقدر مائتي سنة فالقول هنا. إذا فني المديانيون في عهد موسى. فكيف صاروا في مقدار هذه المدة أقوياء بحيث غلبوا على بني إسرائيل وأعجزوهم إلى سبع سنين؟.

ج - التناقض في سفر التثنية:

يذكر السفر: (إن موسى عليه السّلام ما أعطى بني جاد شيئاً من أرض عمون)^(٢). لأن الله قد نهاه وهذا مخالف للإصحاح الثالث عشر من يوشع حيث يقول (ونصف الأرض من بني عمون إلى عراوير التي هي محاذة ديا). وإن أحد البيانين غلط يقيناً.

ويذكر السفر: في سياق تشجيع بني إسرائيل وتأميلهم بنصر الله حفظوا وصاياهم بيان للخطة التي يجب أن يسلكها بنو إسرائيل مع أهل البلاد - أرض كنعان - بهذه العبارة (إذا أدخلك الرب إلهك الأرض التي أنت صائر إليها لترثها وأستأصل أماً كثيرة من أمام وجهك الحثيين والجرجاشيين والأموريين والفرزيين والحويين واليبوسيين سبع أمم أعظم وأكثر منك وأسلمهم الرب إلهك وضربهم فأبسلهم ابسالاً - بمعنى الأبارة والإفناء لا تقطع معهم عهداً ولا تأخذك بهم رافة ولا تصاهرهم. أبتك لا تعطها لابنه، وابنته لا تأخذها لابنك لأنه يغوي ابنك عن إتباعي فيعبد آلهة أخرى فيشتد غضب الرب عليكم ويبيدكم سريعاً بل تنقضون مذابحهم وتكسرون أصنامهم وتقطعون غاباتهم وتحرقون تماثيلهم بالنار. لأنك شعب مقدس للرب إلهك. وإياك أصطفي أن تكون له أمة خاصة من جميع الأمم التي على وجه الأرض)^(٣).

(١) ينظر: المصدر نفسه.

(٢) تث: ٢: ١٩.

(٣) تث: ٧: ١.

والخطة توجيهه نحو العدوان المباشر الهادف إلى إبادة السكان في غرب الأردن والحلول محلهم بذريعة أنهم مشركون دون ما أعذار ولا إنذار ولا دعوة إلى سلم وتوحيد مما لم يكد التاريخ يسجل مثلها في الوحشية والقسوة والشمول. تعالى الله وتنزه عنها لما فيها من الكذب والتحريف. والراجح أن تسجيلها متأثر بواقع العدوان الإسرائيلي على أرض كنعان وتنفيذه الفعلي لها. كما أن فكرة الاختصاص التي كانت أقوى مظاهر ما انبثق في نفوس إسرائيل من عقد بارزة في هذا التسجيل وخاصة في الجملة الأخيرة التي سجلها كاتب السفر كمبرر كاف لهذا العدوان^(١).

وجاء في السفر: وفي النسخة العبرانية هكذا (ثم ارتحل بنو إسرائيل من بيروت بني يعقن إلى موشرا، ومات هناك هارون، وقبر هناك ثم قبر بعده العازار ابنه، ومن ثم أتوا إلى غدغاد وارتحلوا من هناك، وحلوا في يطبشا أرض المياه والسواقي.

وفي ذلك الزمان أعتزل سبط لاوي ليحمل التابوت الذي فيه ميثاق الرب، ويقوم قدامه في الخدمة، ويبارك باسمه حتى إلى هذا اليوم^(٢).

وهذه العبارة تخالف عبارة الإصحاح الثالث والثلاثين من سفر العدد في تفصيل المراحل وعبارة سفر العدد هكذا (وارتحلوا من حشمونا وأتوا مشروت ومن مشروت نزلوا في بني عقان. وارتحلوا من بني عقان، وأتوا جبل حد حاد، ثم نزلوا في يطبث ومن يطبث أتوا عفرونا وارتحلوا من عفرونا ونزلوا في عصينجر. وارتحلوا من ثم وأتوا برية سين فهذه هي قادس. وارتحلوا من قادس في هور الطور الذي أقصى أرض أدوم ثم صعد هارون الجبل إلى هور الجبل عن أمر الرب، فمات هناك في سنة أربعين من خروج بني إسرائيل من مصر في الشهر الخامس في اليوم الأول من الشهر. وهارون يومئذ ابن مائة وثلاث وعشرين سنة. وسمع الكنعاني ملك غارد الذي كان يسكن اليتمن في أرض كنعان إن جاء بنو إسرائيل ثم ارتحلوا من هور الطور ونزلوا في صلمونا. وارتحلوا من ثم وأتوا فينون).

إن الاختلاف بين النصين واضح. وإن النص في المتن السامري صحيح كما

(١) ينظر: محمد عزت دروزة/ تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم/ ص ٦٧.

(٢) تث: ١٠.

يقول المفسر آدم كلارل في الصفحة ٧٧٩ و ٧٨٠ في المجلد من تفسيره^(١).

وجاء في السفر: (إن طلع فيكم نبي وأدعى انه رأى رؤيا وأتاكم بخبر ما يكون وكان ما وصفه ثم قال لكم بعد ذلك اتبعوا أبناء آلهة الأجناس فلا تسمعوا له)^(٢).

وفي هذا الكلام دس لكافر مبطل للنبوات كلها لأنه أثبت النبوة بقوله إن طلع فيكم نبي ويصدقه في الأخبار بما يكون ثم أمرهم بمعصيته إذا دعاهم إلى إتباع آلهة الأجناس وهذا تناقض فاحش ولئن جاز أن يكون نبي يصدق فيما ينذر به يدعو إلى الباطل والكفر فلعل صاحب هذه الوصية من أهل هذه الصفة وما الذي يؤمننا من ذلك وهل هاهنا شيء يوجب تصديقه وأتباعه ويبينه من الكذابين إلا ما صحح نبوته من المعجزات فلما لزمته معصيته إذا أمر بباطل فإن معصية موسى لازمه وغير جائزة في شيء مما أمر به إذ لعله أمر بباطل إذ كان في الممكن أن نبي يأتي بالمعجزات يأمر بباطل وحاشا لله من أن يقول موسى عليه السلام هذا الكلام والله ما قاله قط ولقد كذب عليه الكذب المبدل للتوراة وكذلك حاشا لله أن يظهر آية على يدي من يمكن أن يكذب أو يأمر بباطل هذا هو التلبس من الله على عبادة ومزج الحق بالباطل وخلطهما حتى لا يقوم برهان على تحقيق حق ولا إبطال باطل ويجب التذكير هنا أن كلام هذا الإصحاح والإصحاح الذي فيه أن السحرة عملوا مثل بعض ما عمل موسى عليه السلام فإنهما مبطلان على اليهود المصدقين بهما نبوة كل نبي يقرون له بنبوة قطعاً لأنه لا فرق فيهما بين موسى وسائر أنبيائهم وبين الكذابين والسحرة وحاشا لله من هذا الكلام. هذا مع قوله بعد ذلك وأيما نبي أحدث فيكم من ذاته نبوة مما لم تأمر به ولم أعهد إليه أو تنبأ فيكم يدعو للآلهة والأوثان فاقتلوه فإن قتلتم في أنفسكم من أين يعلم أنه من عند الله أو من ذاته فهذا علمه فيكم إذا أنبأ بشيء ولم يكن فأعلموا إنه من ذاته^(٣).

وهذا الكلام صحيح وهذا مضاد للذي قبله من أنه ينبئ بالشيء فيكون كما قال وهو مع ذلك يدعو إلى عبادة غير الله والقوم مخذولون نقلوا دينهم عن زنادقة مستخفين لامؤنه عليهم أن ينسبوا إلى الأنبياء عليهم السلام الكفر والضلال

(١) ينظر: إظهار الحق/ الهندي/ ١/ ٣٢٦. (٢) تث: ١٣: ١.

(٣) ينظر: ابن حزم الأندلسي/ الفصل في الملل/ ١/ ١٨٤.

والكذب والعمد كالذي ذكرنا قيل وكنسبتهم إلى هارون عليه السّلام انه هو الذي عمل العجل لبني إسرائيل وبنى لهم مذبحاً وقرب له القربان وجرّد أستاها قومه للرقص والغناء قدام العجل عراة وكما نسبوا إلى سليمان انه قرب القرايين للأوثان وأنه قتل يواب بن صوريا صبراً وهو نبي مثله وكما نسبوا إلى شاول وهو نبي عندهم يومي الله تعالى إليه مع الملائكة العون إلى الكفر وأن موسى وجيشه قتلوه ثم نسبوا النبوة إلى منسى بن حزقيا الملك وهو بإقرارهم كافر ملعون يعبد الأوثان ويقتل الأنبياء وينسبون المعجزات إلى شمسون الدابي وهو عندهم فاسق مشهور بالفسق متعشق للفواسد ملم بهن وينسبون المعجزات إلى السحرة فأعجبوا لعظيم بليتهم^(١).

وجاء في هذا السفر: (إن اضطجع رجل مع امرأة غيره فكلاهما يموتان، الزاني والزانية وأرفع الشر عن إسرائيل)^(٢).

وجاء في السفر: من سفر اللاويين (ومن زنى بامرأة صاحبة، أو زنى بامرأة لها رجل فليقتل الزاني والزانية)^(٣). وكذلك من الأحكام العشرة التي ذكرت في التوراة، لاتزن وإذا ما قارنا هذا الكلام في الإصحاحين المذكورين وأحكام التوراة في الزنا مع ما ورد في الإصحاح الحادي والعشرين من سفر صموئيل الأول في حال داود عليه السّلام وكذلك في الإصحاح الحادي عشر من سفر صموئيل الثاني اللذين يتحدثان عن داود عليه السّلام وكذلك وعلاقته مع المرأة الجميلة وهي بنت شباع امرأة أوريا. حيث أخذها ونام معها فحبلت منه حسب قول الإصحاح الحادي عشر من سفر صموئيل الثاني وكذلك إرسال زوجها إلى القتال بعد الاتفاق مع يواب ثم مات أوريا وتزوجها داود (عليه السّلام) فولدت له ابناً وأساء هذا الفعل الذي فعله داود أمام الرب. وفي الإصحاح الثاني من سفر صموئيل حكم الرب لداود على لسان ناثان النبي عليهما السّلام هكذا (ولماذا أزريت بوصية الرب وارتكبت القبيح أمام عيني وقتلت أوريا الحيتاني في الحرب، وامراته أخذتها لك امرأة وقتلته بسيف عمون؟ ولكن لأنك أشمت بك أعداء الرب بهذه الفعلة فالابن الذي ولد لك يموت موتاً).

(٢) تث: ٢٢: ٢٢.

(١) المصدر نفسه.

(٣) سفر اللاويين ٢٠: ١٠.

فالقول هنا أن داود قد أخطأ بفعله هذا حيث أنه زنا بهذه المرأة الجميلة وكان سبباً بقتل زوجها وهذا الكلام للتوراة. حيث وجب على النبي داود عليه السّلام القتل بحكم ما ورد في التوراة والوصايا العشرة لموسى عليه السّلام. ونحن نقول: إن مثل هذا الكلام غير صحيح ومن وضع إنسان منحرف الكلم عن موضعه. وأن هذا الشخص المنحرف لا يعلم أن الأنبياء معصومون عن الخطأ. وهذا الكلام محض افتراء على الله وعلى النبي داود عليه السّلام.

وذكر السفر: (ومن كان ولد زانية لا يدخل جماعة الرب حتى يمضي عليه عشرة أحقاب)^(١) وهذا غلط وإلا يلزم أن لا يدخل داود عليه السّلام ولا آباؤه إلى فارض بن يهوذا في جماعة الرب، لأن فارض ولد الزنا كما هو مصرح في الإصحاح الثامن والثلاثين من سفر التكوين وداود عليه السّلام البطن العاشر منه. كما يظهر من نسب المسيح المذكور في إنجيل متى ولوقا. مع أن داود رئيس الجماعة والد البكر لله على وفق الزبور المنحرف. ومثل ما وقع في الآية الأربعين من الإصحاح الثاني عشر من سفر الخروج.

ويذكر السفر: وفي النسخة العبرانية (فإذا عبرتهم الأردن فانصبوا الحجارة التي أنا اليوم أوصيكم في جبل عيبال وشيدوها بالجص تشييداً)^(٢).

وهذه الجملة (فانصبوا الحجارة التي أنا اليوم أوصيكم في جبل عيبال) وفي النسخة السامرية هكذا (فانصبوا الحجارة التي أنا أوصيكم في جبل جرزيم). وعيبال وجرزيم جبلان متقابلان. فيفهم من النسخة العبرانية أن موسى عليه السّلام أمر ببناء الهيكل أعني المسجد على جبل عيبال وفي النسخة السامرية أنه أمر ببنائه على جبل جرزيم. وبين اليهود والسامريين سلفاً وخلفاً نزاع مشهور تدعي كل فرقة منهما أن الفرقة الأخرى حرفت التوراة في هذا المقام.

وذكر السفر: في النسخة العبرانية هكذا (هم أخرجوا نفوسهم، عيبتهم ليس عيباً يكون على أبنائه، هم الجيل الأعوج المتعسف)^(٣).

(٢) تث: ٢٧: ٤.

(١) تث: ٢٣: ٢.

(٣) الإصحاح ٣٢: ٥.

وفي النسخة اليونانية والسامرية هكذا (أخربوهم ليسوا له هم أبناء الغلط والعيب) وان العبارة السامرية واليونانية صحيحة وأما العبارة العبرية فمحرفة كما يقول المنسرين هينولي كينت وكني كات^(١).

وذكر في السفر: هذه العبارة (وكلم الرب موسى في ذلك اليوم وقال له. أرق هذا الجبل عباريم، وهو جبل المجازاة، إلى جبل نابو الذي في أرض ماوب تلقاء أريحا، ثم أنظر إلى أرض كنعان التي أنا أعطيتها لبني إسرائيل ليرثوها ثم مت في الجبل الذي تصعد إليه ويجتمع إلي شعوبك كما مات أخوك هارون في هور طور وأجتمع إلى شعبه على أنكما عصيتماني في بني إسرائيل عند ماء الخصام في قادم بركة صين، ولم تظهر أني في بني إسرائيل، فإنك ستنظر إلى الأرض التي أنا أعطيتها لبني إسرائيل من تلقائها وأما أنت فلا تدخلها)^(٢).

وجاء في سفر العدد هكذا: (وقال الرب لموسى وهارون: من أجل إنكما لم تصدقاني وتقديساني قدام بني إسرائيل، من أجل ذلك لا تدخلوا بهذه الجماعة إلى الأرض التي وهبت لهم)^(٣).

ففي هاتين العبارتين تصريح بصدور الخطأ عن موسى وهارون (عليهما السلام) بحيث صاروا محرومين عن الدخول في الأرض المقدسة. وقد قال الله تعالى زاجراً إنكما لم تصدقاني وتقديساني وإنكما عصيتماني هذا ما صرحت به التوراة، ولكن الحقيقة أي أن الأنبياء (عليهم السلام) معصومون من الخطأ والعصيان، ولم تصدر منهم معصية أو تكذيب أو عدم تقديس فحاشا لله أي يصدر منه هذا الكلام وحاشا موسى وهارون (عليهما السلام) من العصيان والكذب^(٤).

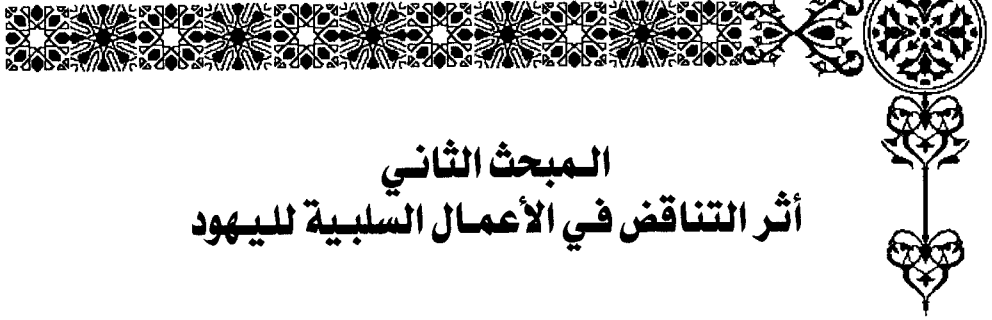


(٢) تث: ٣٢: ٤٨ - ٤٩.

(١) إظهار الحق/ الهندي/ ١/ ٣٢٧.

(٤) إظهار الحق/ الهندي/ ١/ ٤٧٢.

(٣) عد: ٢٠: ١٢.



المبحث الثاني أثر التناقض في الأعمال السلبية لليهود

لم تكن التوراة الحالية تمثل الشريعة اليهودية فحسب بل أنها سجل تاريخي طويل يضم بين دفتيه أما النشاط لليهودية الاجتماعي والسياسي الاقتصادي منذ عصور بعيدة جداً وقد عملت الديانة اليهودية - التوراة خاصة - بما حوته من نصوص وتعاليم ووعود كان أغلبها محرفاً أو مناقضاً لحقيقة التوراة الأصلية التي نزلت على موسى (عليه السلام) بما يجعل هذا التحريف أو التناقض مسخراً لخدمة اليهود وتنفيذ مآربهم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية العمل به وفق أهوائهم متى ما شاء وكيف ما شاء ومن ضمن هذه الوعود المزعومة لديهم التي تعتبر من أهم الأمور التي تهدد عقيدتنا وأمننا وكياننا والتي ستطرق إليها في هذا المجال هي تمليك اليهود أرض فلسطين باعتبارها (أرض - الميعاد) التي منحها رب اليهود (يهوه) (لشعبه المختار) لذلك كانت مقولة (أرض - الميعاد) التي وعد الله بها اليهود على لسان إبراهيم وإسحاق ويعقوب وغيرهم آباء بني إسرائيل - كما يدعون باعتبارهم (شعب الله المختار) الذي اختارهم الله دون بقية البشر وفضلهم على سائر الأجناس لذلك كانت هذه المقولة من أهم أسس الحركة الصهيونية التي اعتمدها يستمدتها في دعوة يهود العالم للهجرة إلى فلسطين (الأرض الموعودة) فربطت بين الدين والسياسة واستغلت نصوص التوراة والتلمود التي وضعها أحبار اليهود. وحاخاماتهم في المنفى (الترحيل البابلي) حيث استطاعت هذه الحركة التأثير على عقول اليهود السذج والفقراء في الدول الأوروبية وفي روسيا وبولونيا. وتمكنت من توجيههم صوب فلسطين العربية بهجرات جماعية متتالية تمكنت من احتلال تلك الأرض العربية وطرد سكانها منها تساعد في ذلك قوى الاستعمار العالمية الإمبريالية ولغرض الإلمام بجوانب هذا الموضوع سأتناول المناقشة بكل موضوع معتمداً بذلك على كتب اليهود ذاتها والكتب الدينية السماوية لدى

غيرهم، وسنقسم هذا المبحث على المطالب الآتية:

- المطالب الأول: أرض الميعاد.
- المطالب الثاني: شعب الله المختار.
- المطالب الثالث: أثر التناقض في فساد عقيدتهم.
- أولاً: مع الله تعالى.
- ثانياً: مع الأنبياء (عليهم السّلام).
- المطالب الرابع: أثر التناقض في فساد أخلاقهم.
- أولاً: علاقتهم مع الآخرين.
- ثانياً: علاقتهم مع أنفسهم.





المطلب الأول «أرض الميعاد»

تعتمد العقيدة اليهودية على ما احتوته التوراة والتلمود والكتب اليهودية الأخرى من تعاليم ونصوص تزعم بأن لليهود حقاً بامتلاك فلسطين وإقامة (دولة يهودية) فيها باعتبارها (أرض - الميعاد) والتي وعد الرب بها إبراهيم ونسله بتمليكهم إياها.

وقد تكرر وعد الرب في كتب أنبيائه المقدسة ولذلك يرى اليهود أن الهجرة إلى فلسطين واحتلالها لإقامة دولتهم فيها تعبير عن إرادته الله.. ووعد له بامتلاك أرض فلسطين وتنفيذ أوامره وتحقيق وعده لهم باعتبارهم - كما يعتقدون - شعبه المختار^(١).

لقد وضعت كتب اليهود المقدسة (التوراة، التلمود، الزوها، وغيرها) أرض فلسطين بكثير من الصفات الدينية، وأسبغت عليها مختلف النعوت ذات التأثير الفاعل في نفوس اليهود وصفتها التوراة: بأنها (الأرض المقدسة)^(٢)، الأرض التي يسكنها الرب فهي أرض الرب^(٣)، وهي (أرض - الميعاد) التي وعد الله إبراهيم أن

(١) الإدعاءات الصهيونية والرد عليها، الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة/ عبد الحميد رشوان/ ١٩٧٧/ ٥٣، وأيضاً: وثيقة الصهيونية في العهد القديم، بيروت - ١٩٨٢/ جورجي كنعان/ ٢٢.

وفي سوسولوجية الصراع العربي الإسرائيلي/ وسعد الدين إبراهيم/ (ط١)، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت/ ١٩٧٧/ ٦٨ - ٦٩، وتوازن القوى بين العرب وإسرائيل دراسة تحليلية بعدوان/ ١٩٦٧/ أمين النفوري، (ط١) دار الاعتدال للطباعة والنشر، دمشق. وموسوعة بهجة المعرفة - سيرة الحضارة، م - المجموعة الثانية (٣)، (ط) دار المختار للطباعة والنشر/ ٣٨.

(٣) هو: ٩: ٣.

(٢) زك: ٢: ١٢.

تكون لنسله، والتي سيعود إليها اليهود تحت قيادة الماشيح (المسيح المخلص اليهودي)، وهي الأرض التي يرعاها الله^(١). وهي الأرض البهية^(٢). والأرض التي تفيض لبناً وعسلاً^(٣).

والأرض المختارة التي تفوق قدسيتها أية أرض أخرى لأنها ترتبط بالشعب المقدس الشعب المختار^(٤). ويطلق اليهود على أرض فلسطين تسمية (أرض الخلاص) ويرمز لهذا الإطلاق إلى ثلاثة مدلولات^(٥).

(١) تخلص اليهود من استعباد المصريين.

(٢) تخلصهم من الكارثة الطبيعية التي حلت عليهم نتيجة العاصفة الشديدة في صحراء سيناء ونجاتهم من التيه في الصحراء المذكورة.

(٣) تخلصهم من الفتن والاضطرابات التي كادت أن تقضي عليهم لعدم انسجام بني إسرائيل مع الأمم والشعوب التي حلوا بينها حوت جموعهم على القتلة واللصوص الفارين من المجتمع المصري، والذين لم يألفوا حياة الأمن والاستقرار واليهود يطلقون على أرض - فلسطين لفظة (ارتس إسرائيل) أي (أرض - إسرائيل)، حيث وردت هذه التسمية في كتاب التصوف اليهودي (الزوهار)، وأن فلسطين كانت تسمى بـ(أرض - إسرائيل) التي يرثها اليهود وعند تحقيقهم لشروط العهد والأيمان بالله وطاعته وإلّا فإنها تدعى باسم الغير (أرض كنعان) ويفسر الربانيون ما جاء في سفر (عايوده زاره) من قول بأن الإسرائيليين قد استولوا على أرض كنعان قبل استيلاء الرب عليها لذا فإن احتلال بني إسرائيل يساوي احتلال الرب، وعندما لا تكون فلسطين تحت سيطرتهم فكأن الرب لم يستولِ عليها بعد^(٦).

(٢) دا: ١١: ١٦.

(١) تث: ١١: ١٢.

(٣) تث: ١١: ٩.

(٤) اليهود والصهيونية وإسرائيل/د. عبد الوهاب المسيري/المؤسسة العربية للدراسة والنشر - بيروت/١٠/١٩٧٥/١١-١١.

(٥) الاستعمار والصهيونية/محمد مصباح حمدان/المكتبة العصرية - ١٩٦٧، ٢٤ - ٢٥.

(٦) التلمود والصهيونية، أسعد رزوق، د. ق، مركز الأبحاث القاهرة/١٩٧٥/٢٤٩، المسيري اليهودية والصهيونية وإسرائيل/١٠-١١.

ويقرر التلمود أهمية أرض فلسطين وقدسيتها، فيعتبر أن (أرض - إسرائيل) كانت بداية الخلق، فهي خلقت أولاً وجاء بعدها خلق العالم كله ونزلت على العالم عشرة مقادير من الحكمة كان نصيب فلسطين منها تسعة مقادير وبقية مقدار واحد للعالم أجمع، ونزلت عشرة مقادير من الجمال أخذت القدس منها تسعة تاركة المقدار العاشر لبقية مدن الأرض^(١). وإضافة مزيد من الارتباط اليهودي بالأرض جعل التلمود - أرض - فلسطين (أرض - إسرائيل) مركز الكون والدنيا لأنها تقف وسط العالم (كما يقف اليهود وسط غيرهم من الأغيار).

يشكل تاريخهم حجر الزاوية في تاريخ العالم^(٢). وفي وسط (أرض إسرائيل) تقف أورشليم، وفي وسط أورشليم يوجد الهيكل وفي داخله يوجد قدس الأقداس، الذي يضم بداخله تابوت العهد، الذي يحتوي بداخله الوصايا العشرة والألواح وتحل فيه روح الله^(٣). وبذلك اعتبر التلمود الأرض المقدسة معادلة للتاريخ اليهودي^(٤). وفي محاولة تأكيد قدسيتها في النفوس اليهودية بعد أن أسهب في وصف حدودها وطبيعة تربتها وقابليتها على الإنتاج الزراعي الذي يختلف عن بقية بقاع الأرض، فجعلها (أرض الطيب) لقابليتها السريعة في إنتاج ثمارها وقابليتها على التوسع والاستيعاب منها خلق جذع آدم وأطرافه من بقاع الأرض الأخرى وكثير من الأمم تنبت مدنها وأطلقت عليها أسماء تيمناً (بأرض إسرائيل)^(٥).

ويشير التلمود إلى أن تعاليم التوراة لا يمكن تنفيذها كاملة إلا في هذه الأرض، ولا يمكن للإنسان أن يتنبأ إلا فيها، لأن جوهرها يجعله حكيماً نبياً، فالعيش فيها والسكن في ربوعها ركن الأيمان، وأساس العبادة ولا يمكن اعتبار من يعيش خارج هذه الأرض مؤمناً بأن من أقام خارجها وأبتعد عنها فهو إنسان كافر أو غل في الشرك وعبد الأصنام والأوثان^(٦).

(١) التلمود والصهيونية/ د. أسعد رزوق/ ٢٥٣.

(٢) اليهودية والصهيونية وإسرائيل/ د. عبد الوهاب محمد المسيري/ ١١.

(٣) نفس المصدر السابق/ ١١ - ١٤/ وللمؤلف نفسه: الأيدولوجية الصهيونية. ق/ ٢٤٤.

(٤) اليهودية والصهيونية وإسرائيل/ المسيري، ق/ ٢، ٢٤٤.

(٥) التلمود والصهيونية/ د. أسعد رزوق، ٢٥٠ - ٢٥٣.

(٦) اليهودية والصهيونية وإسرائيل/ المسيري/ ١١.

وجعل التلمود فلسطين نقطة الارتكاز للسيطرة والتسلط على العالم لاعتباره الدنيا بكاملها ملكاً للإسرائيلي لكونه مساوياً للعزة الإلهية وجزءاً منها وفلسطين هي قطب العالم الذي يجب أن تقوم فيه (الدولة اليهودية) باعتبار هذه الأرض حقاً خالصة لليهودية فلا يجوز لأي فرد في احتلالها والسيطرة عليها^(١). أما الكنعانيون أصحاب البلاد الشرعيون فقد اعتبرهم التلمود مجرد حراس للأرض لحين مجيء بني إسرائيل لاحتلالها والاستيلاء عليها منهم حراس وقتيون يصونون هذه الأرض ويحافظون عليها انتظاراً لقدم أصحابها الشرعيين، كما أن وجود الكنعانيين فيها والسماح لهم بالعيش فيها كان على أساس المنة مقابل جهودهم في حراسة الأرض وحفظها وصيانتها^(٢).

وقد جاء التلمود ما يبرر تمسك اليهود بفلسطين (سوف أعطيك إياها لكي تمتلكوها) وقد فسر الربانيون^(*) هذا القول بما يلي: سوف أعطيك إياها ميراثاً إلى الأبد. ربما تحاجون بقولكم: ليس لدى ما أعطيك سوى ما يخص الغير من المؤكد أنها ليست ملككم بل هي نصيب سام بن نوح، وأنتم أبناء سام، بينما هم - أي الكنعانيون من نسل حام ولو سألتهم ماذا يفعلون هناك، أذن أجب بأنهم يحرسون المكان إلى حين مجيئكم^(٣).

ويعلل التلمود سبب حرمان بني إسماعيل من ملكية الأرض لأنهم من أبناء كنعان الذي لعنه الرب^(٤).

وجعله عبداً لأخوته، والعبد إذا حصل على ملكية فإنها تؤول لمالكة لأن العبد وما يملك لصاحبه، وحتى لو أعطيت فلسطين إلى الكنعانيين فإنها ملك لأسياهم اليهود (أبناء سام بن نوح)^(٥).

(١) دعوى الصهيونية في حكم القانون الدولي/ د. محمد طلعت الغنيمي، مطبعة الأسكندرية، مصر/ ١٩٧٠، ٣-٥.

(٢) التلمود والصهيونية/ د. أسعد رزوق/ ٢٥٣-٢٥٤.

(*) الربانيون: وهم جمهور اليهود ويسمونهم الفريسيين.

(٣) نقلاً عن: د. أسعد رزوق: المصدر نفسه/ ٢٥٣.

(٤) تك: ٩: ٢٥. (٥) التلمود والصهيونية/ د. أسعد رزوق/ ٢٥٥.

ولم تكن فلسطين حجر الزاوية في تعاليم التوراة والتلمود فحسب، بل أن بروتوكولات حكماء صهيون جعلتها ضمن خططها الرامية إلى الاستيلاء على العالم وإخضاعه للنفوذ والسيطرة اليهودية عن طريق إقامة حكومة يهودية عالمية مركزية تكون القدس (أورشليم) عاصمتها الموحدة^(١). لقد أرتبط الدين اليهودي بالأرض ارتباطاً كاملاً، وأصبح يعبر عن هذا الارتباط بعلاقة مترابطة بين المطلق الذاتي (الدين) المقيد النسبي (الأرض)، حيث جعل اليهود المطلق الذي يميل بطبيعته إلى العموم والشمول، ويتخطى الزمان والمكان مقصوراً عليهم وحدهم دون غيرهم. فكان الإله خاصاً بهم لا علاقة للأمم الأخرى بهذا الإله الخاص الذي اقتصرت علامته ووحدانته على اليهود فقط، وبذلك أعتبر اليهود أنفسهم أمة قومية مقدسة. أمة من الكهنة والقدسيين - ذات صلة دائمة بالإله لا تنفصم عراها. وهذا الارتباط الوثيق جعل من الدين اليهودي دين شعب يتطلع إلى أرض وكأنه يسكنها منذ الأزل، حيث عملت تعاليم الكتب الدينية اليهودية عملها في نفوس اليهود عقولهم لإقناعهم بأن أرض - الميعاد هي الأرض التي خلقت لشعب قد اختير من بين الشعوب ليقيم في هذه الأرض المقدسة^(٢).

ولقد كان موقف الصهيونية من (الأرض) يماثل الأفكار والتعاليم اليهودية الواردة في كتبهم الدينية المختلفة، وبذلك استطاعت الصهيونية استغلال الأفكار الدينية اليهودية ذات التأثير الفاعل في نفوس اليهود وظهرت وكأنها امتداد للديانة اليهودية واستمرار لها محاولة بذلك تحويل الجماهير اليهودية لاعتناق مبادئها بعد أن استطاعت المزج بين المجالين الديني والسياسي وحولت الأفكار والرموز الدينية لدى اليهود إلى أفكار ورموز قومية بعد أن أفرغتها من محتواها الديني والأخلاقي ونقلتها من المجال الديني إلى المجال السياسي. وبهذا ضمنت الصهيونية اعتناق جماهير واسعة من اليهود - خصوصاً يهود أوربا ذوي المشارب

(١) دعوى صهيونية في حكم القانون الدولي/ محمد طلعت الغنيمي، مطبعة جامعة الإسكندرية - مصر - ١٩٧٠م/٦.

(٢) بروتوكولات حكماء صهيون/ محمد خليفة التونسي/ مطبعة السنة المحمدية - القاهرة - ١٩٧٢م/٢٩ - ٣٠، ٢٣٥ - ٢٣٩.

المختلفة مبادئها بعد أن كانت تفتقر إلى مثل هذه الجماهير^(١).

وقد اعتمدت الصهيونية على الديانة اليهودية في الترويج لأفكارها، فكانت تخاطب في المقام الأول الذي يعتقدون اليهودية والذين تجمعهم آلام الاضطهاد والتعذيب والمطاردة على مر العصور وروح العنصرية، وفكرة التفوق العنصري والشعب المختار، والدعوة لأرض الميعاد^(٢).

وقد ساعدها في الترويج لأفكارها بعض رجال الدين اليهود الذين حاولوا تنفيذ المفهوم اليهودي القديم حول الخلاص حيث قاموا بدعوة اليهود بالعودة إلى أرض الميعاد ونبذ الفكرة القائلة بأن تلك الهجرة لا تتم إلا بمعجزة يقوم بها المسيح المنتظر، وهم بذلك قد منحوا الصهيونية الشرعية الدينية للصهيونية وأزالوا الشكوك من نفس اليهود المتمزتين^(٣).

وبذلك يصرح رجال الفكر الصهيوني عن العلاقة الجوهرية بين اليهود والأرض وارتباطها بالتوراة، حيث يرون أن الإقامة في فلسطين (أرض - الميعاد) يعتبر من الأوامر الدينية اليهودية، إذ يمكن لليهود تحقيق ذاتهم (القومية) إلا من خلال الالتزام بتعاليم التوراة حيث أن القبس الإلهي لا يمكن أن يؤثر في (الشعب اليهودي) إلا وهو في أرض الميعاد، يعزز ذلك تقديس العمل اليدوي فيها لإعادة خلق الإنسان اليهودي وخلق أساس الوجود (القومي اليهودي) بعودة الأبناء إلى شعبهم المشرّد لخلق الانبعاث القومي في (أرض - الميعاد)^(٤).

وإن أثر هذا التعصب الشديد والأنانية القوية والأفق الضيق يبدو واضحاً من خلال أسفار التوراة المحرفة. وإن دعوى صلة اليهود اليوم بني إسرائيل وتاريخهم على ما في هذا التاريخ من سوءات زائفة كل الزيف، وإن تاريخهم ومنذ القدم خالٍ

(١) الأيدلوجية الصهيونية/ د. عبد الوهاب المسيري/ القسم الثاني/ ٢٢٣ - ٢٢٥ - ٢٤٤.

(٢) في سوسيولوجية الصراع العربي الإسرائيلي/ سعد الدين إبراهيم/ ٦٨.

(٣) موعود العقيدة من الفكر الصهيوني - بحث منشور في مجلة مركز الدراسات الفلسطينية -

د. محمد محمود ربيع/ جامعة بغداد العدد ٤٢ - ٤٣، تموز/ أيلول/ كانون الأول/

٢٠٩/١٩٨١

(٤) اليهودية والصهيونية وإسرائيل/ محمد عبد الوهاب المسيري/ ١١٨.

من أي مجد عمراني وسياسي وعسكري ولا مع ولم يكادوا يتركون في فلسطين بعد تشردهم النهائي عنها أثراً ما، تم تشتتوا في أنحاء الأرض وأندمج كثير منهم في النصرانية والإسلام والعبرانية واختلطت دماؤهم ودماء من بقي على اليهودية منهم بدماء الأقبام التي عاشوا بينها إلى الآن بحيث يصح أن يقال إن الدم الإسرائيلي القديم قد باد أو كاد وأن اليهود اليوم ليسوا إلا جماعة دينية تضم شتى الأجناس واللغات والدماء.

وبذلك يقول الحاخام (حاييم لاندوا)^(١)، (أن روح شعبنا لا تستطيع التعبير عن نفسها إلا إذا عادت الحياة القومية إلى أرضنا من جديد، لأن (القبس الإلهي لا يؤثر في شعبنا إلا وهو في أرضه)^(٢).

وبأنك أكد (لاندوا) الترابط بين (الشعب.. الله.. الأرض) وهي تظهر واضحة في كتابات الصهاينة المتدينين أمثال الحاخام (كوك)^(٣)، الذي يشير إلى ذلك بقوله (ليست أرض إسرائيل شيئاً منفصلاً عن روح الشعب اليهودي. أنها جزء من جوهر وجودنا القومي ومرتبطة بحياتنا ذاتها وبكياننا الداخلي ارتباطاً عضوياً... أن ما تعنيه أرض إسرائيل يمكن فهمه فقط خلال روح الرب المنتشرة في شعبنا كله)^(٤)، استغلت الصهيونية ما حوته الكتب الدينية اليهودية المحرفة في الترويج لأفكارها وخططها فاستمدت من التوراة والتلمود والزوهار وكتب التصوف اليهودي وأقوال الحاخامات ورجال الدين المتعاطفين معها ما يضيفي الشرعية الدينية على أهدافها وغاياتها ويعدها أساساً لمنطلقات الصهيونية السياسية والعملية في ما تدعيه من حقوق إلهية في فلسطين (أرض الميعاد) قد وعدهم الله بها، فكانت تلك الإدعاءات

(١) (لاندوا): هو الحاخام صموئيل حاييم لاندوا، حاخام صهيوني اشتراكي بولندي المولد، وتلقى تربية دينية يهودية وكان عضواً في حركة (مزراحي) كان شديد الإيمان بالأمّة اليهودية والتراث اليهودي.

(٢) نقلاً عن: د. عبد الوهاب محمد المسيري/ الأيدلوجية الصهيونية/ ٢٤٤.

(٣) الحاخام الصهيوني إبراهيم إسحاق كوك (١٨٦٥ - ١٩٣٥) زعيم صهيوني ديني، من شمال روسيا وتلقى تعليمه الديني في إحدى مدارس التلمود. هناك، هاجر إلى فلسطين عام ١٩٠٤.

وموسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية/ د. عبد الوهاب المسيري/ ٣١٩.

(٤) نقلاً عن: الأيدلوجية الصهيونية/ د. عبد الوهاب المسيري/ ٣٤٥.

أهم ما تشبثت به الصهيونية ودعت إليه تحقيقاً لأحلامها في السيطرة والتوسع واستيطان فلسطين واستثمارها وتحقيق السيادة الكاملة عليها بعد طرد سكانها الأصليين عن طريق الغزو العسكري واستعمال القوة والعنف ضدهم، وإرغامهم على قبول سياسة الأمر الواقع. وقد سخرت الصهيونية جميع الوسائل التي تمكنها من الاحتفاظ بالأرض وإرغام أصحابها على قبول الأوضاع المستجدة مكرهين فسعت الصهيونية جاهدة للحصول على الدعم والحماية من الدول الاستعمارية والحصول كذلك على المساعدات المالية والاقتصادية وتوظيف الأموال الأجنبية والاستثمارات الخارجية فيها لإقامة الأساس الأرضي والجغرافي المادي، للكيان السياسي والاقتصادي (للدولة اليهودية) في فلسطين والاعتماد على ما توفره وسائل الدعاية والإعلام اليهودية من تأثير وأسع على الرأي العام العالمي، بغية الحصول على عطف كثير من الدول والشعوب وكسب تأييدها للصهيونية في دعواها لإقامة (الوطن اليهودي) المزعوم في فلسطين^(١).

من أجل الهجرة اليهودية إلى فلسطين لإقامة دولتهم فيها وتحول حنينهم بالهجرة (إلى عقيدة راسخة في نفوسهم وفلسفة عميقة هيمنت على مشاعرهم وتفكيرهم وكانوا يصلون من أجل العودة إليها من أجل بناء أورشليم ويفنون بهذه العودة بمزاميرهم مقدسين ذكراها متلهفين إليها)^(٢).

وبالرغم من زوال حكم اليهود القصير والجزئي في فلسطين منذ قرون طويلة فقد ظلوا يحلمون بالهجرة إلى أورشليم ويتطلعون بأفئدتهم إلى (صهيون) فكان الشوق والتطلع كامناً في نفوسهم يعبرون عنه بتمسكهم بتعاليم دينهم وطقوسه، يساعدهم في تأجيج هذا الحماس والتشوق أنبياءهم الذين كانوا يعلنونهم الآمال بالهجرة إلى أورشليم ويحدثوهم عن الهيكل الجديد الذي سيعيدون بناءه، وبذلك صار الشوق إلى (صهيون) إلى الأرض الميعاد وغدت كلمة صهيون تشمل الأرض

(١) توازن القوى بين العرب وإسرائيل/ أمين النفوري/ دار الاعترال للطباعة والنشر، دمشق، ١٩٦٨م، موسوعة بهجة المعرفة المجلد (١) المجموعة الثانية (٢)/ ٣٠٨.

(٢) قضية فلسطين في ضوء القضاء الدولي، د.حسن الجلبي، معهد البحوث والدراسات - القاهرة/ ١٩٦٩/ ١١.

المقدسة جميعاً، وسميت الأرض المقدسة بـ(ابنة صهيون)^(١).

استطاعت الصهيونية الكامنة استغلال تلك العاطفة الدينية الكامنة لدى أولئك اليهود المتشوقين وتسخيرها لخدمة مطامعها السياسية الاستعمارية، وأصبحت مقولة (أرض - الميعاد) من أهم أسس الصهيونية ومقوماتها بعد أن بلغت مداها في العقيدة الدينية اليهودية فانطلقت الصهيونية تسخر أعظم الجهود واستخدام مختلف الوسائل والأساليب القذرة لنشر مبادئها في مختلف الأوساط والمجتمعات، وتمكنت بذلك من تحويل فلسفتها الخاصة إلى فلسفة دولية عمق المجتمع الدولي عامة. وكان لها الدور الفاعل في تحديد الاتجاهات الموافقة الدولية^(٢). وقد استندت المزاعم اليهودية في تحديد (أرض - الميعاد) على النصوص التي احتوتها التوراة والكتب الدينية اليهودية المقدسة، التي أشارت إلى حدود تلك الأرض التي تضمنتها الوعود الإلهية التي قطعها الرب لإبراهيم وذريته ووعدهم فيها بتمليكهم تلك الأرض^(٣).

تقع أرض الميعاد وكما يفهم من نصوص التوراة في الجنوب الغربي من آسيا وتضم فلسطين بحدودها أيام الانتداب البريطاني وأجزاء من لبنان وسوريا والعراق ومصر^(٤).

إن حدود أرض الميعاد التي وردت في أسفار التوراة، والكتب الدينية اليهودية تتصف بأنها تتدرج في التوسع التدريجي حيث أنها تبدأ بمناطق ضيقة محدودة ثم تتسع لتشمل مناطق شاسعة المساحة فكان أول وعد قطع لإبراهيم هو الذي تضمنه سفر التكوين قد حدد أرض الميعاد بأنها منطقة (شكيم) (نابلس)، واجتاز إبرام في الأرض إلى مكان شكيم إلى بلوطة مورة... وظهر الرب لإبرام وقال: لنسلك أعطي هذه الأرض^(٥). فعبارة (هذه الأرض) تشير إلى (شكيم) (نابلس) فقط^(٦).

(١) قضية فلسطين في ضوء القانون الدولي / حسن الجليبي / ١١.

(٢) الملك المعاصر في الديانة اليهودي / د. إسماعيل زاجي الفاروقي / القاهرة / مكتبة وهبة - ط ٦ / ٧.

(٣) الموسوعة الفلسطينية: إصدار هيئة الموسوعة الفلسطينية، (ج ١)، (ط ١) توزيع شركة الفجر

العربي - بيروت / ١٩٨٤م / ٥٩١.

(٤) المصدر نفسه ٥٩٢. (٥) تك: ١٢: ٦ - ٩.

(٦) إسرائيل في التوراة والإنجيل ٢٧ / د. مراد كامل، الصهيونية والكتاب من كتاب إسرائيل في

الكتاب المقدس ١٨.

ثم بدأت التوراة بالتوسع التدريجي في توسيع حدود أرض الميعاد، فقد زاد سفر التكوين مساحة الأرض بإضافة مناطق جديدة لم تذكر في الوعد الأول (وقال الرب لأبرام بعد اعتزال لوط عنه أرفع عينيك وانظر من الموضع الذي أنت فيه شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً. لأن جميع الأرض التي أنت ترى لك أعطيها ولنسلك إلى الأبد^(١)).

واستناداً إلى هذا النص نرى أن التوراة قد زادت عن مساحة الأرض عندما أشارت إلى حدود وهمية لم تحدد بدقة ووضوح^(٢). بل إن التوراة عادت لتجعل أرض الميعاد تمتد من النيل إلى الفرات وفي ذلك اليوم قطع الرب مع إبرام ميثاقاً قائلاً: (لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر^(٣). إلى النهر الكبير نهر الفرات^(٤)).

إن سعة مساحة الأرض التي وعد الله بها إبراهيم ونسله والتي حددتها أسفار التوراة بأنها تمتد من النيل إلى الفرات لا يختص بها اليهود دون غيرهم من أبناء إبراهيم، لأنها منحت لإبراهيم قبل ولادة إسماعيل وإسحاق كما لا يمكن قبول مطالبة اليهود بإقليم شرق الأردن أو لا يعتبر النص الوارد في سفر التكوين (لأن جميع الأرض التي ترى لك أعطيها...)^(٥). دليلاً قاطعاً لمطالبهم بهذا الإقليم لأنه كان يسبق مولد إسماعيل وإسحاق، وترد ذرائع اليهود القائلة بأن إبراهيم كان يشاهد شرق الأردن من المكان الذي وقف فيه بين (بيت أيل) و(عاى) لأنه حتى وإن أمكن مشاهدة تلك المنطقة فلا يمكن إبعاد أحد من ذرية إبراهيم ونسله من حقه في ميراث تلك الوعود التي شملتهم جميعاً وباعتراف النص السابق^(٦).

وإذا كانت التوراة قد جعلت حدود أرض الميعاد تضيق أو تتسع كما حددتها في أرض كنعان في العهد المقطوع لإبراهيم (وأعطي لك ولنسلك من بعدك أرض

(١) تك: ١٤ - ١٥.

(٢) إسرائيل في التوراة والإنجيل/ د. مراد كامل، المطبعة الفنية الحديثة/ القاهرة/ ١٩٦٨/ ٢٩.

(٣) يعتقد د. جورج يوت إن نهر مصر يقصد به نهر العريش لا نهر النيل، قاموس الكتاب المقدس/ جورج يوت، ج ٢، ١٧١.

(٥) تك: ١٣: ١٥.

(٤) تك: ١٥: ١٨.

(٦) إسرائيل في التوراة والإنجيل/ مراد كامل، ٢٧ - ٢٨. الصهيونية والكتاب المقدس من كتاب

إسرائيل في الكتاب المقدس: ترجمة حسني خشبة، ٣٠.

غربتك كل أرض كنعان ملكاً أبدياً... وأكون إلههم^(١).

وزادت مساحتها في عهد الرب مع يعقوب (الأرض التي أنت مضطجع عليها أعطيها لك ولنسلك ويكون نسلك كتراب الأرض وتمتد غرباً وشرقاً وشمالاً وجنوباً)^(٢).

فأنها عادت لترسم حدودها جديدة لتلك الأرض وتعبدها موسى عند خروجه من مصر، وكأنها أرض ميعاد جديدة تختلف في مساحتها ورسم حدودها عن الأرض الأولى وعبد بها إبراهيم ونسله^(٣) وقد حددت هذه الأرض لموسى بإشارة التوراة (وصعد من عربات موآب إلى جبل بنو إلى راس الفسجة الذي قبالة أريحا، فأراه الرب جميع الأرض من جلعاد إلى دان وجميع نفتالي وأرض أفرايم ومنسي وجميع أرض يهوذا إلى البحر الغربي والجنوب والدائرة بقصة أريحا مدينة النخل إلى صوغر، وقال له الرب هذه هي الأرض التي أقسمت لإبراهيم وإسحاق ويعقوب قائلاً: لنسلك أعطيها. قد أريتك إياها بعينك ولكنك إلى هناك لا تعبر)^(٤).

وتبدو حدود أرض - الميعاد الجديدة حدوداً مبهمه غير واضحة رغم إسهاب التوراة في وصفها وتعريفها، ولكن يمكن القول بأنها شملت الأراضي الواقعة بين البحر الأبيض المتوسط غرباً والفرات شرقاً بما في ذلك القسم المأهول من إقليم شرق الأردن، وبين النقب جنوباً (وهو خط يصل بين العريش والعقبة) ولينان شمالاً (لم توضح الحدود في هذه الجهة، وإنما إشارة إلى حرمون (جبل الشيخ) فقط^(٥)).

وفي الدعوة للتوسع وضم مساحات واسعة من الأراضي ذكر سفر يشوع أن هنالك مساحات شاسعة لم يتم الاستيلاء عليها، ودعا اليهود لبسط نفوذهم والسيطرة عليها^(٦). ولكنهم عجزوا عن تنفيذ هذه الدعوة فلم يستطيعوا الوصول إلى الساحل الغربي حيث الفلسطينيين، ولم يتمكنوا من السيطرة على الموانئ أو الأراضي الفينيقية أو حتى الوصول إليها، ولكنهم استطاعوا الاستيلاء على دمشق

(١) تك: ١٧: ٨.

(٢) تك: ٢٨: ١٣ - ١٤.

(٣) الموسوعة الفلسطينية، ٥٩٢.

(٤) تث: ٣٤: ١ - ٤، وقارن مع تث ١: ٦ - ٨.

(٥) إسرائيل في التوراة والإنجيل/ د. مراد كامل/ ٢٨. (٦) يش: ١٣: ١ - ٦.

بمعاهدة عقدها داود مع ملك صور الفينيقي حيرام، وان مملكة (بني إسرائيل) في عهد داود وسليمان قد تفككت وانفصلت عنها معظم أجزائها وأسترجعها أصحابها بعد وفاة سليمان، وبذلك آلت هذه المملكة إلى الضعف والانتقاس وأصبحت محصورة حول أورشليم وبمساحة لا تزيد عن بضعة مئات من الكيلومترات حتى لفظت أنفاسها الأخيرة على يد الأشوريين ثم البابليين^(١).

لقد تميزت حدود أرض - الميعاد التي أوردتها التوراة وكتب اليهود المقدسة الأخرى بصفتين أساسيتين هما:

الصفة الأولى: الغموض والإبهام.

إن حدود أرض الميعاد حدود غامضة مبهمة متناقضة بعيدة عن الدقة والتحديد ولا يمكن الاعتماد عليها في رسم حدود ثانية ودقيقة لتلك الأرض أو معرفة مدى اتساع رقعتها أو مقدار مساحتها^(٢)، وهذا الغموض والتناقض متأً من أسباب عديدة أهمها:

غموض وإبهام أسفار التوراة المنشئة لتلك الحدود حيث أنها تركت أسماء التخوم مبهمة غير معرفة واختارت الأسماء المشتركة التي توقع الباحث في اللبس والإرباك وتجعل من الممكن تأويل نصوصها وحملها على حسب مقتضى الحال حيث استفاد الصهاينة من هذه الفرصة لتحقيق أطماعهم التوسعية^(٣).

وقد كان لعامل الزمن الذي دونت فيه أسفار التوراة أثر واضح في هذا لتناقض والاختلاف في رسم الحدود حيث العديد من المبادئ والنظريات التوسعية المعبرة عن وجهة نظر اليهود طيلة فترة التدوين^(٤).

(١) الصهيونية والكتاب المقدس: من كتاب إسرائيل في الكتاب المقدس/ الفريديجيوم/ ٣٠ - ٣١.

إسرائيل في التوراة والإنجيل/ د. مراد كامل/ ٢٨ - ٢٩. ١ مل ٨: ٦٥.

(٢) الجذور الأيدولوجية للمفاهيم الإسرائيلية حول الحدود/ د. عمر الخطيب/ مجلة الدراسات الفلسطينية - جامعة بغداد، العدد (٣٤ - ٣٥) (تموز - كانون أول) - ١٩٦٨، والكتاب

المقدس/ ٢٩ - ٣٠.

(٣) المشكلة اليهودية وهل تحلها إسرائيل/ محمود نعاة/ ج ١/ ٣٠٩، والموسوعة الفلسطينية/ ٥٩٢.

(٤) المصدر نفسه/ ٣٠٩.

وكان للتفسيرات والاجتهادات المختلفة لنصوص التوراة التي أشارت إلى حدود أرض الميعاد، وكذلك للاتجاهات المتعددة ووجهات النظر المتباينة للباحثين الدور الكبير في التوصل إلى نتائج متباينة ومختلفة تنسجم مع أهداف لأصحابها سواء كانت دينية أم علمانية أم سياسية، وتوافق مع ما يستندون عليه من نصوص دينية أو معطيات ومعلومات مستمدة من التقاليد أو التاريخ أو الجغرافية^(١).

إن الغموض الوارد في التوراة لحدود أرض الميعاد جاء من تحديد هذه الأرض تحديداً عاماً فجعلتها بعض النصوص تمتد من النيل إلى الفرات دون تحديد لأي منطقة من المناطق التي يجتازها النيل أو تغطيها فروعها التي تستند إليها حدود أرض الميعاد، كما أن نصوصاً أخرى اعتبرت امتداداً تلك الأرض من سيناء إلى الفرات أو من البحر الأحمر إلى بحر فلسطين أو من الفرات إلى البحر المتوسط وهي بالأجمال حدود عامة مبهمة من الممكن أن تشمل سيناء جميعاً فتكون داخله ضمن أرض الميعاد باعتبارها أرض التيه المقدسة التي تمثل جانباً مهماً في العقيدة الدينية اليهودية التقليدية^(٢).

وقد وردت حدود أرض الميعاد بصورة مفصلة في سفر العدد (٣٤: ١ - ١٢). وكذلك في سفر حزقيال (٤٧: ١٥ - ٢٠)، وتلك الحدود في سفر العدد أصغر منها في أي نص آخر.

الصفة الثانية: التوسعية

وتظهر صفة التوسع الإقليمي واضحة جلية في نصوص التوراة التي وردت فيها حدود أرض الميعاد والوعود الإلهية الممنوحة لإبراهيم وإسحاق ويعقوب وكذلك لموسى ويشوع وداود وسليمان والتي تم استعراضها سابقاً. وقد اعتمدت المنظمة الصهيونية مبدأ التوسع لتنفيذ أطماعها وإن لم توضح بالشكل الكامل لاعتبارات سياسية دولية أو عملية إلا أنه لم يغيب عن ذهن الصهيونية من حيث التطلع نحو التوسع التدريجي واستخدام مختلف الطرق والأساليب لضم الأراضي

(١) إسرائيل الكبرى/ د. أسعد رزوق/ ٢٩٣.

(٢) الموسوعة الفلسطينية/ ٥٩٣.

العربية وتشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين من أجل توسيع الكيان الصهيوني. وقد فتحت التوراة الباب أمام التوسع الصهيوني وأصبح من أبرز الأسس في السياسة الإسرائيلية، فكان التوسع الصهيوني والضم الزاحف باستمرار حتمية ملازمة للوجود الإسرائيلي في فلسطين^(١).

وقد نادى الصهيوني أرثور روبين (١٨٧٦ - ١٩٤٣)، بتكليف من المؤتمر الصهيوني الثامن (١٩١٧ م) دراسة مفصلة عن بناء (أرض إسرائيل) اقترح فيها حدوداً جديدة تختلف عن الحدود المقترحة سابقاً^(٢)، وكانت المبادئ التوسعية من أهم أسس التفكير الصهيوني. فقد اقترح كل من (بن غوريون) و(إسحاق بن تزقي) حدود الكيان الصهيوني تتصف بالقدرة والقابلية على التطور الاقتصادي والازدهار الزراعي مع توفر مستلزمات السيطرة العسكرية بجعل تلك الحدود مؤهلة للدفاع عنها عسكرياً، لذلك كانت الحدود المقترحة التي تقدم بها هذين القطبين تشمل الأراضي الواقعة بين البحر المتوسط ونهر الأردن من نهر الليطاني في الشمال من صحراء سيناء في الجنوب، مضافاً إليها شرق الأردن وأقاصي الشمال حتى جبل الشيخ وأقاصي الجنوب حتى خليج إيلات (العقبة)^(٣).

لقد تبارى الزعماء الصهاينة في تأكيد ضرورة الإسراع بالتوسع بعد إعلان قيام الكيان الصهيوني ١٥ مايو (أيار) عام ١٩٤٨ فيصرح بن غوريون في الكتاب السنوي لعام ١٩٥١ م (الآن فقط وبعد سبعين عاماً من كفاح الرواد استطعنا أن نصل إلى أول استقلالنا في جزء من وطننا الصغير)^(٤).

وبذلك أستحدث التوسعية جذورها من التوراة التي تحث على (كل مكان

(١) الاقتصاد السياسي الإسرائيلي / د. فؤاد مرسي / ٢٥.

(٢) مدى مشروعة أسانيد السيادة الإسرائيلية في فلسطين: دراسة في إطار القانون الدولي العام. عالم الكتب. القاهرة / ١٩٧٥ / د. ممد إسماعيل علي السيد / ٧١ - ٧٢، الجذور الأيدلوجية الإسرائيلية حول الحدود / عمر الخطيب / ٥٣.

(٣) الجذور الأيدلوجية للمفاهيم الإسرائيلية حول الحدود / د. عمر الخطيب / مجلة م. د. ف. / بغداد / عدد ٣٤ - ٣٥ / ١٩٧٩ / ٥٤، إسرائيل الكبرى / أسعدرزوق / ٢٩٥.

(٤) إسرائيل قيامها - واقعها - مصيرها، دار المعارف بمصر القاهرة/ نقلًا عن د. محمد كامل الدسوقي وعبد التواب عبد الرزاق سليمان / ١٢٥.

تدوسه بطون أقدامكم يكون لكم...) (١).

وتطبيقاً للمبادئ التوسعية التي تمسكت بها المنظمة الصهيونية العالمية فقد طالبت تلك المنظمة مؤتمر الصلح المنعقد في باريس عام ١٩١٩ وإقرار الحدود التي تقدمت بها إلى المؤتمر المذكور باعتبار أنها الوطن القومي لليهود وتتفق تلك الحدود مع الحدود التي وعد بها موسى وتبلغ مساحتها (٥٩٠٠٠) ألف كم^٢ وتقع على ضفتي نهر الأردن (٢). والحقيقة إن مسألة تحديد أرض - الميعاد تعتبر من أكثر المسائل التي دار النقاش حولها في أوساط المنظمة الصهيونية العالمية التي انبثقت عن المؤتمر الصهيوني الأول المنعقد في بازل عام ١٨٩٧م، وانطلاقاً من أطماعها التوسعية رسمت الصهيونية العالمية حدوداً مختلفة لإقامة (الوطن القومي اليهودي) أو ما يسمى بـ(إسرائيل الكبرى) كان التوسع التدريجي وضم المناطق المجاورة أهم ما يميز تلك الحدود، وقد جسدت الصهيونية خططها التوسعية بإقامة المستعمرات الزراعية وبناء المدن وتشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين من مختلف دول العالم فاستطاعت بذلك ضم مساحات شاسعة وتحويلها إلى مستوطنات يهودية صهيونية تعتمد القوة والإرهاب ضد العرب سكان البلاد الشرعيين (٣). ولقد استرشد رجال الفكر الصهيوني بنصوص التوراة التي تحث على التوسع وضم المناطق لمجاورة بصورة تدريجية وحسب الظروف الملائمة لذلك، الأمر الذي دعا قادة الحركة الصهيونية ومفكرها إلى التقدم بحدود مختلفة لأرض - الميعاد فقد اقترح الحاخام (صموئيل هيلل ايزاكسي) (٤) حدوداً معينة مسترشداً بالحدود التي أوردتها التوراة في سفر العدد (١: ٣٤ - ١٢)، وقد تتضمن كتابه (الحدود الحقيقية للأرض المقدسة) الصادر في شيكاغو عام ١٩١٧

(١) تث: ١١: ٢٤، وقارن مع يشوع ١: ٣.

(٢) الموسوعة الفلسطينية، ٥٩٣.

(٣) العبور إلى القدس/ عرفات حجازي، (ط١)، ١٩٧٤ بدون ذكر محل النشر أو اسم الناشر، ٥٢ - ٥٣.

(٤) صموئيل هيلل ايزاكس: حاخام يهودي بولندي ولد عام ١٨٢٥ وهاجر إلى نيويورك عام ١٨٤٧م. وترأس فيها معهد التلمود والتوراة (١٨٨٦ - ١٨٨٧) وعمل التقاويم التلمودية، وأهتم بجغرافية فلسطين. توفي أوائل كانون الثاني عام (١٩١٧ م) للمزيد إسرائيل الكبرى - دراسة في الفكر التوسعي الصهيوني/ د. أسعد رزوق - م. ت. ف. مركز الأبحاث الفلسطينية. سلسلة كتب فلسطينية بيروت ١٩٦٨/ ٣١٧ - ٣١٨.

مقترحاته حول الحدود وهي تختلف عن الحدود التي حدد هرتزل عام ١٩٠٤م، وهذان المشروعان يختلفان عن الحدود التي تقدمت بها المنظمة الصهيونية إلى مؤتمر الصلح بفرساي عام ١٩١٩م. كما أن المهندس (سولومون كابلانسكي)^(١). قد اقترح في بحثه (قدرة فلسطين الاستيعابية) ضم أراضي جديدة متاخمة للكيان ويقول (بيرنشتين) وزير التجارة والصناعة الإسرائيلي السابق في خطبة له (على الشعب أن يقلل من استهلاكه ويتكفل وراء زعمائه استعداداً للساعة الفاصلة التي تمحو فيها الدول العربية من الوجود)^(٢).

ويكشف (ليني أشكول) رئيس العدو الصهيوني سابقاً عن مطامع الكيان الصهيوني التوسعية في تصريح نشرته جريدة (اللوموند) الفرنسية قبيل عدوان حزيران ١٩٦٧م. بقول (لا يزال هناك عشرون ألف كيلو متر من فلسطين القديمة لم نضع أيدينا عليها حتى الآن)^(٣).

وعلق (أيريك رولو) المحرر السياسي للصحيفة المذكورة على تصريح اشكول بقوله (إن اشكول يقصد بذلك أن جزءاً من العراق وجزءاً من سوريا وكافة الضفة الغربية وشرقي الأردن هي أجزاء من فلسطين القديمة التي يحلم اشكول بأن يضع يده عليها)^(٤).

(وبعد قيام الكيان الصهيوني في عام ١٩٤٨ م بدء العدو بسلسلة من أعمال التوسع واستغلال الفرص بإعلان حروب خاطفة على الدول العربية المجاورة منها عدوان ١٩٥٦م، وعدوان عام ١٩٦٧ م لإكمال المرحلة الثانية من المخطط الصهيوني في إقامة الدولة اليهودية) في فلسطين. فأستطاع بذلك ضم العديد من المناطق العربية منها الضفة الغربية لنهر الأردن وسيناء، ومرتفعات الجولان،

(١) د. سولومون كابلانسكي، (١٨٨٤ - ١٩٥٠) مهندس بولندي المولد، كان صهيونياً اشتراكياً. عمل في صفوف الحركة العلمانية اليهودية والتي تسمى (عمال صهيون) وقد تولى عدة مناصب في تنظيمات المنطقة الصهيونية العالمية) له مؤلفات كثيرة تخص الاستعمار والاستيعاب. إسرائيل الكبرى/ د. إسعد رزوق/ ٢٩٧.

(٢) إسرائيل قيامها - واقعها - مصيرها - ١٢٠. (٣) العبور إلى القدس/ عرفات حجازي/ ٥٢.

(٤) إسرائيل - قيامها - واقعها - مصيرها/ د. محمد كمال الدسوقي، وعبد الرزاق عبد التواب/ ١٢١.

وكذلك العدوان الإسرائيلي على لبنان عام ١٩٨٢ مرحلة جديدة من مراحل المخطط الصهيوني التوسعي^(١).

وتبين مما تقدم إن ما اعتمده الصهيونية من ذرائع تستقي أصولها من التوراة والتلمود وكتب أخبار اليهود التي تدعو لامتلاك أرض فلسطين باعتبارها (أرض - الميعاد) التي يحلم بها اليهود لإنشاء دولتهم المزعومة تعتبر ذرائع باطلة، ذلك لأن الواعد لم يحدد محل الوعد تحديداً قاطعاً مما يجعل الالتزام به أمراً مستحيل التنفيذ^(٢). كما إن الوعد الإلهي الذي يتمسك اليهود به ويرونه سنداً من أسانيد السيادة اليهودية على فلسطين يعد باطلاً ومنقوضاً في التوراة والإنجيل والقرآن والقانون الدولي لم ينظر إلى الدين كعنصر من عناصر الدولة، أو مميزاً لعنصر الشعب فقد يعتنق الشعب الواحد ديانات متعددة ولم يحدث خلال التاريخ أن اعتبر الدين أساساً لوجود شعب ما، إذ إن علاقة الفرد بالدولة هي علاقة سياسية بالدرجة الأولى تقوم على رابطة الجنسية التي تبنى على حق الدم أو حق الإقليم حيث إن الجنسية لا تبنى على الدين مطلقاً^(٣). كما أن القانون الدولي العام لم يعترف بالدين مصدراً من كمصادر الحقوق والالتزامات، أو سبباً وكسباً للسيادة على إقليم معين من الأقاليم باستخدام القوة للاستيلاء على الأرض أو اللجوء إلى الحرب والفتح العسكري لتغيير الأوضاع الإقليمية ذات الطابع الدولي^(٤). وبذلك أصبح حق الفتح عملاً غير معترف به في ظل القانون الدولي منذ قيام عصبة الأمم المتحدة حيث نصت مبادئ هذه العصبة على منع استعمال الحرب لحسم الخلافات بين الدول أو لتعديل الأوضاع الإقليمية للدول الأعضاء أو النيل من استقلالها السياسي ودعت لتطبيق أحكام في فض المنازعات الدولية عن طريق الاتفاقات الدولية العامة والخاصة أو استخدام الأعراف والمبادئ الدولية المعترف بها عالمياً، أو اللجوء إلى مبادئ القانون الدولي العام التي أقرتها الأمم المتحدة، وكذلك اعتماد أحكام

(١) الموسوعة الفلسطينية، ٥٩٨.

(٢) مدى مشروعية أسانيد السيادة الإسرائيلية في فلسطين/ د. محمد إسماعيل علي السيد/ ٧٩ - ٨٠.

(٣) المصدر نفسه/ ٨١.

(٤) قضية فلسطين في ضوء القانون الدولي/ د. حسن الجليبي/ ٣٦ - ٣٨.

المحاكم الدولية ومذاهب كبار المؤلفين في القانون الدولي العام وقد جاءت المادة (٣٨) من النظام الأساسي لمحكمة العدل الدولية مشتملة لجميع هذه الفقرات في حل المنازعات الدولية، وأعلن ميثاق الأمم المتحدة منذ إعلانه على تحريم استخدام القوة المسلحة في المجال الدولي حيث جاءت معظم مواده ترفض الحرب وتدعو لحفظ السلم والأمن الدولي ولم يكن الدين مصدراً من المصادر الرسمية في القانون الدولي، وحيث أن الكتب الدينية اليهودية المقدسة لا سند لها في القانون الدولي العام، ولم يكن التورث الإلهي سبباً من أسباب السيادة في ذلك القانون، لذلك تعد الإدعاءات الصهيونية في فلسطين باطلة، لعدم تحديد المستفيد من الوعد، أو تعيين محل هذا الوعد تعييناً نافياً للجهالة واستحالة تطبيق الوعد مع انعدام اعتراف القانون الدولي بنظرية ملكية الرب للأرض، وبهذا تصبح جميع الذرائع اليهودية باطلة دينياً، وتاريخياً وقانونياً^(١).



(١) قضية فلسطين في ضوء القانون الدولي/ د. حسن الجبلي/ ٣٥ - ٣٨، مدى مشروعية أسانيد السيادة الإسرائيلية في فلسطين/ ٨١ - ٨٢، الإدعاءات الصهيونية والرد عليها/ حسين عبد الحميد أحمد رشوان/ ٥٠

المطلب الثاني شعب الله المختار

تعتبر نظرية (شعب الله المختار) ومفهومها الأساس الثاني الذي اعتمده الحركة الصهيونية في الترويج لأفكارها التي تهدف إلى عد اليهود عنصراً متميزاً وجنساً متقدماً وأنهم يمثلون (أمة واحدة) و(قومية متميزة)، ومستهدفة من وراء ذلك المطالبة بإقامة (الدولة اليهودية) على (أرض الميعاد) التي وعد اليهود بها - كما تروي - التوراة وكتب اليهود المقدسة... وسوف أناقش هذا المفهوم تمهيداً لإبطال تلك الإدعاءات وبيان زيفها بالاعتماد على ما ورد في كتب اليهود الدينية ذاتها من نصوص تشير إلى مخالفة هذه الإدعاءات مستنداً إلى الحقائق التاريخية والعلمية في مناقشة تلك الذرائع. وعلينا أن نبحث في هذا المفهوم بشكل تفصيلي وكما يلي:

يعتقد اليهود أن الله قد اختار بني إسرائيل من بين جميع البشر وفضلهم على سواهم وجعل (شعب إسرائيل) وفق هذا الاختيار محل عطفه واهتمامه وجعل التاريخ ومسيرته الطبيعة ترتبط بحياة اليهود وتدور حول مصيرهم^(١). ولذلك يرون أن الرب (يهوه) اله واحد مقصور عليهم وحدهم دون سواهم أما الأغيار (غير اليهود) فلهم آلهتهم التي ترعاهم^(٢) لقد كان اختيار اليهود - وفق تصورهم - محدداً بوعد إلهي أزلي لا ينقض، بموجبه أصبح اليهود أمة مقدسة - أمة من الكهنة والقديسين - بهم يعاقب الله الأمم الأخرى، ولهم السيطرة والسيادة على الشعوب إلى آخر الزمن. فهم الشعب الأزلي (عم عولام) والشعب الأبدي (نيتسح)، والشعب المقدس (عم قادوش). وهم جزء من الله كما أن الابن جزء من أبيه، لا

(١) ينظر: اليهودية والصهيونية وإسرائيل/د. عبد الوهاب محمد المسيري، ص ٩. وينظر:

وعد الله ليس لبني إسرائيل/ محمد عبد الرحمن عبد اللطيف، ص ٨٣.

(٢) ينظر: عبد الوهاب محمد المسيري: اليهود والصهيونية وإسرائيل، ص ٩.

أول لهم ولا آخر، ولا بداية ولا نهاية^(١)...

يستند اليهود في أدعائهم أنهم (شعب الله المختار) إلى ما احتوته الكتب الدينية اليهودية (التوراة، التلمود، القبالة، الزوهار، وغيرها) وبروتوكولات حكماء صهيون من نصوص تشير إلى اختيار الله لهم وتفضيله إياهم دون سائر الشعوب وارتباطهم وإياه بعلاقة خاصة لدرجة أن هذا الاعتقاد قد أصبح جزءاً لا يتجزأ من العقيدة اليهودية وعد من لا يؤمن بذلك منهم خارجاً من تلك الديانة^(٢).

وقد احتوت التوراة في الكثير من أسفارها على ما يشير إلى هذا الاختيار ويدل عليه دلالة قاطعة فنصت أنك يا إسرائيل شعب مقدس للرب إلهك إياك قد اختار الرب إلهك لتكون شعباً أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض. ليس من كونكم أكثر من سائر الشعوب، بل من محبة الرب إياكم وحفظه القسم الذي أقسم لأبائكم^(٣)، (مبارك تكون فوق جميع الشعوب)^(٤)، وأشارت التوراة بأن الله سيبارك بني إسرائيل ويزيد نسلهم حتى يفوق الأمم ويعلو عليهم (أباركك مباركة وأكثر من نسلك تكثيراً كنجوم السماء وكالرمل الذي على شاطئ البحر ويرث نسلك باب أعدائه ويتبارك في نسلك جميع أمم الأرض)^(٥).

ويؤمن اليهود بأن الرب (يهوه) قد أختار بني إسرائيل وواعد بتخليتهم أرض فلسطين (أرض الميعاد) استناداً إلى العهد المبرم بينه وبين آبائهم (إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب)، فأشارت التوراة إلى تذكير الرب إياهم بوفائه بعهده المقطوعة؛ ليس لأجل برك وعدالة قلبك تدخل لتمتلك أرضهم الكنعانيين بل لأجل إثم أولئك الشعوب بطردهم الرب من أمامك، ولكي يفني بالكلام الذي أقسم الرب عليك هذه لأبائك إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، فاعلم أن ليس لأجل برك يعطيك الرب إلهك هذه الأرض الجيدة لتمتلكها لأنك شعب صلب الرقبة^(٦). كما أن التوراة أكدت بأن (الشعب اليهودي) هو أفضل الأجناس بناءً على العهد المقطوع

(١) ينظر: د. رشاد عبد الله الشامي: الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، ص ٢٩.

(٢) ينظر: عبد اللطيف شرارة: الصهيونية جريمة العصر الكبرى (ط ١) دار المكشوف، بيروت، ١٩٨٤، ص ٦٣.

(٣) تث: ٧: ٦-٨، وقارن مع تث: ١٤: ٢.

(٤) تث: ٧: ٦-٨.

(٥) تث: ٩: ٥-٦.

(٦) تك ٢٢: ٧.

لإبراهيم فَوَرَدَ فيها: «أنا الرب إلهكم الذي ميزكم من الشعوب، تكونون لي قديسين. لأنني قدوس أنا الرب، وقد ميزتكم من الشعوب لتكون لي»^(١) لم يكن مفهوم «الشعب المختار» قد جسده التوراة في أسفارها بل إن التلمود وهو ديانة وآداب إسرائيل قد أكد هذا المفهوم فكان بذلك قاعدة البناء الرضوية التي اعتمدها الصهيونية، والأساس المهم للدولة اليهودية التي نادى بها حاخامات اليهود^(٢).

فقد كان أثره واضحاً في حياة اليهود وتأريخهم وساهم أيضاً في صياغة الفكر اليهودي وعمل على إيقاظ وتطوير النشاط الفكري على مستوى الحياة الدينية اليهودية، فكان التلمود كما وصف بأنه «مربى الأمة اليهودية ومعلمها»^(٣).

لما نادى به من آراء ومفاهيم تمسك بها اليهود وطوعوها لخدمة غاياتهم وكانت تشير إلى الاستعلاء والتفوق والرغبة في السيادة التي قد طبعت نفوسهم بميزات خاصة وخلقت فيهم التعصب وجسدت فيهم روح الانعزالية فتطلعوا إلى التسلط على العالم والسيطرة على ممتلكات الغير على اعتبار أن الدنيا ملك للإسرائيليين ومن حقه التسلط عليها لأنه مساوٍ للعزة الإلهية^(٤). ولهذا جاءت نصوص التلمود وتعاليمه تحمل أفكار الاختيار والتفوق والاستعلاء. وقد حافظ اليهودي على هذه الأفكار، واستمر في النظر بأنفه واحتقار لمن يخالفه في شريعته، فقد علمه التلمود التعصب وضيق النظرة الإنسانية.

والتفوق على الشعوب غير اليهودية، تمثل ذلك النصوص المقتطفة من التلمود^(٥).

- (الشعب المختار فقط يستحق الحياة الأبدية، وأما باقي الشعوب فمثلهم كمثل الحمير).

- (أيها اليهود إنكم من بني البشر لأن أرواحكم مصدرها روح الله، أما باقي

(١) لاو ٢٠: ٢٤-٢٦.

(٢) ينظر: د. محمد طلعت الغنيمي: دعوى الصهيونية في حكم القانون الدولي، ص ٣.

(٣) ينظر: د. أسعد رزوق: التلمود والصهيونية، ص ١٩٨.

(٤) ينظر: التلمود والصهيونية/أسعد رزوق/١٩٧. دعوى الصهيونية في حكم القانون

الدولي/٥٠٣.

(٥) ينظر: يوسف حنا نصر الله، الكنز المرصود في قواعد التلمود، ص ٦٠-٨٦.

وبلص حنا مسعد: همجية التعاليم الصهيونية، ص ١٢٧-١٤٠، وراجع مبحث التلمود.

الأمم فليست كذلك لأن مصدرها الروح النجسة).
 - (تتميز أرواح اليهود عن باقي الأرواح بأنها جزء من الله كما أن الابن جزء من والده).

- (أرواح اليهود عزيزة عند الله بالنسبة لباقي الأرواح لأن الأرواح غير اليهودية أرواح شيطانية، وشبيهة بأرواح الحيوانات).

- (لو لم يخلق اليهود لانعدمت البركة من الأرض، ولما خلقت الأمطار والشمس ولما أمكن باقي المخلوقات أن تعيش. لماذا أختار الواحد القدوس تبارك اسمه؟). لأن كل الأمم رغبت عن التوراة ولكن إسرائيل قبلتها واختارت الواحد القدوس تبارك اسمه^(١).

وكان التصوف اليهودي (القبالة، الزوهار) دور كبير في التأكيد على استعلاء اليهود على غيرهم على اعتبار أنهم أمة الكهنة التي تقف وسط الأغيار ويشكل تأريخهم بحجر الزاوية في تأريخ العالم واعتبرت اليهودي هو مركز الكون ويتوقف كل شيء على أعماله فهو الذي يحدد النظام الكوني لأنه جزء من الله وما بينهما من وحدة وانسجام جعل القديسين اليهود يمسون بمفاتيح العالم العلوي والسفلي، حيث تشير الفلسفة القبالية إلى مركز اليهود في العالم إذ ترى أن في حركة التاريخ وعلى ارتفاع منه يقف الشعب اليهودي المختار وفي وسط هذا الشعب يقف الأنبياء والملوك والكهنة وفي وسط الأنبياء يقف (الماشيح) الذي يجسد روح الله، وبهذا يكون بنو إسرائيل وثقل مركزهم هو أساس الخلاص.

وهذه الفلسفة ترمز إلى نوع من الحلولية التي اتصفت بها الديانة اليهودية، إذ يعتقد اليهود أن الرب إلههم الخاص وهو يحل منهم ولا يتركهم أحراراً بل انه يقبض عليهم في كل زمان ومكان استناداً إلى ذلك يعتقدون أن لأقوالهم قدسية وهي لا تقل شأناً في ذلك عن أقوال الله وكلماته^(٢).

إن الوحدة والانسجام التي أوردتها الفلسفة القبالية تشير إلى تجلي الخالق

(١) نقلاً عن المسيري: اليهودية والصهيونية وإسرائيل، ص ٢٥.

(٢) د. عبد الوهاب محمد المسيري: اليهودية والصهيونية وإسرائيل، ص ١٤.

عبر مراحل يعبر عنها بالمرحلة العشرة (السفيروت) ويمتد الخالق (الابن مسوف) بالشيخناه (العنصر الأثوي للخالق) وهي شعب إسرائيل أو بنت صهيون، وأن هذا الشعب هو التوراة أو عروس الله التي سيتزوجها المسيح عند مجيئه وعند اتحاد الخالق بالمخلوق تفيض الحياة^(١).

ولذلك يقول الباحث (هتزيبرج) في سبب اختيار اليهود دون الشعوب في سيناء وتجلي الله لموسى والنبي إسرائيل، وكانت السماوات والأرض شهوداً لهذا العقد^(٢).

كما أن برتوكولات حكماء صهيون قد غذت الفكر اليهودي بمبادئ الاستعلاء والتفوق والتسلط وهي في رسمها لتلك المفاهيم لا تختلف كثيراً عما ورد في الكتب الدينية اليهودية المقدسة.

لقد كان مفهوم «شعب الله المختار» (شعب يهوه) هو سيطرة اليهود إذ أنه عمق الشعور لديهم بتفوقهم على الشعوب والأمم غير اليهودية، وأن لهم ما لا يحق لغيرهم وعمل على توجيههم نحو بناء العزلة الذاتية حول أنفسهم فكان التعالي والتفوق هما أساس تعامل اليهود مع غيرهم وبذلك نمت الشخصية اليهودية في ظل عزلة روحية وتميز اجتماعي وطابع خلقي معارضة بذلك ما جاءت به الديانات السماوية ولا تتفق أو تنسجم مع طبيعة المجتمعات الإنسانية^(٣).

لقد كان مفهوم (شعب الله المختار) من أبرز السمات الرئيسية للفكر اليهودي والتي تتصل اتصالاً مباشراً بعقيدة اليهود الدينية ولا تنفك عنها، وجعلت من الصعب والتفوق أهم ما يميز اليهودي عن غيره وأسبغت عليه الكثير من صفات المدح والتكريم وجعلت من الشعوب والأمم غير اليهودية شعوباً منحطة ينظر إليها نظرات المقت والازدراء وتستخدم في وصفها المفاهيم والتعبيرات التي تجسد الاستعلاء والتعصب اليهودي فقد استخدمت كلمة (جويم) إشارة إلى القذارة الروحية والمادية للأغبار، واستخدمت عبارة «عاريل» وتعني (الأقلف) إشارة إلى

(١) ينظر: المصدر نفسه، ص ٣٥.

(٢) نقلاً عن: عبد اللطيف شرارة: الصهيونية جريمة العالم العصر الكبرى، ص ٢٧.

(٣) ينظر: المصدر نفسه، ص ٢٧.

غير المختتن وقد شاع استخدامها بإطلاقها على المسحيين لعدم شيوع الختان بينهم، ويعتقد اليهود أن الشخص الأقل فبقى فطيراً بدائياً قدراً كافراً، وقد كان استخدامهم هذه العبارة «مميز» أي (ابن الزنا) للدلالة على الشخص المسلم لاعتقادهم بأن إسماعيل (أبو العرب) ابن غير شرعي لهاجر الجارية^(١).

وبذلك تكون الديانة اليهودية قد ساعدت على تعميق عزلة اليهود عن المجتمعات التي يعيشون فيها وأدت إلى أحجامهم عن الاندماج والانصهار في تلك المجتمعات، حيث إن تلك الديانة قد كبلت أتباعها بعدد لا يحصى من الشعائر والطقوس الدينية التي تغطي كل جوانب حياتهم وعن طريق توحيد تلك الشعائر والطقوس التي توجب بقاء اليهود على مقربة من بعضهم البعض ليتسنى لهم القيام بتنفيذها تكون اليهودية قد أكدت انفصال اليهود عن غيرهم.

إن القوانين الدينية اليهودية التي تشمل قوانين الطعام (الكاشير) والختان، والاحتفال بيوم السبت وصلاة الجماعة (المنيان)، وشعائر الدفن الخاصة، وقوانين المحظورات التي تحرم بعض الأطعمة لعدم نظافتها من ناحية الشرعية اليهودية، كل هذه القوانين والشعائر تهدف إلى تذكير اليهودي بانفصاله عن المجتمع الذي يعيش فيه وتفردته عن غيره ولذلك عاش اليهود في مختلف البلدان التي تواجدوا في أحياء خاصة بهم منغلين عن غيرهم، وكانت تلك الأحياء تتخذ تسميات متعددة تبعاً للمناطق التي سكنوها، فقد عرفت تلك الأحياء باسم (حارة اليهود) في العراق ومصر، (وقاعة اليهود) أو (المسبته)^(٢). في اليمن و(الملاح) في بلدان المغرب العربي وعرفت مناطق تواجدهم في أوروبا الشرقية باسم «مناطق الاستيطان» واستثمر الشتل^(٣).

(١) ينظر: د. رشاد عبد الله الشامي: الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، ص ٣٠.

ود. عبد اللطيف شرارة: الصهيونية جريمة العالم الكبرى، ص ٦٤.

(٢) المسبته: هو حي اليهود الخاص المتعارف عليه في بلاد اليمن نسبة ليوم السبت. ينظر: د. رشاد الشامي: ص ٢٠ - ٢١.

(٣) الشتل: تجمع سكاني يهودي يضم عدداً من اليهود ويتراوح عددهم من (١٠٠٠ - ٢٠٠٠٠) يهودي يسكنون بيوتاً من الخشب بالقرب من المعبد اليهودي، ويكون الشتل منفصلاً حضارياً واجتماعياً وعرقياً عن البيئة المحيطة به.

القهاال^(١)، والجيتو. ويعتبر الأخير أشهر أنواع أماكن العزلة اليهودية في العالم حيث كان في كل بلد يقطن فيه اليهود حي خاص بهم يعيشون فيه مجتمعين سوية حيث أن الشعائر والطقوس الدينية قد حفزتهم على التجمع والإقامة بصورة طوعية واختيارية^(٢).

وتؤكد ذلك دائرة المعارف اليهودية إذ تنص على (إن واقع وطابع حياة اليهود دفعَ بهم إلى التجمع والإقامة سوية في شارع واحد أو في حي واحد للمحافظة إلى الشرائع الدينية والعدد الشرعي للصلاة «المنيان» والمقابر، والمطهر «بركة التطهير»، والمساعدة المتبادلة للأقلية المضطهدة والمهانة وكذا انعدام الأمن لديهم كغرباء مكروهين، جعلهم ينظمون سوية ويخلقون شوارع أو أحياء لليهود في كل البلدان الأوروبية)^(٣).

إن رغبة اليهود في التركيز في أحياء خاصة بهم (الجيتوات) قد جاءت بوصفهم أقلية دينية اقتصادية حيث كان اليهودي داخل الجيتو (الحي اليهودي) يمارس طقوسه وشعائره بكل حرية، ويمتنع عن العمل أيام السبت تعجيلاً بعودة (المسيح المنتظر) الذي سيقود شعبه إلى (أرض - الميعاد) كما تعمق إيمان اليهودي داخل هذه الأحياء بانتمائه إلى الأمة المقدسة والشعب المختار^(٤). وكان لرجال الدين اليهود وحاخاماتهم الأثر البارز في العمل على عزل اليهود في أحيائهم الخاصة ورفض جميع المحاولات الرامية إلى صهر اليهود بمجتمعاتهم^(٥) كما أن اليهود كانوا يشكلون أقلية اقتصادية يتعاملون بالتجارة والربا يوفر لهم (الجيتو) نوعاً من الاستقلال الاقتصادي الذي يبغونه بوصفهم طبقة

(١) القهاال: خلية أساسية لتنظيم حياة اليهود، ومهمته تشابه مهمة الدولة تجاه مواطنيها وتعتبر تجسيداً للحكم الذاتي من قبل الدولة.

(٢) ينظر: د. عبد الوهاب محمد المسيري: الأيدلوجية الصهيونية ق١ - ص ٢٠ - ٣٢، وينظر أيضاً د. رشاد الشامي: الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، ص ١٢ - ٢١.

(٣) نقلاً عن د. رشاد الشامي، الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، ص ١٢ - ٢١.

(٤) ينظر: د. عبد الوهاب محمد المسيري: الأيدلوجية الصهيونية، ق١، ص ٤٣.

(٥) ينظر: د. محمد إسماعيل علي السيد: مدى مشروعية أسانيد السيادة الإسرائيلية في

لها مصالحها ومشاكلها الاقتصادية والدينية الخاصة، في وقت - العصور الوسطى الزراعية والإقطاعية وكانت فيه العزلة أمراً طبيعياً حيث لم يكن الفصل بين الطبقات مقصوراً على اليهود بل إنه كان من الأمور المألوفة والمتعارف عليها في تلك المرحلة التاريخية^(١) وقد كان اليهود داخل (الجيتو) يمارسون أعمالهم بصورة اعتيادية سواء التي تفيد الجماعة اليهودية وليبكي حاخاماتهم أو تلك التي تفيد اليهود الأغيار في ذات الوقت^(٢). وهذا متأثراً من كون (الجيتو) مجتمعاً مصغراً يتصف بجميع صفات المجتمعات الكبيرة ويعتبر جزءاً لا يتجزأ منها، سوى أن اليهود قد فضلوا عيش تلك الطبقات طوعية وبرغبتهم الذاتية حيث أشارت الوقائع التاريخية إلى أن أسقف مدينة سبير قد منح اليهود عام ١٠٨٤م. الحق في العيش داخل أحياء خاصة محاطة بأسوار عالية، كما أن يهود براغ الذين كانوا يعيشون خارج نطاق المنطقة المخصصة لليهود طالبوا في القرن الخامس عشر بالانضمام إلى أخوانهم الذين يعيشون داخل تلك المناطق، وفي ذلك إشارة إلى شعور اليهود بالخوف وفقدان الأمن خارج أسوار الجيتو مع الشعور بالراحة والاطمئنان والوحدة والانسجام فيما بينهم لإقامتهم الشعائر الدينية والعبادات وأنهم يرون الإقامة في هذه الأحياء إقامة مؤقتة بعدما يفارقون العالم الغريب الشرير المعادي لليهود حيث تعقب هذه الإقامة الوقتية هجرة اليهود إلى أرض - الميعاد، ولذلك أفرزت هذه المرحلة من الأحلام الماشيخانية وجعلتهم يتطلعون للخلاص^(٣).

ولكن نتيجة لسلوك اليهود في تعاملهم مع المجتمع الخارجي (غير اليهودي) والدور الاقتصادي الذي لعبه التاجر اليهودي كمنافس للتجارة والحرفيين غير اليهود وتواطؤ التجار اليهود مع الملوك والأمراء والنبلاء والأشراف فقد أفادت هذه الأسباب مجتمعة التجار والحرفيين، بالأغيار بالعمل ضدهم فكان هؤلاء الذين

(١) ينظر: عبد الوهاب محمد المسيري: الخلفية التاريخية للحركة الصهيونية المشروع الصهيوني في الفكر والتطبيق ص ٦١ - ٦٢. والمسيري الأيدلوجية الصهيونية ١/ ٤١.

(٢) ينظر: نفس المصدر السابق: الأيدلوجية الصهيونية ق ١، ص ٤١.

(٣) ينظر د. عبد الوهاب محمد المسيري: الخلفية التاريخية للحركة الصهيونية: المشروع الصهيوني، ص ٦٢.

وينظر: المؤلف نفسه: الأيدلوجية الصهيونية ق ١، ص ٤١.

أشعلوا فتيل الثورات ضد اليهود الذين عجزوا أيضاً عن مواكبة عمليات تحول المجتمعات من المراحل الإقطاعية إلى المراحل الرأسمالية حيث فقدوا نتيجة ذلك أدوارهم الاقتصادية كتجار دوليين وانحدروا تجاراً محليين ثم مرابين صغاراً أثاروا عليهم غضب مختلف الطبقات بسبب عمليات الإقراض التي أنهكتهم فوائدها^(١).

كما أن كره اليهود واضطهادهم كان متأبياً من قبل بعض الشعوب المسيحية بسبب تصرفات اليهود وسلوكيتهم التي نجم عنها اشتراكهم في صلب السيد المسيح، حيث تجسد الصراع بين اليهودية والمسيحية بعد اعتناق قسطنطين الديانة المسيحية في أوائل القرن الرابع الميلادي واعتباره الدين الرسمي للإمبراطورية في فترة بلغ فيها التزمتم الديني أشده، وبذلك ظهرت في أوروبا حركة اضطهاد واسعة لليهود أطلق عليها باللاسامية^(٢) وهي ظاهرة وقتية من ظواهر العصر الذي ظهرت فيه لم تلبث أن اختفت بعد تطور الحريات السياسية وتحرير اليهود وبعد قيام الثورة الفرنسية واعتبار اليهود المقيمين في فرنسا مواطنين لهم حقوق المواطن وعليهم واجباته^(٣). وقد اتبعت فرنسا في ذلك العديد من الدول، مثل بروسيا وروسيا وكندا، وألمانيا، والنمسا والجر وسويسرا وبذلك تسقط ادعاءات الصهيونية القائلة بتعرض اليهود في مختلف المجتمعات الدولية للاضطهاد وإرغامهم على العزلة في إحياء خاصة بهم تنقصها وسائل الأمن والحماية وأبسط المستلزمات الاجتماعية^(٤).

والحقيقة انه كان لليهود جميع فرص الاعتناق (أي تحديث المجتمع وجعله عصرياً ومنه اليهود، بدءاً بحركة الإصلاح الديني وظهور المذهب البروتستانتي ثم عصر النهضة)، (حيث ظهرت الفلسفة الإنسانية ثم حركة التنوير (الفلسفة العقلانية) في أواخر القرن السابع عشر وأوائل القرن الثامن عشر قد أدى استمرار اليهود في تعصبهم

(١) ينظر: المسيري: الأيدلوجية الصهيونية ق٢، ص٤١.

(٢) ينظر: حاتم صادق: نظرة على الخطر الصهيوني - عن إستراتيجية السياسة لإسرائيل، دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٦٨، ص٦٦.

(٣) ينظر: جودت السعد: الشخصية اليهودية عبر التاريخ، ط١، العربية للدراسات والنشر بيروت ١٩٨٥، ص٩٦. وينظر: عبد الوهاب محمد المسيري، الأيدلوجية الصهيونية، ص٥٩.

(٤) المصدر السابق نفسه.

وعزلتهم المغلقة مما أدى إلى تدهور مستواهم الثقافي والفكري والاجتماعي والاقتصادي^(١) (وهكذا يتعقد الموقف وتتشابك حلقاته وتتداخل الأسباب بالنتائج ويمتزج العقل برد الفعل بحيث يصبح الأمر في نهاية المطاف وقد غدا من الصعب معرفة أيهما أعمق جذوراً وأشد تأثيراً تعالي اليهود وعزلتهم؟ أم اضطهاد الآخرين؟^(٢)).

واستطاعت الصهيونية استغلال المفاهيم الدينية الواردة في التوراة ومنها مفهوم (الشعب المختار) وأخرجته من سياقه الروحي والديني وعدته أساساً وصيتاً تتذرع به للترويج لمطامعها حيثما أعطت هذا المفهوم طابعاً دنيوياً ومعنى سياسياً لم يكن متوفراً في دلالاته الأصلية في الكتاب المقدس^(٣).

وقد أجمع المفسرون على أن اختيار بني إسرائيل وتفضيلهم على البشرية يقصد به التفضيل على المجتمعات الإنسانية الموجودة في زمانهم، والتي كانت تدين بالشرك والوثنية، ولا يشمل هذا الاختيار من سبقهم وغيرهم من الناس حيث إن حكمه التفضيل والاختيار كانت لشعب يقيم شريعة السماء ويحي دينها^(٤) وبذلك جاء القرآن الكريم مؤكداً بقوله تعالى: ﴿يَبْنَئِ إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾^(٥).

إلا أن اختيار الله بني إسرائيل وتفضيله لبني إسرائيل قد رفع عنهم وحرموا منه حتى تقاعسوا عن حمل الرسالة وحفظ العهد، إذ صرح القرآن بذلك فقال تعالى: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ يَمَا كَانُوا يَمْسُقُونَ﴾^(٦).

(١) ينظر: حاتم صادق: نظرة الخطر اليهودي، ص ٦٧.

والمسيري: الأيدلوجية الصهيونية، ق(١)، ص ٥٠.

(٢) ينظر: رشاد الشامي: الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية. ص ٣٢.

(٣) ينظر: د. فايز صايغ: حول قرار الأمم المتحدة التاريخي (الصهيونية والعنصرية) أبحاث

المؤتمر الفكري حول الصهيونية المنعقد في بغداد سنة ١٩٧٦ ص ١٤٠ - (ق١). (ط) المؤسسة

العربية للدراسات والنشر بيروت، ١٩٧٧، ص ١٢.

(٤) ينظر: محمد عبد الرحمن عبد اللطيف: وعد الله ليس لنبي إسرائيل. القاهرة الهيئة العامة

للتأليف والنشر/ ١٩٧١/ ص ٨٢.

(٦) سورة البقرة الآية ٥٩.

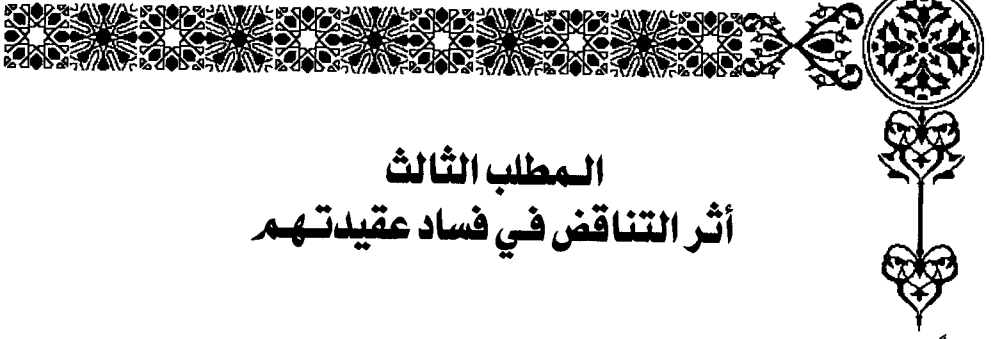
(٥) سورة البقرة/ الآية ٤٧.

وبذلك يشير القرآن الكريم - وكما أشارت التوراة والإنجيل قبل - إلى خروج اليهود على عهد الله وموآثيقه وعدم وفائهم بالأمانة التي حملوها وبذلك يكون من المنطقي والمعقول أن لا تختار العدالة الإلهية شعباً خاملاً منحلاً لإقامة الشرعية وتحقيق العهد الإلهية ولا تفضله على بقية الخلق بعد أن تحلل من أية التزامات أخلاقية أو أية مقومات دينية لأن ذلك يتعارض صراحة مع المفاهيم الدينية الصحيحة لجميع الرسالات السماوية^(١)، ويرى اليهود أنهم لم يحفظوا عهد الله أو يلتزموا باختيار إياهم دون بقية البشر، وأنهم بسبب عدم التزامهم بهذا الاختيار وتفريطهم به أن أصبحوا هدفاً للانتقام ونزلت عليهم القربات المتتالية، والمصائب المروعة أكثر من غيرهم لأن الاختيار كان يوجب عليهم أن يكونوا أكثر الناس طاعة واستجابة ولكنهم بعصيانهم كان عاقبتهم أقسى من سواهم على نفس العصيان^(٢). لقد جعلت فترة الترحيل البابلي من اليهود طائفة من الناس ترتبط مع بعضها بشعور مشترك حيث أن الذل والقهر والمهانة قد أيقظ مشاعر العنصرية والعظمة، ودفع بقادتهم ودعاتهم إلى اللجوء لتحريف نصوص التوراة لصالحهم، حيث أكد مدونوها نقاء هذه المجموعة واعتبروا أنفسهم (شعب الله المختار)، ووضعوا الكثير من القوانين والتشريعات التي تدعو للحفاظ على نقاء الدم اليهودي وعدم اختلاطه بغيره بعد أن رأى أولئك القادة توطد العلاقة والانفتاح الذي جرى بين اليهود والعراقيين، فاصطنعوا مقولة (الشعب المختار) في محاولة منهم للمحافظة على أنفسهم كعرق متميز يفضل على الشعوب والأمم الأخرى وغير قابل للاندماج معها، ولهذا جاءت التوراة منتقدة زواج اليهود من الأجنيبات وأكدت وجوب التفريق بين اليهود وغيرهم وفرضت نوعاً من العزلة وعدم الاختلاط بين اليهود وغيرهم حيث كان للتعاليم والتشريعات الدينية أثرها في إنماء تلك العزلة وإذكاء شعور اليهود بتفوقهم ورغبتهم الشديدة في السيطرة على العالم^(٣).

(١) ينظر: محمد عبد الرحمن عبد اللطيف: وعد الله ليس لبني إسرائيل، ص ٩١.

(٢) ينظر: د. أحمد شلبي: مقارنة الأديان (اليهودية)، ص ١٨٧.

(٣) ينظر: سهيل ديب. التوراة تاريخها، غاياتها، ص ١٧ - ١٨. و. د. محمد عبد الرحمن عبد اللطيف: وعد الله ليس لبني إسرائيل، ص ٩٣ - ٩٤.



المطلب الثالث أثر التناقض في فساد عقيدتهم

أولاً: مع الله تعالى:

إن الرب الذي عرفناه بفطرتنا واهتدينا إليه بعقولنا هو ذلك الرب الذي عرفناه من الكتب السماوية المنزلة على أنبياء الله بواسطة جبريل الأمين عليه السلام وبلغ إلينا بواسطة الرسل والأنبياء الصادقين. عرفناه عنهم إنه رب العالمين لا رب فئة من البشر ولا رب البشر وحدهم بل هو رب الكون بما فيه الأرض وما أقلت والسموات وما أضلت، هو ربنا ورب كل شيء، هو الله رب العالمين يستحيل عليه إلا أن يكون عادلاً يضع الموازين بالقسط لا يحابي أحداً ولا ينحاز إلى أحد، ولا يظلم ربك أحداً.

إن الله رب العالمين لا يمكن أن يكون إلا رحيماً لا يأمر بالسوء ولا يحض على الفحشاء ولا يرضى لعباده الكفر ولا البغضاء ولا الشر ولا المنكر، هذا هو الله رب العالمين الذي عرفناه جميلاً حلماً، كريماً، رحيماً، متصفاً بكل فضيلة، منزهاً سبحانه عن كل رذيلة.

هذا هو ربنا الذي نعبد ونعظمه وتخضع لذكره قلوبنا.

أما رب اليهود بنظر العقيدة اليهودية فهو غير هذا الرب الذي عرفناه على خط مستقيم فهو ليس رب العالمين بل هو رب اليهود وحدهم، وهو ليس الإله العادل بين الناس على حد سواء، بل هو ميز اليهود على بقية العالمين. إذ جعل اليهود شعبه المختاراً!.. وإنه صنع العجل وعبد الطاغوت، وأسأل دماء البشر وبقر بطون الحوامل وأتى على النساء والشيوخ والأطفال والمقعدين^(١).

إن دين اليهود الذي يمارسونه منبثقاً من توراتهم الحالية، دين عجيب، وإلههم

(١) حقيقة يهود/ خير الله طلفاح/ ٧/ ٢٠٨.

إله عجيب، إله جاهل حيناً وعالم حيناً آخر. إله ضعيف تارة وجبار تارة أخرى.

إله يفضل سكنى البيوت على سكنى السحاب ... إله متعطش لسفك الدماء وحرق شحومها لأن رائحة الشحوم المحروقة تبعث في نفسه السرور والبهجة، إله جشع محب للذهب إلى حد بعيد. إله أرسطراطي يحب أن يخدمه عشرات الألوف من الكهنة، يسخرون أنفسهم لتنظيم عبادات وطقوس عجيبة ليس لها مثل في أي دين من أديان البشر، وقد عدد اليهود آلهتهم في التوراة، فهم يركزون على يهوه بعد الخروج من مصر، ويعتبرون هذا الإله خاصاً بهم، فتارة يسمونه إله إسرائيل وتارة أخرى رب الجنود، ويصفون على يهوه صفات الحسيه التي تنطبق على الإنسان تارة وعلى الشيء المرعب العجيب تارة أخرى، وما أسهل في نظر التوراة من المقابلات والمجادلات والمناجاة التي تتم بينهم وبين يهوه، حتى ليخيل للإنسان إن تلك المقابلات كانت أسهل من المقابلات التي تتم في الوقت الحاضر مع بعض حكام الدول وملوكها^(١).

وبدأ اليهود في التوراة عملية مسخ ليهوه مشعرين أنهم أقوى منه كي يسير معهم حسب أهوائهم.

ويشرك اليهود ويعترفون بوجود آلهة كثيرة (الآن علمت أن الرب أعظم من جميع الآلهة لأنه في الشيء الذي بغوا به كان عليهم)^(٢).

وإن يهوه اختارهم لأنه أحبهم واصطفاهم، وقد بلغ من تعصبهم وصلتهم وغرورهم إنهم اعتبروا يهوه إلهاً خاصاً بهم، احتكروه لأنفسهم وحرموا بقية الشعوب من الاتصال به.

ويؤكد يهوه غرامه ومحبته والتصاقه بشعبه المختار «لا تقطع لهم عهداً ولا تشفق عليهم ولا تصاهرهم، بنتك لا تعطى لأبنة وبنته لا تأخذ لأبنك ... لأنك أنت شعب مقدس للرب إلهك، إياك قد اختار الرب إلهك لتكون له شعباً أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض، ليس من كونكم أكثر من سائر الشعوب

(١) جذور البلاء/ عبد الله التل/ القسم الأول/ ١٥.

(٢) خرو/ الإصحاح/ ١٨: ١١.

التصق الرب بكم واختاركم لأنكم أقل من سائر الشعوب، بل من محبة الرب إياكم وحفظه القسم الذي أقسم لأبنائكم أخرجكم الرب بيد شديدة وفداكم من بيت العبودية من يد فرعون ملك مصر»^(١).

(ولكن الرب إنما التصق بأبائكم ليحبهم فاختر من بعدهم نسلهم الذي هو أنتم فوق جميع الشعوب كما في هذا اليوم...)»^(٢).

وإله اليهود هذا وقف عليهم لا يسمحون له أن يتصل بسواهم من الشعوب لهدايتها، كما لا يسمحون لتلك الشعوب أن تتصل به لتتعرف إليه وتعبده.

«فدخل موسى وهارون إلى فرعون وقالا له هكذا يقول الرب إله العبرانيين إلى متى ستخضع لي، أطلق شعبي ليعبدوني»^(٣).

وإن إله إسرائيل كما تصفه توراتهم المحرفة إنه قاسٍ وظالم ومتوحش وإن إلههم هذا قد غرز في نفوسهم غريزة البطش والإرهاب والقسوة.

ولا شك إن قارئ التوراة يعجب حين يجد ذكر رب الجنود الذي هو رب اليهود يرد في أغلب صفحات التوراة محارباً جباراً نيابة عن شعبه المختار مما يساعد على إدراك حقيقة جبن اليهود^(٤).

وتصف التوراة يهوه بأنه كان خادماً مطيعاً ينفذ رغائب الشعب المدلل المختار وهي رغائب لا حد لها. ويقولون إن يهوه هان على نفسه وسمح لأحد أجدادهم يعقوب (إسرائيل) أن يصصره.

وشق لهم البحر ليمروا بسلام، وأوقف لهم الشمس في فلكتها من أجلهم وحماهم في التيه أربعين سنة، وأنزل عليهم المن والسلوى وأباح لهم إبادة الشعب الفلسطيني، ومنحهم أرض كنعان التي تفيض لبناً وعسلاً، وأحل لهم استعباد الشعوب وتسخيرها لخدمتهم.

وكذلك وعدهم بملكوت العالم، وجعل لهم فلسطين قاعدة ذلك المُلْك...

(٢) تث/الإصحاح/١٠:١٥.

(١) تث/الإصحاح ٧/٢-٨.

(٤) جذور البلاء/ عبد الله التل/القسم الأول/٦٠.

(٣) خرو/الإصحاح/١٠:٣٠.

وأحل لهم عمل المنكرات وإتباع القسوة والهمجية^(١).

هذا هو الله عن اليهود فحاشا لله أن يكون رباً لفئة معينة دون أخرى وأن ينحاز لملة وعلى حساب ملة أخرى.

ثانياً: مع الأنبياء عليهم السلام.

لقد وصف اليهود من خلال الأنبياء والرسل وهم بطبيعة الحال أعرف الناس بهم فقالوا عنهم (اليهودي غليظ القلب، صلب الرقبة، ابن الأفعى، قاتل الأنبياء وراجم المرسلين) والظاهر أن اليهود كما تواصلوا بهذه الصفات الدنيئة والطباع الخبيثة والنفوس الشريرة أقول كما تواصلوا بذلك فإن هذه الصفات مع الزمن وبالتكرار سرت في دمائهم وصارت أجزاء من مكوناتهم وطبيعة من طبائعهم فهم لا يستطيعون إلا أن يقتلوا ويسرقوا ويدمروا ويعملوا الكبائر، وتقول توراتهم المحرفة إن لوطاً قد ضاجع ابنتيه وهو سكران (فحبلت ابتا لوط من أبيهما فولدت البكر ابناً ودعت اسمه مؤاب، وهو أبو المؤابيين إلى اليوم والصغيرة أيضاً ولدت ابناً ودعت اسمه بن عمي، وهو أبو بني عمون إلى اليوم)^(٢).

وأستن رأوبين بن يعقوب سنه الاعتداء على زوجة الأب (رأوبين أنت بكري قوتي وأول قدرتي فضل الرفعة وفضل العز، فائراً كالماء لا تفضل، لأنك صعدت على مضجع أبيك حينئذ دنسته، على فراشي صعد)^(٣).

وفي شرعة التوراة إساءة كبيرة للأنبياء حيث جاء في التوراة أن إبراهيم لما قُرب أن يدخل مصر قال لساراي امرأته، إني قد علمت إنك امرأة حسنة المنظر فيكون إذا رآك المصريون أنهم يقولون هذه امرأته، فيقتلونني ويستبقونك، قولي إنك أختي، وحدث لما دخل إبراهيم إلى مصر أن المصريين رأوا المرأة إنها حسنة جداً فمدحوها لدى فرعون فأخذت إلى بيت فرعون فصنع إلى إبرام خيراً بسببها. (فضرب الرب فرعون وبيته ضربات عظيمة بسبب ساراي امرأة إبراهيم، فدعا فرعون إبراهيم وقال ما هذا الذي صنعت بي، لماذا لم تخبرني أنها امرأتك؟ لماذا

(٢) تك/الإصحاح ٣٦: ٣٨.

(١) جذور البلاء/ عبد الله التل/ ٦٨.

(٣) تك/الإصحاح ٤٩: ٣-٤.

قلت «إنها أختي» حتى أخذتها لتكون لي زوجة؟ والآن هي ذا امرأتك خذها واذهب^(١). ومن جانب آخر حرصت التوراة على أن تسجل لإبراهيم إنه حابي ابنه إسحاق وأعطاه كل ما كان له، وأما بنو السراي اللواتي كن لإبراهيم فأعطاهم إبراهيم عطايا وصرفهم عن إسحاق ابنه شرقاً إلى أرض المشرق وهو بعد حي^(٢)، وإذا كان واضعو التوراة قد حرصوا على إبعاد إسماعيل أيضاً، فقد نسوا ذلك وعادوا فذكروا ما يدل على أن إسماعيل ظل بجوار أبيه حتى موته.

وحدث مثل ذلك ليعقوب وأخيه عيسو ولدي إسحاق، وتروي التوراة إن إسحاق يحب عيسو وأما رفقة زوجته فتحب يعقوب وحاول يعقوب أن يحل محل أخيه عيسو في البكورية تقول التوراة إن عيسو باع بكوريته إلى أخيه يعقوب بالخبز والطبيخ وكذلك تذكر التوراة المحاولات التي قام بها يعقوب لينال ميراث أبيه دون أخيه عيسو ويصف سفر التكوين أعمال يعقوب بالشطط والكذب لينال ما ليس له.

وتصف التوراة أحداثاً عجيبة يدهش الإنسان أن تجري في بيت رسول. ومن هذه الأحداث إن زوجة يعقوب (راحيل) كانت وثنية، حتى بعد أن مضت عدة سنوات على زواجها منه، وقد بلغ من وثنتها وأخلاقها إنها سرقت أصنام أبيها وفرت بها هاربة من بيت أبيها مع زوجها إلى فلسطين^(٣).

وتذكر التوراة (إن راؤيين بن يعقوب بن البكر زنى بيلهة زوجة أبيه وأم أخويه دان ونفتالي، وشاع هذا الخبر حتى سمعه يعقوب)^(٤). ومن هذه الأحداث أيضاً واقعة زنا وغدر يقصها سفر التكوين كما يلي: وخرجت دينة ابنة ليئة التي ولدتها ليعقوب لتتظر بنات الأرض فرآها شكيم بن حمور رئيس الأرض. فأخذها وزنا بها وتعلقت نفسه بها فكلم أباه أن يطلبها زوجة له، فخرج حمور إلى يعقوب ليطلب ابنته إلى ابنه...^(٥) وتتوالى الإساءات الكبيرة إلى الأنبياء وزوجاتهم وأبنائهم في التوراة.

(٢) تك: ٢٥/٥-٦.

(٤) تك: ٣١:١٩.

(١) تك: ١٢/١٤-١٩.

(٣) تك: ٣١/١٩.

(٥) تك: ٣٤.

وفي عهد موسى ﷺ أحداث مسألة سرقة بني إسرائيل لحليّ المصريين تنفيذاً لوصية الرب التي أوصى بها موسى وبلغها إلى قومه بها فعملوا بها، وفيما يلي كلمات (وأعطي أي أنل الله - نعمة لهذا الشعب في عيون المصريين، فيكون حينما تمضون أنكم لا تمضون فارغين بل تطلب كل امرأة من جارتها ومن نزيله بينها أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثياباً وتضعونها على بنيكم وبناتكم فتسلبون المصريين)^(١).

(وفعل بنو إسرائيل بحسب قول موسى، طلبوا من المصريين أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثياباً وأعطى الرب نعمة للشعب في عيون المصريين حتى أعاروهم فسلبوا المصريين)^(٢).

ومهما كان من أمر فإن تسجيل هذا الخبر بهذا الأسلوب يدل على ما كان وظل يتحكم في نفوس بني إسرائيل من فكرة استحلال أموال الغير وسلبها بأية وسيلة، ولو لم تكن حالة حرب ودفاع عن النفس، كما إنه كان ذا أثر شديد بدون ريب في رسوخ هذا الخلق العجيب في ذريته ومن دخل في دينهم من غير جنسهم^(٣).

أما هارون فإنه بناء على ما ورد في التوراة - استجاب لقومه حينما استبطؤوا موسى وطلبوا منه أن يقيم لهم إلهاً يعبدونه وفيما يلي نص التوراة: ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ في النزول من الجبل، اجتمع الشعب على هارون وقالوا له، قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا، لأن هذا موسى الرجل الذي أصدعنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه فقال لهم هارون، انزعوا أقراط الذهب التي في آذانكم، وأتوا بها إلى هارون، فأخذ ذلك من أيديهم، وصورةً بالأزميل، وصنع عجلاً مسبوكاً فقالوا هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصدعتك من أرض مصر، فلما نظر هارون بنى مذبحاً أمامه، ونادى هارون وقال: غداً عيد للرب فبكرّوا في الغد واصعدوا محرقات، وقدموا ذبائح سلامة وجلسوا للأكل والشرب ثم قاموا للعب^(٤).

أما داود التوراة فإنه يسطو على زوجة أحد ضباطه أثناء غيابه، ثم يتآمر على حياته ليخلو له الجو فيتزوج المرأة الجميلة التي زنا بها.

(١) خرو/٣: ٢١-٢٢.

(٢) خرو/١٢: ٣٥-٣٦.

(٣) تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم/ محمد عزة دروزة/ ١/ ٧٨-٧٩.

(٤) خرو/٣٢: ١-٦.

وتفتت هذه العادة عند ملوكهم وأبناء ملوكهم فطبقها أبشالوم بن داود على نطاق واسع، وأبشالوم هذا ورث الدعارة عن أبيه داود التوراة، وليس داود بالذي يجله القرآن الكريم ويحقره اليهود، فالأحداث التي روتها التوراة: إن لأبشالوم بن داود شقيقة اسمها تامار وقد أحبها وتيمم بها أخ لها من أبيها اسمه أمنون، وحدث أن أمنون مرض وطلب من أبيه أن تحضر أخته لتعد له طعاماً وتطعمه ولما حضرت أخته أخلى المكان وزنا بها على الرغم منها، وخرجت تامار صارخة باكية ولما عرف أبشالوم شقيقها هذا الأمر وبر في نفسه مكيدة لينتقم من أمنون فدعاه هو وأخوته إلى الطعام، وأوصى عبده أن يثقلوا الطعام والشراب لأمنون حتى يسكر ثم يقتلوه^(١).

أما في عهد سليمان فاتجه إلى الملاذ والترف أكثر من اتجائه إلى خدمة الدين والمبادئ حسب ما روته التوراة وأنه أثقل كاهل الشعب بالضرائب، ليقوم بنفقات شهواته في جمع السراري، وإن كان المؤرخون ينقصون زوجاته السبعمئة إلى ستين وسراريه الثلاثمئة إلى ثمانين، وقد فرض سليمان الأتاوات على جميع القوافل المارة بفلسطين كما فرض جزية الرؤوس على جميع رعاياه، وأعاد للدولة احتكارها القديم لبعض صنوف التجارة^(٢).

وتنسب التوراة انحرافات دينية لسليمان ولنقتبس بعض العبارات عن ذلك (وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون مؤايبات وعمونيات وأدوميات وصيدونيات وحيثيات من الأمم الذين قال عنهم الرب لبني إسرائيل لا تدخلون إليهم وهم لا يدخلون إليكم لأنهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهم، فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة وكان له سبعمئة من النساء السيدات وثلاثمئة من السراري، فأملت نساؤه قلبه، وكان في زمان في شيخوخة سليمان.

إن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب الإله كقلب داود أبيه، فذهب سليمان وراء عشتورث آلهة الصيدونيين، وملكوم رجس العمونيين، وعمل سليمان الشر في عيني الرب، ولم يتبع الرب تماماً كداود أبيه، حيثئذ بنى سليمان مرتفعاً لكموش رجس المؤايبين على الجبل المواجه لأورشليم، وكذلك مرتفعاً لمولك رجس بني عمون، وهكذا فعل لجميع نساءه الغربيات

(١) صموئيل الثاني/ ١٣.

(٢) قصة الحضارة/ ول ديورانت/ ٢: ٣٣٣.

اللواتي كن يوقدن ويذبحن لألهتهن، فغضب الرب على سليمان، لأن قلبه مال عن الرب إله إسرائيل الذي تراءى له مرتين، وأوصاه في هذا الأمر ألا يتبع آلهة أخرى فلم يحفظوا ما أوصى به الرب^(١).

وإن إقامة سليمان هيكل أورشليم ورؤياه لربه ومحادثته له في مستهل حكمه، لم تحل دون ابتداعه في أواخر أيامه جزءاً من العبث بالأمر الدينية أكثر من الزواج، وأخذ يرفه عن زوجاته الكثيرات بتقديم الضحايا لألهتهن القومية، فهو يقدم القربان لربه صيدا (عشتورت) ولرب مؤاب (شموش) وغيرهما. والواقع أن وصف التوراة لسليمان يصوره لنا ملكاً متقلباً كغيره من الملوك، وأخذت عنايته بالدين تقل على مر الأيام كما أخذ يتردد على حريمه أكثر ممّا يتردد على الهيكل ولشدّ ما يلومه كتاب التوراة على شهامته، إذ أقام مذابح للآلهة الخارجية التي كانت تعبدها زوجاته الأجنبية، وهكذا تجد الإساءة واضحة في أسفار العهد القديم إلى الأنبياء والرسل وزوجاتهم وأبنائهم وبناتهم لذلك نقرأ أثر التناقض في التوراة في عكس الحقائق والصفات التي كان يتحلى بها الأنبياء والرسل وجعلهم أناساً يميلون إلى إشباع الشهوات والرغبات دون وازع أو رادع وكأنهم ليسوا بأنبياء أو رسل. هذا هو ديدان اليهود في كل شيء، إنهم يطمسون الحقائق بزيْفهم المفضوح في توراتهم المحرّفة.



(١) الملوك الأول: ١١/١ - ١٠.



المطلب الرابع أثر التناقض في فساد أخلاقهم

أولاً: علاقتهم مع الآخرين:

(١) طبائعهم الغليظة ونبذ الشعوب لهم.

لقد عرفت الأمم والشعوب أخلاق اليهود بعد أن ذاقوا منهم المر والحنظل فأرادوا أن يخلصوا البشرية من شرورهم وأن يجتثوا جرثومة اليهود من الأرض التي عاث اليهود فيها نهباً وسلباً وقتلاً وهتكاً وكذباً ونفاقاً ولذلك عاقبتهم الأمم على أفعالهم السيئة هذه ودمرتهم تدميراً كاد يؤدي بهم من قتل وسبي وجلاء، وما أفعال نبوخذنصر والرومان عنا بعيدة، كما أننا نعلم الشيء الكثير رسول الإنسانية محمد بن عبد الله من يهود المدينة حتى أضطر أن يقاتلهم وأن يجليهم عن جزيرة العرب، وفيما يلي بعض الأمثلة التي تذكر عقوبة هذه الشرذمة في العالم حيث اشتركت فيه مختلف الأجناس والأقوام وهي:

- أ- في أوائل القرن السادس عشرَ للميلاد طردت بريطانيا اليهود ومنعتهم من الدخول إلى بلادها مدة استمرت ثلاثة قرون إلى أن سمح لهم (كروبييل) بالدخول إلى بريطانيا.
- ب- وعرفت فرنسا اليهود وما كادوه للشعب الفرنسي حتى اضطر القديس لويس التاسع عشر أن يطردهم من بلاده وأن يحرق تلمودهم.
- ت- وعرفتهم كذلك أسبانيا فطردتهم من بلادها وحرمت عليهم دخولها مدة طويلة من الزمان.
- ث- وعرفت البرتغال حقيقة اليهود بعد أن ذاقت منهم الأمرين حتى اضطرت إلى طردهم وإخراجهم من البلاد.

ج- وفي سنة ١٤٩٢ م أصدر الملك (فرديناند) والملكة إيزابيلا مرسوماً يقضي بطرد اليهود من البلاد، وهذا نصه (يلوح أن الكثير من الضرر قد يلحق المسيحيين من جراء اختلاطهم ومحادثاتهم مع اليهود الذين لا يخفون أحقادهم بالمحاولات التي يبذلونها لهدم الكاثوليكية المقدسة. ويتمادى اليهود في الهزاء والسخرية بطقوسنا وعوائدنا الدينية، ونحن نأمر جميع اليهود واليهوديات على اختلاف أعمارهم أن يغادروا قبل نهاية يونيو من سنة ١٤٩٢ م هذه البلاد بلا رجعة وأن يصبحوا معهم أبناءهم وبناتهم وخدامهم وخداماتهم وأقاربهم كبيرهم وصغيرهم)، وقد دام هذا الطرد خمسة قرون كاملات.

ح- أما في أمريكا فنجد صحيفة اليهود السوداء، وإذ قال فيهم الزعيم الأمريكي الذي يتصف بجدارة وبعد نظر وثاقب الفكر حيث قال (بنيامين فرنكلين) عن اليهود ما نصه بالحرف الواحد: (هناك خطر كبير يهدد الولايات المتحدة الأمريكية، هذا الخطر الكبير هو اليهودية العالمية. ففي أي مكان حل فيه اليهود كانوا السبب في خنق القيم الأخلاقية وانحطاط الأمانة التجارية. فإذا لم نمنعهم من دخول أمريكا بموجب الدستور ففي أقل من مائة عام سيتدفقون إلى هذه البلاد بأعداد هائلة إلى درجة أنهم سيحكمون ويحطمون نظام الحكم القائم الذي بذلنا نحن الشعب الأمريكي عن رضا وضحينا بأرواحنا وممتلكاتنا وحریتنا الشخصية في سبيل إقامته. إذ لم نمنع اليهود من الإقامة في أمريكا بموجب الدستور ففي خلال مائة سنة سيكون أطفالنا يعملون كخدم في الحقول ليطعموا اليهود بينما يجلس هؤلاء اليهود في بيوتهم يفركون بأيديهم ويحصون ما ربحوا).

وهكذا كان، فمع أن اليهود لا يشكلون في أمريكا سوى ٤٪ إلا إن نسبة التجار منهم ٧٧٪ وهم من كبار التجار وأصحاب الملايين، بينما نجد ١٠٠٪ من العمال العاطلين هم من الأمريكيين و٩٨٪ من المزارعين هم من الأمريكيين، واليوم إذ نجد اليهود قد تبوؤوا مناصب حساسة في أمريكا وهم الذين يديرون سياسة أمريكا في الداخل والخارج، وكذلك نلاحظ الموقف الأمريكي منحازاً إلى اليهود سواء في أمريكا أو في غيرها.

حيث تجد إسرائيل دعماً كبيراً من قبل أمريكا سواء كان مادياً أو معنوياً وخصوصاً في المحافل الدولية حين يصدر قرار بإدانة إسرائيل على أفعالها في فلسطين فإنها تعلن معارضتها لأي قرار يصدر من الأمم المتحدة.

خ- وقد تعرض اليهود في ألمانيا لقسوة شديدة ما بين حربي ١٩١٤ - ١٩٣٩ م، ونحن نقول إن ما لاقاه اليهود جزاءً وفاقاً لأعمالهم الشريرة لأنهم هم السبب الأول لخسارة ألمانيا الحرب في هاتين الحربين التي استنزفت دماء الملايين من الألمان وأودت بمدن مأهولة بأهلها وعرضت خزينة ألمانيا إلى خسارة لا تعوض. هذه الأمور وكثير غيرها هي التي جعلت هتلر زعيم ألمانيا يضيق بهم ذرعاً ويكيل لهم الصاع صاعين.

ثانياً: الزنا والزنا

عاش اليهود طوال حياتهم بؤرة فساد ومنكر وفحشاء ينشرون الرذيلة في العالم ويحاربون الفضيلة في كل مكان، تنفيذاً لما ورد في توراتهم وتلمودهم من دعوة سافرة إلى الفسوق والفجور والدعارة، فقد كان اليهود وما زالوا مصدرراً للمنكر والفحشاء وإنهم أصحاب بيوت الدعارة في العالم وناشرو الانحلال الجنسي في كل مكان.

وأنهم يسخرون المال الذي سرقوه من دماء الشعوب في إشاعة الرذيلة من أجل تحطيم القيم الخلقية عند الناس كافة وإنهم أعداء الداء لكل ما له صلة بالشرف الإنساني، وأنهم يحتقرون البشر ويستحلون سرقة مال غير اليهود وتدنيس أعراضهم وتلويث شرفهم وامتصاص دمائهم.

واليهود في خطتهم هذه لا يخسرون شيئاً لأنهم لا شرف عندهم ولا كرامة ولا ضمير^(١).

واعتمد اليهود على بيع أعراضهم لكسب المال واسترجاعه ليكون في حوزة إسرائيل ويتم ذلك بأن يصدّروا فتيات إسرائيل إلى مواخير جميع العالم في أوروبا وأمريكا، ويصدروا كذلك أعداداً كبيرة من الفتيات إلى أسواق الرقيق الأبيض في العالم وإلى الملاهي والنوادي الليلية تحت إشراف جمعيات يهودية منظمة.

(١) جذور البلاء/ عبد الله التل/ ١٠٨.

وبالإضافة إلى المال الذي يجنيه اليهود من بيع فتياتهم للزوار الأجانب فإنهم يستخدمون الجنس للحصول على أسرار ومعلومات من الزبائن الكبار الذين يحضرون إلى إسرائيل بدعوة من حكومتها وتشرف وزارة الخارجية الإسرائيلية على عملية تقديم المتعة للضيوف الأجانب وخاصة وفود الدول الأفريقية التي تخدعها حكومة اليهود وتوجه إليها الدعوات الكثيرة فالعلاقات الجنسية في إسرائيل تتم بلا روابط من زواج أو طلاق، وفي المستعمرات اليهودية يتناسلون على الطريقة البدائية، والدولة تسلخ الأطفال عن أمهاتهم لتقتل في نفوسهم العاطفة فيشربوا قساةً مجرمين، والفتيات يسرن في الشوارع بالملابس الفاضحة، ويبلغ الانحلال الخلقي أشده في الفنادق التي يؤمها السياح الأجانب.

وعلى الحدود التي تفصل الدولة اليهودية عن البلاد العربية تطوف دوريات من المجندات في الاختلاط برجالها وجنود قوات الطوارئ الدولية^(١).

ويرى اليهود أن ممارستهم للدعارة والفجور ليست جديدة عليهم وأن غريزة الفسق والفجور أصيلة عندهم راسخة في عروقهم وأصولهم ولا يرون في تطبيقها أي حرج ولا ملامة.

وأما الربا: فقد لجأ اليهود من أجل سرقة مال غير اليهود إلى وسيلة دينية غدت وقفاً عليهم ورمزاً على جشعهم فبرعوا فيها وأتقنوا فنها ونجحوا في تخريب الحكومات والشعوب والأسر نتيجة ممارستها الربا، وحين جاء الإسلام حاربهم في أعز ما لديهم في الحياة حاربهم في جشعهم وحبهم للابتزاز مال الغير، وحاربهم في الركن الأساسي الذي تقوم عليه أنظمة حياتهم الاقتصادية المبنية على استغلال جهد غير اليهود في سبيل تأمين حياة رغده لليهود وحارب الإسلام الربا عدو الإنسانية والسيف البتار الذي يقطع به اليهود النظام الاجتماعي من البشر كافة^(٢).

وهذا تلمودهم أيضاً يوصي بالربا إذ يقول: غير مصرح لليهودي أن يقرض الأجنبي إلا بالربا، وكذلك يقول مسموح غش الأممي وأخذ ماله بواسطة الربا الفاحش^(٣).

(٢) ينظر: المصدر السابق نفسه/ ١٨.

(١) المصدر نفسه/ ١٧٤.

(٣) الكنز المرصود/ ٧٦.

ثانياً: علاقاتهم مع أنفسهم.

إن اليهود حاولوا عبر العصور أن يعيشوا في عزلة تامة عن الناس، ففي كل بلد لليهود حارة خاصة بهم، وفي كل بلد لليهود سوق خاص بهم، وفي كل بلد لليهود صناعات وأشغال خاصة بهم، وهذا ما جعلهم أن تكون أخلاقهم متناسب وتتناقل بالوراثة من جيل إلى جيل كما تتناقل أشكالهم الجسمية وسماتهم الظاهرية من جيل إلى جيل، والعجيب أن اليهودي مهما حاول أن يبعد عنه هذه الصفات فإنها تغلبه أخيراً وقديماً قيل: (الطبع يغلب التطبع)^(١).

وهنا فتح الحاخامون القفل الذي كان موصداً والباب الذي كان مقفلاً، فأباحوا لليهود كل محرم وحلّلوا لهم كل ممنوع وليس ذلك فقط بل أطلقوا أيديهم يفعلون ما يشاءون من المعاصي ويستبيحون ما يشتهون من الشهوات واضعين لهم قاعدة: (الغاية تبرر الوسطة).

فكانت وصايا اليهود كما جاءت في التلمود على الشكل التالي:

١. لا تقتل: يعني يهودياً.
 ٢. لا تسرق: يعني يهودياً.
 ٣. لا تزن: يعني يهودية.
 ٤. لا تشهد بالزور: يعني على يهودي.
 ٥. وجاء في التلمود قوله: (إن مثل اليهود كمثل سيدة في منزلها يستحضر لها زوجها النقود تأخذها بدون أن تشترك معه في الشغل والتعب)^(٢).
- وقاموس اليهود خلو من كلمات الغش والسرقة والكذب والزور والربا والخداع والنفاق والمكر إذ كلها جائزة عند اليهودي ما دام هو يتعامل بها مع غير اليهودي.
- ولليهودي وصية خاصة به مقتبسة من كتبه الدينية يطلق عليها الوصية الجامعة وهذه هي:

(٢) الكنز المرصود/ نصر الله/ ٧٤.

(١) حقيقة يهود/ خير الله طلفاح/ ٧/ ٢١٨.

أ- اهدم كل قائم.

ب- لوث كل طاهر.

ت- احرق كل أخضر.

ث - اقتل كل إنسان من غير اليهود كي تنفع بذلك يهودياً ولو بفلس واحد.

ج - اقتلوا جميع من في المدن من رجل وامرأة وطفل وشيخ وبقر وغنم وحمير بحد السيف.

ح - اقتل أفضل من قدرت عليه من غير اليهود.

د- العن رؤساء الأديان عدا اليهود ثلاث مرات باليوم.

ولليهود كما علمتهم كتبهم الدينية دعاء خاص ينفردون به يدعون ربهم بهذا الدعاء نلخصه فيما يلي: في بدء كل عام جديد يقول اليهود يا إله يهودا كما أعنتني على إلحاق الأذى بالحيوانات الناطقة (الكوييم) في العام الماضي أكمل علي نعمتك والحق بيدي الأذى بتلك الحيوانات في العام الآتي).

حقاً إن الشعب اليهودي متميز عن العالم كله ولكن بماذا؟ أنه يتميز بالهمجية والوحشية والرعاية وكل صفة تخرج الإنسان من إنسانيته وتحط به إلى مرتبة الحيوان.

ويعتقد اليهود إنهم متميزون عن بقية البشر فهم متميزون بأرواحهم عن بقية الأرواح لأن أرواحهم كما يدعون جزء من روح الله، لأن الابن جزء من والده!!

ويدعون أيضاً أن أرواح اليهود عزيزة عند الله بالنسبة لبقية أرواح المخلوقات الأخرى، لأن أرواح غير اليهود ينظر اليهود هي أرواح شيطانية وشبيهة بأرواح الحيوانات ولا يدخل الجنة بزعمهم إلا اليهود، أما الجحيم فهي مأوى الكافرين والكافرون بنظر اليهود هم جميع خلق الله عدا اليهود^(١).

وتتدرج التوراة في غرس حب الانعزال والتعصب من أيام إبراهيم عليه السلام إلى

(١) حقيقة يهود/ طلفاح/ ٧/ ٢١٣.

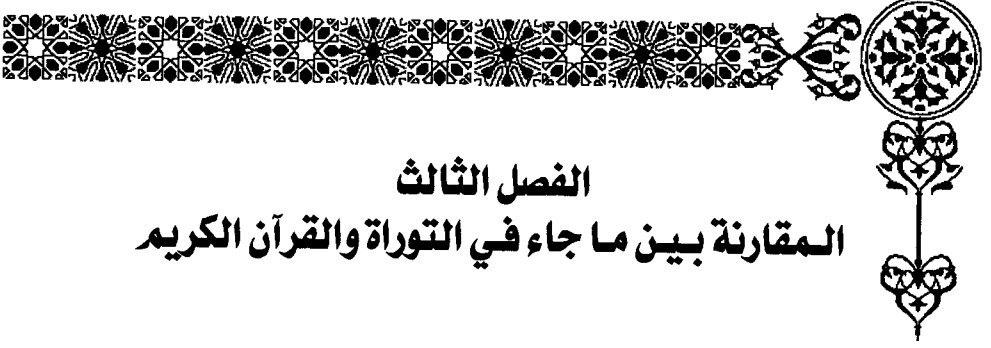
آخر سطر فيها، حيث يوصي إبراهيم بعدم الزواج من بنات الكنعانيين، وكذلك فعل إسحاق بابنه يعقوب (فدعا إسحاق يعقوب وباركه وأوصاه وقال له لا تأخذ زوجة من بنات كنعان)^(١)، ثم تأتي أوامر يهوه إلى نبيه موسى (احفظ ما أنا موصيك اليوم، ها أنا طارد من قدامك الأموريين والكنعانيين والحِيثيين والفرزيين والهوريين واليبوسيين...) ^(٢).

وتوصي التوراة ألا يقطع موسى عهداً مع سكان الأرض وأن لا يأكل من ذبائحهم وألا يأخذ بناتهم زوجات لأبنائه.



(٢) خرو: ٣٤: ١١ - ١٦.

(١) تك: ٢٨: ١.



الفصل الثالث المقارنة بين ما جاء في التوراة والقرآن الكريم

وفيه خمسة مباحث وهي:

- المبحث الأول: خلق السماوات والأرض، وفيه مطلبان:
- المطلب الأول: رواية الخلق في التوراة.
- المطلب الثاني: رواية الخلق في القرآن الكريم.
- المبحث الثاني: قصص الأنبياء.
- المبحث الثالث: أنبياء في القرآن الكريم لا وجود لذكرهم صراحة في التوراة.
- المبحث الرابع: أنبياء في التوراة لم يرد ذكرهم في القرآن الكريم.
- المبحث الخامس: نبوة محمد (ﷺ) في التوراة والقرآن الكريم.





المبحث الأول خلق السماوات والأرض

يختلف القرآن عن العهد القديم من حيث أنه لا يقدم رواية كاملة عن الخلق. فبدلاً عن الرواية الواحدة المستمرة - كما في التوراة - نجد في أماكن متعددة فقرات تذكر بعض جوانب رواية الخلق ولا بد تجميع هذه الآيات للحصول على فكرة واضحة عن الطريقة التي سبقت بها هذه الأحداث. وليس تناثر روايات متعددة تختص بموضوع واحد خاص بروايات الخلق في القرآن. فالقرآن يعالج بهذا الشكل عديداً من الموضوعات الهامة سواءً كانت ظاهرات دنيوية أو سماوية أو مسائل خاصة بالإنسان تهم رجل العلم.

إن الاختلافات بين روايات القرآن وبين روايات التوراة ليست ثانوية مطلقاً من وجهة النظر العلمية كما يعتقد البعض - حيث تكتشف في القرآن مواضيع لا تجد البحث عن معادل لها في التوراة، كما إن التوراة من ناحية أخرى تحتوي على معالجات تفصيلية لا معادل لها في القرآن.

أن التجانسات الظاهرية بين النصين معروفة جداً. فبين هذه التجانسات نجد في الوهلة الأولى أن ترقيم مراحل الخلق المتعاقبة هو نفسه في النصين فأيام الخلق الستة في التوراة تعادل الأيام الستة في القرآن، ولكن المشكلة في الواقع أكثر تشابكاً وتستحق وقفة عندها. تذكر رواية التوراة، ودون أي غموض، تمام الخلق في ستة أيام يتبعها يوم راحة يوم السبت، وذلك بالتجانس مع أيام الأسبوع وقد ظهر نتيجة الاستقرار أن مفهوم الراحة يوم السبت قد أدخل إلى الفكر اليهودي من قبل كهنة القرن السادس قبل الميلاد التي تحث على ممارسة سبت الراحة^(١).

(١) ينظر: علاء الدين شمس الدين المدرس/ الظاهرة القرآنية والعلم/ ص ١٠٠/ مطبعة العاني/ بغداد (ط١)/ ١٩٨٦ م/ وينظر: موريس بوكاي: دراسة الكتب المقدسة/ ص ٣٤/ ترجمة نخبة من =

فعلى كل يهودي يستريح يوم السبت كما فعل الرب بعد أن عمل طيلة أيام الأسبوع الستة. إن كلمة (يوم) كما يفهم من التوراة تعرف المسافة الزمنية بين إشراقين متواليين للشمس أو غروبين وذلك بالنسبة لسكان الأرض.

ولبيان المقارنة العلمية سنقسم هذا المبحث على مطلبين:

- المطلب الأول: رواية الخلق في التوراة.

- المطلب الثاني: رواية الخلق في القرآن الكريم.





المطلب الأول رواية الخلق في التوراة

ليكن نور فكان نور، ورأى الله أن النور حسن. وفصل بين النور والظلمات. ودعا الله النور نهراً والظلمات ليلاً، وكان مساء وكان صباح اليوم الأول. ليكن جلد في وسط المياه التي تحت الجلد والمياه فوق الجلد ودعا الله الجلد سماء، وكان مساء وكان صباح: اليوم الثاني - لتجتمع المياه تحت السماء إلى مكان في كتلة واحدة ولتظهر اليابسة وكنا كذلك. ودعا الله اليابسة أرضاً ومجتمع المياه دعاه (بحاراً) ورأى الله ذلك أنه أحسن. وقال الله: لتنبث الأرض خضرة عشباً يحمل بزرأ كجنسه، وشجراً يعطي ثمرأ من جنسه وبزرأ. ورأى الله أنه أحسن وكان مساء وكان صباح: اليوم الثالث وقال الله: لتكن أنوار في جلد السماء لتفصل بين النهار والليل وتكون علامات للأعياد كما للأيام والسنين ولتكن أنوار في جلد السماء لتضيء الأرض وكان كذلك وعمل الله المنيرين العظيمين - المنبر الأكبر لحكم النهار والمنير الأصغر لحكم الليل والنجوم.

وجعلها الله في جلد السماء لتغير على الأرض ولتحكم على النهار والليل ولتفصل بين النور والظلمة ورأى الله ذلك أنه أحسن. وكان مساء وكان صباح. اليوم الرابع: وقال الله: ولتعج الأرض بعجيج الكائنات الحية ولتطر الطيور فوق الأرض^(١). وعلى وجه جلد السماء، وكان كذلك، وخلق الله كبار ثعابين البحر وكل الكائنات الحية التي تنزلق وتعج في البحار، كل بحسب جنسه وكل ذي جناح بحسب جنسه، ورأى الله ذلك أنه حسن وباركها الله قائلاً: أثمري وأكثري واملئي البحار ولتكاثر الطيور على الأرض. وكان ليل وكان نهار: اليوم الخامس قال الله: لتخرج الأرض الكائنات الحية كجنسها بهائم وبايات ووحوش كجنسها. وكان

(١) ينظر: المصدرين السابقين/ ص ١٠١، ص ٣٤، ٣٥.

كذلك ... وقال الله لنعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا ويتسلطوا على سمك البحر وعلى طيور السماء وعلى البهائم وعلى كل الوحوش والدبابات التي تزحف على الأرض. فخلق الله الإنسان على صورته، ذكراً وأنثى وباركها الله وقال لهما: أثمرا وأكثرأ وأملا الأرض. وأمضاها وتسلطاً على البحار وطيور السماء وعلى كل حيوان يدب على الأرض ... وكان كذلك ورأى الله كل ما علمه فإذا هو حسن وكان مساء وكان صباح: اليوم السادس. فأكملت السماوات والأرض بكل حينها فرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي هو عمل وبارك الله اليوم السابع وقدهس لأن فيه استراح من جميع عمله للخلق، هذه مبادئ السماوات والأرض حيث خلقت^(١).

وواضح أن هذه (الراحة) التي نفترض الله قد أخذها بعد عمل ستة أيام هي أسطورة ولكن لها تعليل إذا لا يجب نسيان أن رواية الخلق المدروسة هنا تأتي من النص الكهنوني الذي كتبه الكهنة وهم الوارثون الروحيون لحزقيال بني النبي بابل في القرن السادس قبل الميلاد^(٢). ومعروف أن الكهنة قد أعادوا روايتي الخلق اليهودية والألوهية وأعادوا صياغتهما على مشيئتهم وحسب اهتماماتهم الخاصة التي كتب الأب ديفو عنها قائلاً أن طابعها (التشريعي) كان جوهرياً. إن إدراج مراحل الخلق المتعاقبة في إطار أسبوع هذا الإدراج الذي أراده الكاتب الكهنوني بهدف الحث على الطاعة الدينية لا يقبل الدفاع من وجهة النظر العلمية وهكذا إذ يبدو رواية التوراة للخلق كبناء خيالي مبتكر كان يهدف إلى شيء آخر غير التعريف بالحقيقة. إن اليوم وفق التعريف العلمي يرتبط وظيفياً بدوران الأرض حول نفسها. وواضح تماماً أن من المستحيل منطقياً أن نتحدث عن (الأيام) بهذا المعنى الذي تحدد على حين أن العملية المركبة التي ستؤدي إلى ظهورها أي وجود الأرض ودورانها حول الشمس لم تكن قد أنشأت بعد عند أولى مراحل الخلق وذلك بحسب رواية التوراة^(٣).

(١) العهد القديم - سفر التكوين.

(٢) الظاهرة القرآنية والعلم، علاء الدين شمس الدين/ ١٠٢.

(٣) ينظر: المصدر نفسه. دراسة الكتب المقدسة/ موريس بوكاي/ ٣٤ - ٤٠.



المطلب الثاني رواية الخلق في القرآن الكريم

أما إذا رجعنا إلى آيات القرآن حول الموضوع فأنا نقرأ منها التجانس مع ما تعلمنا التوراة به. إن القرآن يقول هو أيضاً بامتداد عملية الخلق على مدة ستة أيام ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾^(١). ترى ماذا يقصد القرآن بكلمة يوم، هل هناك ما يشير إلى أن يذهب مذهب التوراة في توضيح اليوم المتكون من الليل والنهار أم أنه يريد - وحسب دلالات اللغة العربية وما ورد في القرآن من آيات توضح المعنى - أنها مراحل، أو عصور زمنية.

الواقع ودون نقص لأي طريقة في الرؤيا والتفسير يمكن أن نرى المشكلة عن قرب أكثر، وأن نفحص المعاني الممكنة في القرآن نفسه في لغة العصر عامة لتلك الكلمة (يوم)^(٢) أن الكلمة مفردة تنحو الدلالة على النهار أكثر منها للدلالة على فكرة زمنية بين غروب الشمس وغروبها في اليوم التالي. أما إذا جمعت فلا تعني فقط أيام أي وحدات تتكون كل منها من أربع وعشرين ساعة، بل تعني أيضاً دهاً طويلاً أو فترة من الزمن غير محددة وإن طال. ومن ناحية أخرى فمعنى (فترة زمنية) الذي يمكن للكلمة أن تدل عليه موجود أيضاً في القرآن: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾^(٣). ومما هو جدير بالملاحظة أن الآية السابقة على الآية ﴿٥﴾ تذكر بالتحديد الخلق في ستة (أيام)^(٤)، وإليك آية أخرى تعطي معنى الفكرة الزمنية على اليوم: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾^(٥).

وكون أن كلمة يوم كان يمكن أن تدل على فترة زمنية تختلف تماماً عن تلك

(١) سورة الأعراف/ الآية (٥٤).

(٣) سورة السجدة/ الآية (٥).

(٥) سورة المعارج/ الآية (٤).

(٢) تفسير القرآن العظيم/ ابن كثير/ ج ٢/ ١٩٣.

(٤) تفسير القرآن العظيم/ ابن كثير/ ج ٢/ ١٩٣.

التي تعطيتها لمعنى (اليوم)^(١) قد بهر كثيراً من المفسرين القدامى الذين لا يملكون بالطبع معارف واسعة من تلك التي نملكها اليوم عن مدة مراحل تكون الكون، فبهذا الشكل في القرن السادس عشر ميلادي، ظن أبو السعود الذي لم يكن يملك معرفة عن اليوم كما يحدده علم الفلك بالاستناد إلى دورة الأرض.

إن من واجب تصور تقسيم (مراحل) ليس إلى أيام بالمعنى الذي تفهم عادة بل إلى (نوبات) والمفسرون المحدثون حالياً يفسرون الأيام التي تذكر في مراحل الخلق بمعنى (فترات طويلة) أو (عصور).

فمن حقنا إذن أن نقبل، فيما يتعلق بخلق العالم، بقول القرآن ضمناً بفترات زمنية طويلة رقمها بالعدد (٦)، ولا شك أن العلم الحديث لم يسمح للناس بتقرير أن عدد المراحل المختلفة للعمليات المعقدة التي أدت إلى تشكيل العالم هو ستة مراحل ولكنه قد أثبت بشكل قاطع أنها فترات زمنية طويلة جداً، تتضاءل إلى جانبها الأيام كما نفهمه وتصبح شيئاً تافهاً.

إن واحدة من أطول فترات القرآن التي تتناول الخلق تذكر ذلك، واصفة جنباً إلى جنب رواية خاصة بأحداث دنيوية وأخرى سماوية^(٢).

يقول الله تعالى لنبيه (ﷺ) في كتابه الكريم:

﴿قُلْ إِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ إِندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَجَعَلَ فِيهَا رُوسًا مِنْ فَوْقِهَا وَيُرْسِلُ فِيهَا رِيحًا وَأَنزَلَ فِيهَا سُبْحَانَ لِلَّهِ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٣) ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١٥﴾ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيْنًا السَّمَاءِ الْأُولَى بِمَصْبِيحٍ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٦﴾^(٣).

هذه الآيات الأربعة من سورة فصلت دلت دلالة واضحة عن خضوع السماوات والأرض للأوامر الإلهية بعد تشكلها، والواقع أن هذا النص الذي يدعو

(١) ينظر: الظاهرة القرآنية/ علاء الدين المدرس/ ١٠٣.

(٢) ينظر: الظاهرة القرآنية/ علاء الدين شمس المدرس/ ١٠٤.

(٣) سورة فصلت/ الآيات (٩ - ١٢).

الإنسان لتأمل القدرة الإلهية ابتداءً من الأرض وحتى يكمل تأوله الخاص بالسموات، يقدم جزأين معطوفين بكلمة (ثم) التي تعني (زيادة على ذلك) وأن عنت أيضاً (من بعد) كما قد تعني (فضلاً عن ذلك) والمعنى المقصود هنا مجرد الإشارة إلى أحداث مرتبة جنباً إلى جنب دون فيه إدخال معنى التوالي على هذه الأحداث حيث تستطيع فترات خلق السماء أن تكون مصاحبة تماماً لفترتي خلق الأرض. وسندرس فيما بعد كيف أن هذه العملية تنطبق معاً على السموات والأرض بالاتفاق مع مفاهيم الحديثة. عندئذ يمكن إدراك الشرعية الكاملة لهذه الطريقة في تصور معية الأحداث المذكورة هنا.

ولا يبدو أن هناك تعارضاً بين الفقرة المذكورة هنا والمفهوم النابع من نصوص أخرى للقرآن تخص تشكيل الكون في ست مراحل أو فترات.

القرآن لا يحدد ترتيباً في خلق السموات والأرض في الآيات التي ذكرت قبل قليل من سورتي الأعراف وفصلت تشير إحداهما إلى خلق السموات والأرض (الأعراف - ٥٤) والأخرى إلى خلق الأرض والسموات (فصلت ٩ - ١٢) لا يبدو إذن أن القرآن يحدد ترتيباً في خلق السموات والأرض.

هناك عدد قليل من الآيات تشير إلى الأرض أولاً. كما هو الحال في سورة البقرة - ٢٩، وسورة طه - ٤. التي تشير إلى (فمن خلق الأرض والسموات) وعلى العكس من ذلك يوجد عدد أكبر من الآيات يشار فيها إلى السموات قبل الأرض (الأعراف - ٥٤، يونس - ٣، هود - ٧ الفرقان - ٥٩، السجدة - ٤، ق - ٣٨، الحديد - ٤، النازعات - ٢٧ - ٣٣، الشمس - ٥ - ١٠) الحقيقة باستثناء سورة النازعات ليس في القرآن أي آية تحدد بشكل قاطع أي ترتيب: فحرف العطف (و) هو الذي يربط طرفي الجملة: أو كلمة (ثم) التي رأيناها في الآية المذكورة سابقاً والتي قد تشير إلى التوالي أو إلى مجرد وضع عنصر بجانب آخر ﴿وَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَرِ السَّمَاءَ بَنَاهَا ﴿٧٧﴾ رَفَعَ سَمَكَهَا ﴿٧٨﴾ فَسَوَّاهَا ﴿٧٩﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿٨٠﴾ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴿٨١﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٨٢﴾ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴿٨٣﴾ مَنَّاعًا لَكُمْ ﴿٨٤﴾ وَلَا تُغْمِكُوا ﴿٨٥﴾﴾^(١).

إن وصف نعم الله الدنيوية على الناس ذلك الذي يعبر عنه القرآن في لغة

(١) سورة النازعات/ الآية (٢٧ - ٣٣).

تناسب مزارعاً أو بدوياً في شبه الجزيرة العربية مسبق بدعوة للتأمل في خلق السماء، ولكن المرحلة التي مد فيها الله الأرض وأخصبها تأتي بالتحديد زمنياً بعد إنجاز عملية توالي الليل والنهار، المذكور هنا أذن هو مجموعتان من الظاهرات جزء منها أرضي والآخر سماوي وقد حدث كلاهما في اتصال مع الآخر وبالتالي فذكر هاتين المجموعتين من الظاهرات يعني أن الأرض كانت بالضرورة موجودة قبل أن تمتد^(١).

وعليه فقد كانت موجودة حين بنى الله السماوات وينتج من هذا فكرة المصاحبة الزمنية لنمو كل من السماوات والأرض بشكل تتداخل فيها الظاهرتان وبناءً عليه فلا يجب أن ترى أي دلالة خاصة في إشارة النص القرآني خلق الأرض قبل السماوات أو خلق السماوات قبل الأرض: فمواضيع الكلمات لا تبين وجود ترتيب تحقق الخلق في إطاره إلا أن تكون تفصيلات أخرى معطاة).

مما تقدم نستنتج ما يلي:

(أ) الدعوة بوجود كتلة غازية ذات جزئيات، فكذلك يجب تفسير كلمة (دخان) إذ يتكون الدخان عموماً من قوام غازي حيث تعلق به بشكل أكثر أو أقل ثبوتاً جزئيات دقيقة قد تنمي إلى حالات المواد الصلبة أو حتى السائلة مع درجة في الحرارة قد تقل أو تكثر.

(ب) الإشارة إلى عملية الفتق للكتلة الفريدة الأولى التي كانت عناصرها في البداية ملتحمة (بقول القرآن الرتق)، ولنحدد جيداً... إن (فتق) هو فصل القطع أو فك اللحم أو الفصل وأن (رتق) وصل اللحم ووصل العناصر بهدف تكوين كل. هذا المفهوم في تفصيل الكل إلى أجزاء يتحدد بشكل دقيق في فقرات أخرى من القرآن. وذلك يذكر عوالم متعددة أن الآية الأولى من أول سورة في القرآن بعد فاتحته (بسم الله الرحمن الرحيم) هي (الحمد لله رب العالمين) ويتكرر تعبير (العالمين) عشرات من المرات في القرآن وكذلك السماوات فهي تذكر باعتبارها متعددة وليس ذلك فقط في صيغة الجمع. بل تذكر أيضاً مع ترقيم رمزي وذلك

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم / ابن كثير / ج ٤ / ٤٠٩.

بالاستعانة بالرقم (٧) الرقم (٧) مستخدم (٢٤) مرة في كل القرآن لتعددات مختلفة وكثيراً ما يعني التعدد دون أن تعرف بشكل محدد سبب هذا الاستخدام بذلك المعنى أن الرقم (٧) يبدو عند اليونان والرومان وكأن له المعنى نفسه للتعدد غير المحدد، وفي القرآن يعود الرقم (٧) على السماوات بمعناها الصفر سبع مرات، كما يشير الرقم مرة واحدة بشكل ضمني إلى السماوات، كما يشير مرة واحدة إلى طرق السماء السبعة^(١). ومن هذا قوله تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(٢)، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾^(٣)، وقوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفْوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾^(٤)، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا﴾^(٥) وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾^(٥).

يلاحظ دائماً أن القمر والشمس المذكوران على أنهما منيران أما في القرآن فيشير إليهما دائماً بشكل مختلف إذ يصف الأول (بالنور) على حين يقرن الثاني في الآية بالسراج الذي ينتج الضوء ﴿وَبَيْنَنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شَدَادًا﴾^(٦) وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا﴾^(٦). السراج الوهاج هنا هو الشمس المثيرة^(٧). وبالنسبة لكل هذه الآيات فإن معظم مفسري القرآن يعتقدون أن الرقم (٧) يشير إلى تعدد دون تحديد آخر، وقد وردت نصوص أخرى في القرآن أو الحديث النبوي لاستخدام الرقم (٧) والرقم (٧٠) للتعدد غير المحدود وهو أمر معروف عند العرب^(٨).

والسماوات إذن متعددة وكذلك الكواكب المشابهة للأرض، وليس أقل ما يثير دهشة قارئ القرآن في العصر الحديث أن يجد فيه تصريحاً بإمكان وجود كواكب أخرى تشبه الأرض في الكون وهذا ما لم يتحقق منه الناس بعد في عصرنا

(١) ينظر: الظاهرة القرآنية والعلم/ علاء الدين شمس الدين المدرس/ ١٠٧.

(٢) سورة البقرة/ الآية (٢٩).

(٣) سورة المؤمنین/ الآية (١٧).

(٤) سورة الملك/ الآية (٣).

(٥) سورة نوح/ الآيات (١٥-١٦).

(٦) سورة النبأ/ الآيات ١٢-١٣.

(٧) تفسير القرآن العظيم/ ابن كثير/ ج ٤/ ٤٠٤.

(٨) الظاهرة القرآنية والعلم/ علاء الدين المدرس/ ١٠٨.

وإن كان العلماء يتوقعون بشكل مؤكد لتوفر ظروف مشابهة في بقية المجرات والعوالم في الكون ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾^(١)، فيمكن استنتاج أن النص القرآني يشير بوضوح لا إلى أرض البشر فقط بل هناك في الكون كواكب أخرى تشبه الأرض وهذا سبب آخر لأثاره دهشة قارئ القرآن في القرن الحادي والعشرين.

- تلك الآيات التي تشير إلى ثلاث مجموعات من المخلوقات وهي:

- تلك التي توجد في السماء.

- تلك التي توجد على الأرض.

- تلك التي توجد بين السماوات والأرض.

وإليكم بعض هذه الآيات:

قال تعالى: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ﴾^(٢).

وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾^(٣).

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾^(٤).

اللغوب وهو التعب^(٥)، وتبدو هذه المقولة التي تصرح بأن الخلق لم يتعب الله مطلقاً، تبدو كأنها رد واضح على فترة التوراة التي ذكرناها والتي تقول بأن الله قد استراح في اليوم السابع - ما شاء الله - بعد العمل الذي أنجز في الأيام التي سبقت^(٦).

إن الإشارة في القرآن إلى (ما بين السماوات والأرض) موجودة في الآيات التالية:

(الأنبياء/ ١٦، الدخان/ ٧- ٣٨، النبأ/ ٣٧، الحجر/ ٨٥، الأحقاف/ ٣،

الزخرف/ ٨٥). بديهي قد يبدو هذا الخلق خارج السماوات وخارج الأرض

(٢) سورة طه/ الآية ٦.

(١) سورة الطلاق/ الآية ١٢.

(٤) سورة ق/ الآية ٣٨.

(٣) سورة الفرقان/ الآية ٥٩.

(٥) تفسير القرآن العظيم/ ابن كثير/ ج ٤/ ٢٠٢.

(٦) الظاهرة القرآنية والعلم/ علاء الدين المدرس/ ١٠٩.

والذي أشير إليه مرات عديدة، قد يبدو قليل التصور، ولكن لكي تفهم معاني تلك الآيات يجب الاستعانة بأحدث الملاحظات البشرية حول وجود مادة كونية (خارج المجرات) كما يجب لهذا السبب نفسه، أن نتناول من جديد المعارف التي أثبتتها العلم المعاصر حول تشكيل الكون منتقلين في ذلك من الأبسط إلى الأعمق.

ونلخص النقاط الأساسية التي يعلمنا بها القرآن فيما يتعلق بالخلق وبالاستناد إلى ما سبق فهذه النقاط هي:

١. وجود ست مراحل للخلق عموماً.

٢. تداخل مراحل خلق السماوات مع مراحل خلق الأرض.

٣. خلق الكون ابتداءً من كومة أولية فريدة كانت تشكل كتلة متماسكة تجزأت بعد ذلك.

٤. تعدد السماوات وتعدد الكواكب التي تشبه الأرض.

٥. وجود خلق وسيط (بين السماوات والأرض).

ويحسن بنا في هذا المقام أن نعقد مقابله بين العلم الحديث والمعطيات القرآنية في الخلق:

ولنفحص الآن النقاط الجوهرية الخمس التي يعين القرآن عليها معلومات دقيقة خاصة بالخلق.

(١) تغطي المراحل الست لخلق السماوات والأرض في قول القرآن تكوين الأجرام السماوية وتكوين الأرض والتطور الذي لحق بهذه الأخيرة مما جعلها بأقواتها قابلة لسكنى الإنسان، لقد وقعت الأحداث الخاصة بالأرض في رواية القرآن على أربع مراحل.

ترى أيجب أن نرى في هذه المراحل معادلاً للعصور الجيولوجية التي يصفها العلم الحديث والتي ظهر الإنسان في الرابع منها كما نعلم..؟ ليس هذا إلا مجرد فرض والله أعلم.

ولكن ينبغي ملاحظة أن تكوين الأجرام السماوية والأرض قد تطلب مرحلتين كما يذكر القرآن (فصلت ٩ - ١٢) ويعرفنا العلم بأننا إذا أخذنا كمثال

تكوين الشمس ونتاجها الثانوي أي الأرض نجد أن العملية قد تمت من خلال تكاثف السديم الأولى وانفصالهما وذلك بالتحديد ما يعبر عنه القرآن بشكل صريح عندما يشير إلى العملية التي أنتجت ابتداءً من (الدخان) السماوي (رتقاً ثم فتقاً) إننا نسجل هنا هذا التطابق الكامل بين المعطية القرآنية والمعطية العلمانية.

(٢) أوضح العلم تشابك حدثي تكوين نجم (مثل الشمس) وتابعه أو واحد من توابعه (مثل الأرض) ألا يتضح هذا التشابك في النص القرآني مثلما رأينا..؟.

(٣) إن المطابقة واضحة بين مفهوم السديم الأولى في العلم الحديث والدخان كما يذكر القرآن للدلالة على الحالة الغازية الغالية للمادة التي كونت الكون في هذه المراحل الأولى^(١).

(٤) إن تعدد السماوات الذي عبر عنه القرآن، بالرقم الرمزي (٧) والذي رأينا دلالاته، تؤيده الحقائق المكتشفة عن تعدد العوالم، وذلك يفضل ملاحظات على الفلك عن نظم المجرات وعددها العظيم، وعلى العكس، فإن تعدد الكواكب التي تشبه أرضنا هو مفهوم مستخلص من النص القرآني ولكن لم يثبت العلم وجوده حتى الآن ومع ذلك فيرى المتخصصون أن هذا المفهوم معقول ويتفق مع توقع علماء الفلك.

(٥) يمكن التقريب بين وجود الخلق الوسط بين (السماوات) و(الأرض) المعبر عنه في القرآن وبين اكتشاف جسور المادة توجد خارج النظم الفلكية المنظمة بناء على ذلك فإذا كانت المسائل التي تطرحها رواية القرآن لم تتلقَ تماماً حتى يومنا هذا توكيداً من المعطيات العلمية فإنه لا يوجد على أي حال أقل تعارض بين المعطيات القرآنية الخاصة بالخلق وبين المعارف الحديثة عن تكوين الكون. وذلك أمر يستحق الالتفات إليه فيما يخص القرآن على حين قد ظهر بجلاء أن نص العهد القديم، الذي تملك اليوم، قد أعطى عن هذه الأحداث معلومات غير مقبولة من وجهة النظر العلمية^(٢). وكيف لا تدهش لذلك خاصة إذا علمنا أن النصوص

(١) الظاهرة القرآنية والعلم/ علاء الدين شمس الدين المدرس/ ١١٦.

(٢) المصدر نفسه/ ١١٧. ودراسة الكتب المقدسة/ موريس بوكاي/ ١٧٢.

الأكثر تفصيلية عن رواية الخلق في التوراة قد كتبت بأقلام كهنة عصر النفي إلى بابل، وقد كان لهؤلاء الكهنة الأهداف التشريعية التي حددناها أعلاه فاصطنعوا لتلك الأهداف رواية تتفق ونظراتهم اللاهوتية. إن وجود هذا الاختلاف بين رواية التوراة والمعطيات القرآنية عن الخلق جدير بالتنويه أمام الاتهامات - التي يذكرها المستشرقون - والتي تقول بأن محمداً ﷺ قد نقل روايات التوراة. ففيما يتعلق بموضوع الخلق الذي نحن بصدده الآن. فإن الاتهام لا يتمتع بأي أساس، حيث كيف كان يمكن لإنسان، منذ أربعة عشر قرناً تقريباً، أن يصحح إلى هذا الحد الرواية الشائعة في ذلك العصر، وذلك باستبعاد أخطاء علمية، وبإضافة تفصيلات مهمة بمبادرته وحده بمعطيات أثبت العلم أخيراً صحتها في عصرنا! هذا فرض لا يمكن الدفاع عنه، إن القرآن يعطي عن الخلق رواية تختلف تماماً عن رواية التوراة، ويؤكد مصدره الرباني^(١).



(١) المصدر السابق نفسه/ ١١٧، و١٧٣.

المبحث الثاني قصص الأنبياء

سنبحث في صلب الموضوع المتمحور حول معالم النبوة، وكما وردت في التوراة وكما وردت في القرآن الكريم لندرك مدى التوافق، إن وجد ومدى الاختلاف والتناقض بين ما أوردته التوراة وما أوردته القرآن الكريم. لقد أوردت التوراة أسماء عدد كبير من الأنبياء وكذلك أورد القرآن الكريم عدداً من الأنبياء والأنبياء الذين ورد ذكرهم في التوراة والقرآن، هم:

(آدم، إدريس (أخنوخ)، نوح، إبراهيم، إسماعيل، إسحاق، يعقوب، يوسف، موسى، داود وسليمان، إلياس، وأيوب، وشعيب (يثرون). عليهم السّلام).

أما الأنبياء الذين ورد ذكرهم في التوراة ولم يرد ذكرهم في القرآن الكريم فهم: أشعيا، ارميا، حزقيال، دانيال، صموئيل. والأنبياء الذين ورد ذكرهم في القرآن ولم يذكروا في التوراة صراحةً فهم:

(صالح، يونس، هود، عيسى، محمد، عليهم الصّلاة والسّلام). وقد أوردت التوراة أسماء نساء أدعين أنهن نبيات. مثل مريم أخت موسى وهارون ودبورة التي عاشت في عصر القضاة، وهناك أنبياء وردت أسماؤهم في القرآن الكريم بخلاف أسمائهم الواردة مع أن الأحداث التي مروا بها تتشابه أو تتطابق. مثل اليسع. ذو النون. وذو الكفل. أما آدم عَلَيْهِ السَّلَام فقد ورد في القرآن على أنه نبي وكذلك أكدت نبوته أحاديث الرسول محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

يقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾^(١)

فآدم نبي اصطفاه الله سبحانه وتعالى مثل ما اصطفى نوحاً وبقية الأنبياء وقد

وردت بعض الأحاديث المشيرة إلى نبوته.

وقد أورد القرآن الكريم قصة خلق آدم وفيها طلب الله سبحانه من الملائكة السجود لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر ومعنى السجود احترام ما خلق الله وليس سجد عبادته ثم يورد القرآن الكريم قصة خطأ آدم. وبيّن أن آدم لم يكن له عزم. وعلى هذا قيل إن آدم لم يكن من الأنبياء ذوي العزم على أية حال فإن مهمة آدم ﷺ تبليغ عقيدة التوحيد لأولاده وأحفاده وتميزت منذ بدايتها بالاستغفار لله وطلب الهداية.

ويقول تعالى: ﴿فَلَقَّ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (١).

ويقول تعالى: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّارْتَفَعْنَا لَنَرَّكَ تَعَفُّرًا لَنَا وَتَرَحُّمًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٢).

أما التوراة فلا تشير إلى نبوة آدم وأنه صاحب رسالة. ويقتصر حديثها على أن الرب صنعه من تراب ووضع في جنة عدن شرقاً ثم خلق الله له حواء. ثم أغوت الحية حواء، فأكلت من الشجرة المحرمة، وأطعمت زوجها. ثم غضب الله عليهما وأهبطهما من الجنة إلى الأرض. وفي التراث التوراتي وكذلك التراث المسيحي، إن آدم سبب بخطيئته لعنة الله على الأرض، فقد ورد في رومية ١٢: ٥

(يذكر الرسول بولس أنه بآدم دخلت الخطيئة إلى العالم وبالخطيئة الموت. وهكذا أجتاز الموت إلى جميع الناس).

أما أخنوخ والذي هو إدريس حسب كافة المصادر الإسلامية فإن التوراة تحدثت عنه بشكل عابر جداً فهي تقول (وعاش أخنوخ خمساً وستين سنة وولد متوشالحو. وسار أخنوخ مع الله ولم يوجد لأن الله أخذه) (٣)، أما في القرآن الكريم فقد ورد ذكرنا النبي إدريس ﷺ، وأشارت الآيات إلى نبوته.

يقول تعالى: ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ (٤) ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ (٥).

وقد أثنى ﷺ ووصفه بالنبوة والصدقية ويقال أنه أول نبي أعطي النبوة بعد آدم ﷺ ولم تتضح رسالته وقومه. وإنما الإشارة تقتصر على نبوته. وأن إدريس هو

(٢) سورة الأعراف/ ٢٣.

(١) سورة البقرة/ ٣٧.

(٤) سورة مريم/ الآيتان ٥٦ - ٥٧.

(٣) تك: ٥: ٢١ - ٢٤.

جد نوح عليهما السَّلَام، وقيل هو أول من أعطي النبوة من ولد آدم وبعث بالجهاد^(١).

أما نوح عليه السلام ففي التوراة تفصيل توراتي عنه وقد ذكر في القرآن الكريم في سور عديدة. ويتضح منهج دعوته وطبيعة قومه وقصة بنائه السفينة ثم الطوفان، تشير التوراة إلى صلاح نوح تارة وفساده تارة أخرى، فتقول (كان نوح رجلاً باراً كاملاً في أجياله، وسار نوح مع الله)، وتشير التوراة إلى أن الله تحدث لنوح عن فساد الأرض والبشر: (فقال الله لنوح نهاية كل بشر قد أتت أمامي لأن الأرض امتلأت ظلماً منهم)^(٢).

وهذه الإشارة تبين أن صلة ما كانت موجودة بين الله وبين نوح وهذه الصلة كما نعرف لا تقوم إلا عن طريق الوحي بين الله سبحانه وبين نبي أن التوراة لم تشر إلى نوح على أنه نبي باللفظ إنما الواضح أنها تكنى عن النبوة بقولها - سار مع الله - وتقول التوراة (وبني نوحاً مذبحاً للرب)^(٣). ثم تقول:

(وبارك الله نوحاً ونبيه)^(٤). وقد جاء في سفر التكوين الإصحاح التاسع بعض التشريعات التي فرضها الله على نوح.

تقول التوراة: (غير أن لحماً بحياته دمه ولا تأكلوه. وأطلب أنا دمكم لأنفسكم فقط من يد كل حيوان أطلبه ومن يد الإنسان أطلب نفس الإنسان من يد الإنسان أخيه، سيسفك دم الإنسان بالإنسان يُسفك دمه)^(٥).

وتقول: (وها أنا مقيمٌ ميثاقي معكم ومع نسلكم من بعدكم. ومع كل ذوات الأنفس الحية التي معكم)^(٦)، وقد أشارت التوراة إلى أن نوحاً قد سكر وتعري داخل خبائه.

(أستيقظ نوح من خمرة علم ما فعل به ابنه الصغير فقال ملعون كنعان عبد العبيد يكون لأخوته)^(٧). والفقرات التوراتية التي أشارت لتعري نوح وشربه الخمر

(١) قصص الأنبياء/ ابن كثير/ ٥٩. والبداية والنهاية/ ج ١/ ٩٩. ودائرة معارف القرن العشرين/ محمد فريد وجدي/ ١/ ١١٩.

(٢) تك: ٦: ١٣. (٣) تك: ٨: ٢٠.

(٤) القرآن والتوراة/ حسن باش/ دار قتيبة للطباعة والنشر/ بيروت (ط) ٢٠٠٠ م/ ج ٢/ ١٣٦.

(٥) تك: ٩: ١. (٦) تك: ٩: ٤ - ٧.

(٧) تك: ٩: ٩ - ١٠.

ولعنته لكنعان ملفقة عليه وهي من صنع كتبه التوراة^(١)، وقد ورد الحديث عن النبي نوح عليه السلام في القرآن الكريم في عدد من السور، فقد ورد الحديث عنه في سورة يونس وفي سورة هود. وفي سورة المؤمنون. وفي سورة الشعراء. وفي سورة العنكبوت. وفي سورة الصافات. وفي سورة القمر وردت سورة كاملة باسم سورة نوح. وورد الحديث عنه في سورة النساء. وسورة الأنعام. وسورة التوبة وسورة إبراهيم وسورة الإسراء. وسورة الأحزاب. وسورة غافر. وسورة الشورى. وسورة ق. وسورة الذاريات. وفي سورة النجم. وفي سورة الحديد. وفي سورة التحريم، والآيات التي أشارت إلى نبوته كثيرة.

يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾^(٢).

ويقول تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾^(٣).

ويقول تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٤).

ويقول تعالى: ﴿قَالَ يَفْقَوْمٍ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٥).

فالآيات تشير إلى نبوة نوح ورسالته. وتشير إلى الوحي الذي كان واسطة الرسالة إليه^(٦).

ويعتبر إبراهيم من أكثر الأنبياء الذين تحدثت عنهم التوراة، وتحدث عنهم القرآن الكريم، وفي الاتفاق بين التوراة والقرآن فإن النبي إبراهيم هو أب لإسماعيل وإسحاق، وإسحاق أنجب يعقوب ويعقوب أنجب الأسباط، ويوسف عليهم السلام. وقد ورد ذكر النبي إبراهيم عليه السلام في خمسة وعشرين سورة هي:

(البقرة، وآل عمران، والنساء، والأنعام، والتوبة، وهود، ويوسف، وإبراهيم، والحجر، والنحل، ومريم، والأنبياء، والحج، والشعراء، والعنكبوت، والأحزاب، والصافات، والشورى وص، والزخرف، والذاريات، والنجم، والحديد، والممتحنة، والأعلى).

(٢) سورة الحديد/ الآية ٢٦.

(١) تك: ٩: ٢٤ - ٢٥.

(٤) سورة نوح/ الآية ١.

(٣) سورة النساء/ الآية ١٦٣.

(٦) البداية والنهاية/ ابن كثير/ ج ١/ ١٠٠.

(٥) سورة الأعراف/ الآية ٦١.

وتتضح فيها نبوته، ورسالته، ودعوته لديانة التوحيد، ومنهجه في هذه الدعوة أما في التوراة فإن الحديث عن النبي إبراهيم يظهر مع بداية الإصحاح الثاني عشر من سفر التكوين. حيث تورد قولها المتكرر وقال الرب لإبرام... تقول التوراة في سفر التكوين: (وقال الرب لإبرام أذهب من أرضك وعشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التي أريك)^(١).

وتقول التوراة في سفر التكوين (وقال الرب لإبرام بعد اعتزال لوط عنه)^(٢).
وتقول بعد هذه الأمور صار كلام الرب إلى إبرام في الرؤيا قائلاً لا تخف يا إبرام أنا نرسل لك. أجرك كثيراً جداً)^(٣).

وتقول: (ولما كان إبرام ابن تسع وتسعين سنة ظهر الرب لإبرام وقال له أنا الله القدير. سر أمامي وكن كاملاً فأجعل عهدي بيني وبينك وأكثرك كثيراً جداً)^(٤)، وتقول: (وقال الله لإبراهيم وأما أنت فتحفظ عهدي)^(٥)، وتقول: (وظهر له الرب عند بلوطات ممراً وهو جالس في باب الخيمة وقت حر النهار)^(٦).

وجاء في التوراة: (ونادى ملاك الرب إبراهيم ثانية من السماء قال بذاتي أقسمت يقول الرب)^(٧)، وجاء قبله: (فناداه ملاك الرب من السماء وقال إبراهيم إبراهيم فقال هاأنذا)^(٨).

وجاء فيها: (وشاخ إبراهيم وتقدم في الأيام وبارك الرب إبراهيم في كل شيء)^(٩).
وجاء فيها (وأسلم إبراهيم روحه ومات بشيبة سالحة شيخاً وشبعان أياماً وأنضم إلى قومه)^(١٠).

ونلاحظ أن لفظة النبي وكذلك لفظة النبوة لم تردا في التوراة. إنما الذي دل على نبوته مناداة الله له أو مناداة ملاك الرب، ومن خلال هذه النصوص التوراتية

(٢) تك: ١٣: ١٤.

(١) تك: ١٢ - ١.

(٤) تك: ١٧: ١ - ٣.

(٣) تك: ١٥: ١.

(٦) تك: ١٨: ١.

(٥) تك: ١٧: ٩.

(٨) تك: ٢٢: ١١ - ٢٢.

(٧) تك: ٢٢: ١٥ - ١٦.

(١٠) تك: ٢٥: ٨.

(٩) تك: ٢٤: ١.

نرى أن إبراهيم لم يكن صاحب رسالة أو صاحب دعوة أو صاحب منهج معين في الدعوة ولم تشر التوراة إلى أي رسالة سماوية تلقاها إبراهيم من ربه (١). ولم تتضح أية تعاليم تلقاها إبراهيم من ربه وكذلك لم نر أي تشريعات خاصة بديانة التوحيد ومن هنا نستطيع القول أن نبوة إبراهيم حسبما جاءت معالمها في التوراة هي نبوة ناقصة فيها عنصران هامان وتفتقد إلى عدة عناصر:

(أ) عنصر الكلام بينه وبين الله والوحي.

(ب) انصياعه لأمر الله في بعض القضايا واعتراف التوراة بأخلاقه الحميدة بينما تفتقد نبوته إلى:

(١) الرسالة التي من المفترض أن يكون تلقاها من ربه.

(٢) الدعوة إلى عقيدة التوحيد.

(٣) منهج الدعوة كما عهدناها عند الرسل والأنبياء.

وإذا عدنا إلى آيات القرآن الكريم تتضح لنا معالم النبوة كاملة متكاملة والآيات نفسها تبين ذلك.

يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾ (٢).

ويقول تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ (٣).

وهذا يدل صراحة بأن إبراهيم عليه السلام كان نبياً وصادقاً ودليل الرسالة التي تلقاها إبراهيم عليه السلام من ربه هو. قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ (٤) صُفِّ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى عليهما السلام.

أخرج عبد بن حميد وابن مردويه وابن عساكر عن أبي ذر رضي الله عنه قال: (قلت يا رسول الله كم أنزل الله من كتاب قال: مائة كتاب وأربع كتب. أنزل على شيت خمسين صحيفة، وعلى إدريس ثلاثين صحيفة، وعلى إبراهيم عشر صحائف وعلى

(١) القرآن والتوراة أين يتفقان؟ وأين يفتقران؟/ حسن الباش/ ٢/ ١٣٧.

(٢) سورة الأنبياء/ الآية ٥١. (٣) سورة مريم/ الآية ٤١.

(٤) سورة الأعلى/ الآيات ١٨ - ١٩.

موسى قبل التوراة عشر صحائف وأنزل التوراة والإنجيل والزرور والفرقان. قلت يا رسول الله فما كانت صحف إبراهيم؟.

قال: أمثال كلها. أيها الملك المتسلط المبتلى المغرور لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض. ولكن بعثتك لترد عني دعوة المظلوم فإني لا أردّها ولو كانت من كافر. وعلى العاقل ما لم يكن مغلوباً على عقله أن يكون ثلاث ساعات: ساعة يناجي فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه ويتفكر فيما صنع، وساعة يخلو فيها لحاجته من الحلال فإن في هذه الساعة عوناً لتلك الساعات واستجماعاً للقلوب وتفريغاً لها. وعلى العاقل أن يكون بصيراً بزمانه مقبلاً على شأنه حافظاً للسانه، من حسب كلامه من عمله أقل الكلام إلا فيما يعنيه وعلى العاقل أن يكون طالباً لمعاش أو تزود لمعاد أو تلذذ في غير محرم.. قلت يا رسول الله: هل أنزل عليك شيء مما كان في صحف إبراهيم وموسى. قال: يا أبا ذر نعم: ﴿إِنَّ هَذَا لَنِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴿١٩﴾﴾ (١)

أما قصة إبراهيم عليه السلام فهي الدليل على رفضه عبادة الأصنام ودعوته للتوحيد ثم جداله مع من أدعى الألوهية ثم هجرته بدعوته تاركاً قومه إلى قوم آخرين ثم بنائه للبيت الحرام ودعوة الناس للحج تلبية لأمر الله ثم إقراره لأمر الله بذبح ابنه (٢). فرفضه لعبادة الأصنام ظهر في عدة مواقع من القرآن الكريم يقول تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿٢١﴾﴾ (٣).

ويقول تعالى: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدْرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ (٤).

وقوله تعالى في نجاته: ﴿وَبَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾﴾ (٥). ومحاجته للملك الذي أدعى الألوهية.

(١) الدر المنثور في التفسير المأثور، السيوطي/ ج ٦/ ٥٧١.

(٢) قصص الأنبياء، لأبن كثير/ ١٥٩. والبداية والنهاية/ ج ١/ ١٥٧.

(٣) سورة الأنبياء/ الآية ٥٢. (٤) سورة الأنبياء/ الآية ٥٧ - ٥٨.

(٥) سورة الأنبياء/ الآية ٧١.

يقول تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُعْبَدُ وَيُعْبَدُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّكَ اللَّهُ يَأْتِي بِالسَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾ (١).

أما هجرته بعقيدته ففي قوله تعالى: ﴿فَمَنْ لَمْ يُطِئْ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٥٩﴾﴾ (٢).

أما انصياعه لأمر ربه في ذبح ابنه ففي قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعَىٰ فَكَانَ يَبْتُلِيٰ إِنِّي آرئِي فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَدَّبَّتُ فَعَلْتُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٦٠﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿٢٦١﴾ وَتَدَبَّرْنَا أَن نَّبْتَرِيَهُ ﴿٢٦٢﴾ فَدَصَقَتْ الرَّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٦٣﴾﴾ (٣).

وهذه الدلالات لا وجود لها في التوراة. سوى ما حرفت فيه من أن الذبيح هو النبي إسحاق عليه السلام (٤).

أما بناؤه البيت الحرام فهو دليل آخر على نبوته لأن بناء البيت يعني تأسيس عبادة للموحدين جميعهم يقول تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِن دُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾﴾ (٥). ويقول تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿١٢٩﴾ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿١٣٠﴾﴾ (٦).

وترتبط نبوة النبي إبراهيم عليه السلام ونبوة ولديه إسماعيل وإسحاق باعتبار أنهما عاشا مع النبي إبراهيم زمناً طويلاً، أما إسماعيل عليه السلام فقد ورد ذكر نبوته صراحة في القرآن الكريم.

يقول تعالى: ﴿وَأذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿١٢٦﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴿١٢٧﴾﴾ (٧).

- (١) سورة البقرة/ الآية ٢٥٨. (٢) سورة العنكبوت/ الآية ٢٦. (٣) سورة الصافات/ الآية ١٠٢-١٠٥. (٤) مقارنة الأديان اليهودية/ د. أحمد شلبي، قصص الأنبياء/ ابن كثير/ ١٦٢. (٥) سورة البقرة/ الآية ١٢٧-١٢٨. (٦) سورة الحج/ الآية ٢٦-٢٧. (٧) سورة مريم/ الآية ٥٤-٥٥.

أما في التوراة فيرد حديث إسماعيل ليس فيه ما يدل على اعترافها بنبوته فقد ورد قولها: (وأما إسماعيل فقد سمعتُ لك فيه ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيراً جداً)^(١).

وجاء في التوراة: (فسمع الله صوت الغلام. ونادى ملاك الله هاجر من السماء وقال لها مالك يا هاجر لا تخافي لأن الله قد سمع لصوت الغلام حيث هو قومي أحملني الغلام وشدي يدك به لأنني سأجعله أمة عظيمة)^(٢). وهذا الحديث الذي تكتفي به التوراة لا يشير من قريب أو بعيد إلى عقيدة إسماعيل أو نبوته أو رسالته أو أي دليل يدل على أنه نبي مرسل. أما في القرآن الكريم فقد أوضحت الآيات الكريمة الأمور التالية:

(١) إسماعيل نبي بصراحة اللفظ في القرآن الكريم.

(٢) يقول الله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾^(٣). فمهمة إسماعيل إقامة الصلاة التي تعني رمزاً من رموز عقيدة التوحيد.

(٣) اشتراك إسماعيل مع أبيه إبراهيم بإقامة قواعد البيت الحرام، وتعني إقامة البيت بناء صرح خاص لعقيدة التوحيد^(٤).

وهذا الصرح يرتبط بركن من أركان عقيدة الإسلام وهو الحج. يقول تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(٥).

(٤) واستقرار إسماعيل في وادي مكة يعني أن مهمته متابعة الدعوة التوحيدية التي بدأها أبوه في الخليل وما جاورها.

(٥) وقد صدق إسماعيل رؤيا أبيه وانصاع لأمره حين أمره أن يستعد للذبح.

(٦) طالما أن القرآن الكريم أشار إلى صحف إبراهيم فمن الحق أن يقال: إن

(١) تك/١٧: ٢٠.

(٢) سورة إبراهيم/ الآية ٣٧.

(٣) تك/ ٢١: ١٧ - ١٩.

(٤) دائرة معارف القرن العشرين/ محمد فريد وجدي/ دار المعرفة للطباعة والنشر/ بيروت - لبنان/ ط٣/ ١٩٧١/ المجلد الأول/ ١٠.

(٥) سورة البقرة/ الآية ١٢٧.

إسماعيل علم التشريعات التي وردت في هذه الصحف وطالما أشار القرآن الكريم إلى نبوته فهذا يعني أن رسالة التوحيد تعلمها على يد أبيه واستمر عليها.

أما إسحاق فقد ذكر القرآن الكريم نبوته صراحة وذلك في قوله تعالى: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾﴾^(١).

أما في التوراة فقد وردت قصة إسحاق من مولده إلى وفاته والإشارة إلى كرامة إسحاق في التوراة واضحة دون تلفظ النبوة الخاصة به.

تقول التوراة: (وأباركها وأعطيك أيضاً منها ابناً)^(٢)، وتقول: (فقال إني أرجع إليك نحو زمان الحياة ويكون لسارة امرأتك ابن)^(٣)، وتقول: (وأفتقد الرب سارة كما قال وفعل الرب لسارة كما تكلم فحبلت سارة وولدت لإبراهيم ابناً في شيخوخته)^(٤)، وتقول: (وصلى إسحاق إلى الرب لأجل امرأته لأنها كانت عاقراً فاستجاب له الرب فحبلت رقيقة امرأته)^(٥)، وتقول: (وظهر له الرب وقال لا تنزل إلى مصر)^(٦)، وتقول: (فظهر له الرب في تلك الليلة وقال أنا إله إبراهيم أبيك لا تخف لأنني معك وأباركك وأكثر نسلك من أجل إبراهيم عبدي)^(٧).

فإسحاق منحة من الله سبحانه لإبراهيم بعد أن شاخ وهرم وبيشّر الله إبراهيم وزوجته بالكلام الذي ستحمل به سارة^(٨).

وإسحاق يصلي لله سبحانه ويدعوه أن تنجب امرأته فاستجاب الله له، وقد ظهر له الرب. أو ملاك الرب في الرؤيا بمعنى أن هناك صلة بينه وبين الله ويأتي نص التوراة صريحاً بقول الله سبحانه أنا إله إبراهيم أبيك.

وكل ذلك يعني أن إسحاق سار على منهج التوحيد الذي كان عليه أبوه النبي إبراهيم.

(١) سورة الصافات/ الآية ١١٢ - ١١٣.

(٢) تك/ ١٧: ١٦.

(٣) تك/ ١٨: ١٠.

(٤) تك/ ٢٥: ٢١.

(٥) تك/ ٢٦: ٢٤.

(٨) قصص الأنبياء/ ابن كثير/ ١٦٥، القران والتوراة أين يتفقان وأين يفترقان/ حسن الباش/ ١٤٣/٢.

- (١) فولاته معجزة من الله باعتبار أن أمه كانت عجوزاً حين حملت به وولدت.
- (٢) وقد رأى الله سبحانه بالرؤيا أو سمع كلامه، أو أوحى له حسب قول التوراة.
- (٣) وقد صلى لله وهذه صفة من صفات الموحدين.

أما في القرآن الكريم فيرد أن ملائكة الله سبحانه بشرته بسلام بغيره (١)، ويقول تعالى: ﴿وَبَشِّرُوهُ بَعْلَانِمْ عَلِيمٍ﴾ (٢). ويقول تعالى: ﴿قَالُوا أَنْتَعَجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾ (٣)، ويقول تعالى: ﴿قَالُوا بَشَرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ﴾ (٤).

ولم يصرح القرآن الكريم برسالة ما كلف بها إسحاق، وكذلك لم تنص التوراة على ذلك وكان تركيزها على الوعد الذي زعمته بامتلاك إسحاق ونسله لأرض كنعان وهذا ليس له صلة بنبوة أو رسالة، وتشير التوراة إلى وفاته بقولها: (فأسلم إسحاق روحه ومات وأنضم إلى قومه شيخاً وشبعان أياماً ودفنه عيسو ويعقوب ابناه) (٥).

أما لوط عليه السلام، فهناك تناقض كبير حوله فيما ورد في التوراة وفيما ورد في القرآن الكريم، فقد ورد في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿فَقَامَ لَهَا لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٦).

ويقول تعالى: ﴿كَذَبَتْ قَوْمٌ لُوطَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (٧) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا نَتَّقُونَ ﴿١١٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١١٧﴾ (٧).

ويقول تعالى: ﴿وَإِنَّ لُوطاً لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (٨) إِذْ بَخَّيْتَهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١١٤﴾ (٨).

فلوط نبي مرسل وهذا ما صرحت به آيات القرآن الكريم، وقد أرسل إلى قومه لأسباب كثيرة: إتيانهم الفاحشة وهي اللواط وقطع السبيل، والإتيان بالمنكر في ناديهم، وتكذيبهم للرسول.

لقد بدأت رحلة الإيمان لدى النبي لوط عليه السلام منذ أن هاجر مع إبراهيم عليه السلام

- (١) المصدر نفسه/ ١٦٦.
- (٢) سورة الذاريات/ الآية ٢٨.
- (٣) سورة هود/ الآية ٧٣.
- (٤) سورة الحجر/ الآية ٥٥.
- (٥) سورة العنكبوت/ الآية ٢٦.
- (٦) سورة الشعراء/ الآية ١٦٠ - ١٦١.
- (٧) سورة الشعراء/ الآية ١٦٠ - ١٦١.
- (٨) سورة الصافات/ الآية ١٣٣ - ١٣٤.

من أور إلى الأرض التي باركها الله للعالمين. وكانت مهمته كنبى إبعاد قومه عن تكذيب الرسل والرسالات. وإبعادهم عما ينافي الأخلاق الحميدة ومن ثم نهيهم عن قطع السبيل وكانت العاقبة أن نجاه الله ودمر قومه تدمير كاملاً^(١).

أما التوراة فتورد أن الملاكين قد أتيا إلى سدوم (فلما رأهما لوط قام لاستقبالهما وسجد بوجهه إلى الأرض)^(٢)، وتقول التوراة (فقال لهما لوط لا يا سيد هُوذا عبدك قد وجه نعمه في عينيك وعظمت لطفك الذي صنعت إلي باستبقاء نفسي)^(٣)، ولكن التوراة لا تشير إلى الصراع بين لوط وقومه سوى ما حدث عندما جاءه الملكان وحاول قومه خلع باب بيته للوصول إلى الملكين اللذين على هيئة رجلين. ومع ذلك فأنها تلفق على لوط ما يتنافى وأبسط قواعد السلوك البشري^(٤).

ولم تمنحه أية عصمه بشرية أخلاقية، حيث قالت أنه زنى بابنتيه بعد أن سقته خمرًا حتى ثمل وحملتا منه، فلا علائم للنبوة ولا صفات إنسانية أخلاقية حميدة، إنما إلصاق التشويهات بشخص لا صلة بينه وبين ربه، أو عقيدة التوحيد التي تعلمها أساساً من عمه النبي إبراهيم عليهما السَّلام.

أما يعقوب فتتوسع الدائرة في الحديث عن نبوته إن كان ذلك في التوراة أو في القرآن الكريم.

تورد التوراة أن إسحاق بارك يعقوب ولكن هذه المباركة لم تتم إلا عن طريق الخدعة حيث كان إسحاق قد فقد بصره وكان يحب ابنه الأكبر عيسو ويريد مباركته ولكن أم يعقوب تأمرت مع ابنه ليكذب على أبيه وينال بركته، وكل ذلك موجود بالتفصيل في التوراة^(٥).

وتقول التوراة: (ورأى حلمًا وإذا سلم منصوبة على الأرض ورأسها يمس السماء وهوذا ملائكة الله صاعدة ونازلة عليها، وهوذا الرب واقف عليها فقال أنا

(١) قصص الأنبياء/ ابن كثير/ ١٩٢، دائرة معارف القرن العشرين/ ج/ ٨/ ٣٨٤.

(٢) تكوين ١٩ - ٢ (٣) تكوين ١٩: ١٨ - ١٩.

(٤) القرآن والتوراة/ حسن الباش/ ٢/ ١٤٥. (٥) المصدر نفسه/ ٢/ ١٤٥.

الرب إله إبراهيم أبيك وإله إسحاق^(١)، وتقول: (وها أنا معك أحفظك حيثما تذهب وأردك إلى هذه الأرض لأنني لا أتركك حتى أفعل ما كلمتك به)^(٢). وتقول: (وقال لي ملاك الله في الحلم يا يعقوب....)^(٣)، وتقول: (وأما يعقوب فمضى في طريقه ولاقاه ملائكة الله، وقال يعقوب إذ رآهم هذا جيش الله)^(٤)، وتقول: (وقال يعقوب يا إله أبي إبراهيم وإله أبي إسحاق الرب الذي قال لي ارجع إلى أرضك وإلى عشيرتك فأحسن إليك)^(٥)، وتقول: (ثم قال الله ليعقوب ثم أصدد إلى بيت أيل وأقم هناك وأصنع هناك مذبحاً لله الذي ظهر لك حين هربت من وجه عيسو أخيك)^(٦)، وتقول: (فقال يعقوب لبيته ولكل من كان معه اعزلوا الآلهة الغريبة التي بينكم وتطهروا وأبدلوا ثيابكم)^(٧).

وتقول: (وظهر الله ليعقوب أيضاً حين جاء من فدان آرام وباركه وقال له الله أسمك يعقوب لا يدعى أسمك فيما بعد يعقوب بل يكون أسمك إسرائيل)^(٨)، وتقول: (وقال له الله أنا الله القدير أثمر وأكثر، أمة وجماعة أمم تكون منك)^(٩)، وتقول: (فكلم الله إسرائيل في رؤى الليل وقال: يعقوب فقال هاأنذا فقال أنا الله إله أبك لا تخف من النزول إلى مصر)^(١٠).

فمن خلال النصوص التي مرت معنا، نرى أن إسحاق النبي بارك ابنه يعقوب ثم أن الرؤيا تكررت لدى يعقوب، رأى من خلالها ملائكة الله وسمع من خلالها نداء ربه، ويرد أن الله تعهد له بحفظه وأمره عدة أوامر فنفذها يعقوب تلبية لنداء ربه، ثم إن يعقوب يدعو أهله وبنيه لعبادة الله الواحد وعدم الإيمان بالآلهة الوثنية التي اعتبرتها التوراة غريبة عن إله يعقوب.

ثم إن الله سبحانه كلم يعقوب وغير اسمه إلى إسرائيل وهذه الكلمة تعني عبد الله، وجميع هذه المعالم هي من صفات النبوة عند يعقوب، إلا إن التوراة لم

(٢) تك/٢٨: ١٥.

(١) تك/٢٨: ١٢ - ١٣.

(٤) تك/٣١: ٢.

(٣) تك/٣١: ١١.

(٦) تك/٣٥.

(٥) تك/٣٢: ٩.

(٨) تك/٣٥: ٩ - ١٠.

(٧) تك/٣٥: ٢.

(١٠) تك/٤٦: ٢ - ٣.

(٩) تك/٣٥: ١١.

تشر صراحة إلى نبوته ولا إلى رسالته ودعوته ولهذا ما رأيناه أيضاً من التوراة حيث تحدثت عن بقية الأنبياء^(١).

أما يعقوب في القرآن الكريم فتتضح معالم شخصيته النبوية بشكل آخر.

يقول تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (١١٢) إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١١٣﴾ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَبْنَئِي إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمْ الَّذِينَ فَلَا تَمُوتُونَ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١١٤﴾^(٢).

ويقول تعالى: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَجِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (١١٥) تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ آتَتْكُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ^(٣).

فمن خلال الآيات السابقة ندرك أن يعقوب تلقى ديانة التوحيد عن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق، ثم وصى يعقوب نفسه بنيه أن يظلوا على ديانة التوحيد فالله واحد أحد. والإيمان بوحديته هو إيمان متصل لا انقطاع فيه. ويقول تعالى: ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (١١٦)^(٤). فهذه الآية توضح ثلاث نقاط تتعلق بنبوته يعقوب.

(١) إن الله أنزل على إبراهيم وأبنائه ويعقوب والأسباط وموسى وعيسى رسالة التوحيد.

(٢) هؤلاء لهم صلة بالنبوة.

(٣) عقيدتهم وعقيدة أتباع الرسول ﷺ واحدة وهي عقيدة التوحيد ويقول تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾ (١١٧) وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴿١١٨﴾^(٥).

فالواضح من الآية أن يعقوب مثل إسحاق وإبراهيم إمام في النبوة. وأوحي له

(٢) سورة البقرة/ الآية ١٣٠ - ١٣٢.

(١) القرآن والتوراة/ حسن الباش/ ١٤٦/ ٢.

(٤) سورة البقرة/ الآية ١٣٦.

(٣) سورة البقرة/ الآية ١٣٣.

(٥) سورة الأنبياء/ الآية ٧٢ - ٧٣.

كما أوحى للأنبياء قبله. وطبيعة الوحي أمر من الله بفعل الخيرات وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وعبادة الله الواحد الأحد.

ويقول تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآدَمَ وَدَاوُدَ زُبُورًا﴾ (١).

فظاهرة الوحي تخص الأنبياء ويعقوب أوحى له كما أوحى لغيره من الأنبياء. ويضاف إلى ذلك أن النبي يعقوب ابتلي بتغيب ابنه يوسف من قبل إخوته وصبر على المصيبة التي حلت به وقال في معرض صبره (٢). وقال تعالى: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ (٣).

ويقول تعالى: ﴿وَمَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ (٤). ويقول تعالى: ﴿يَنْبَغِي أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوْسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ (٥).

فهذه الآيات تشير أيضاً إلى الإيمان الراسخ لدى النبي يعقوب عليه السلام، وهذا الإيمان لا يتحلى به سوى الأنبياء ومن سار على منهجهم.

والتفاصيل التي جاء على ذكرها القرآن الكريم لم نرها في التوراة. وعلائم النبوة التي رأيناها في آيات القرآن الكريم هي بمثابة الأدلة المتكاملة على نبوة متكاملة وتطالعنا نبوة النبي يوسف عليه السلام بعد النبي يعقوب عليه السلام باعتبار أن هذا النبي ورث عن أبيه وجده إسحاق والنبي الأسبق إبراهيم عليه السلام وقد وردت آيات كريمة تدل على نبوته. يقول الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْنِبُكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَنْتَمَآ عَلَىٰ آبَائِكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (٦).

ويجتبئك ربك ويصطفيك ثم يفهمك من معنى الكلام وتعبير المنام مالا

(١) سورة النساء/ الآية ١٦٣.

(٢) قصص الأنبياء/ ابن كثير/ ٢٢٤، دائرة معارف القرن العشرين/ محمد فريد وجدي/ ج ١٠/ ٩٤٢-٩٤٣.

(٣) سورة يوسف/ من الآية ٦٧.

(٤) سورة يوسف/ من الآية ١٨.

(٥) سورة يوسف/ الآية ٦.

(٦) سورة يوسف/ الآية ٨٧.

يفهمه غيرك ويتم نعمته عليك بالوحي، ويحسن إليك بالنبوة كما أحسن بها إلى إسحاق وإبراهيم، وقد أوحى الله ليوسف في عدة مواقع^(١).

يقول تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾^(٢).

يقول تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾^(٣).

وإتيان الحكمة والعلم من دلائل النبوة بعد أن أكتمل يوسف وأصبح مهياً للنبوة وقد عصمه الله من الفحشاء عندما راودته امرأة العزيز، فهو من سلالة الأنبياء وقد حماه الله من مكر النساء.

وقد دعا يوسف صاحبيه في السجن إلى عبادة الله الواحد الأحد، وكانت دعوته لهما في هذا الحال في غاية الكمال.

يقول تعالى: ﴿يَصْحَجِي السَّجْنَءَ رَبَّابٌ مُتَّفِقُونَ حَبْرٌ أَمْرُ اللَّهِ الْوَحِيدُ الْقَهَّارُ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الَّذِينَ الْقَتِمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٤).

فهذه الدلالات إضافة لمسيرة حياة يوسف وهو يعمل عند ملك المصريين تدل بشكل واضح على نبوته، أما في التوراة فتظهر كرامات يوسف وحرصه على عقيدته وأخلاقه من خلال رفضه ما دعت إليه امرأة قائد الحرس لدى ملك المصريين ودخوله السجن، ثم مقدرته على تفسير الأحلام، ثم عفوه عن أخوته الذين أتوا إلى مصر بسبب المجاعة ليأخذوا القمح من ذويهم^(٥).

لكن التوراة لم تشر إلى نبوة يوسف لا من قريب ولا من بعيد ولم تشر إلى دعوته إلى عقيدة التوحيد التي كلفه الله بها كما كلف الله بها آباءه وأجداده.

وبموت يوسف عليه السلام وتنتهي مرحلة مهمة من مراحل النبوة الأولى التي بدأت بإبراهيم عليه السلام وانتهت بيوسف عليه السلام.

وعندما نتوقف عند النبي موسى سنرى الوضع يختلف تماماً فسيارة موسى

(١) قصص الأنبياء/ ابن كثير/ ٢٤٤، دائرة معارف القرن العشرين/ محمد فريد وجدي/ ج ١٠/ ٩٤٣.

(٢) سورة يوسف/ الآية ١٥. (٣) سورة يوسف/ الآية ٢٢.

(٤) سورة يوسف/ الآية ٣٩ - ٤٠. (٥) القرآن والتوراة/ حسن الباش/ ١٥٠/ ٢.

تأخذ مساحة واسعة في التوراة وكذلك في القرآن الكريم، ومعالم نبوته تكاد تتطابق في ما بين التوراة والقرآن الكريم.

وتعتبر شخصية النبي موسى من أهم الشخصيات النبوية في تأريخ الأنبياء، وذلك لأسباب كثيرة أهمها:

(١) إن النبي موسى صاحب رسالة ونزل عليه كتاب هو التوراة وهو من بين أربعة كتب نزلت على أنبياء مشهورين، وهي التوراة والزبور والإنجيل والقرآن. وقد وضحت التوراة تشريعات دينية كثيرة وهي مبثوثة في أسفار الخروج واللاويين والعدد والثنية.

(٢) إن النبي موسى كلم الله سبحانه وتعالى، وهذا ما نصت عليه التوراة ونص عليه القرآن الكريم إضافة لما أوحى إليه بواسطة الوحي أو ملاك الرب كما تقول التوراة.

(٣) إن النبي موسى ظل على رسالته مجاهداً موحداً على الرغم مما لاقاه من بني إسرائيل من كفرٍ وانحرافٍ ونفاق.

(٤) لقد صرح القرآن الكريم وكذلك التوراة بنبوته بل إن التوراة لم تصرح بنبوة أحد من الأنبياء الأوائل سوى موسى ﷺ.

(٥) وفي القرآن الكريم وكذلك في التوراة قصة وضع موسى في صندوق وإلقائه في اليمّ ونجاته بقدرة الله.

(٦) في القرآن الكريم يرد أن الله اصطفاه نبياً لنفسه.

(٧) في القرآن الكريم منهج نبوي واضح لدى موسى خاصة في الدعوة إلى ديانة التوحيد وهنا يوجد اختلاف بين القرآن الكريم والتوراة حيث أن التوراة تركز على أمر واحد وهو إنقاذ بني إسرائيل من ظلم بني فرعون^(١).

يقول تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَمْرَ مُوسَىٰ أَنَّ أَرْضِيهِ فَإِذَا خِيفَتْ عَلَيْهِ فَكَلَّمْنَاهُ فِي آيَاتِنَا وَلَا تَخَافِ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾^(٢).

ويقول تعالى: ﴿أَن آفَظِيهِ فِي التَّابُوتِ فَأَقْدِفِيهِ فِي آيَاتِنَا﴾^(٣).

ففي الآيتين السابقتين إشارة واضحة إلى أن موسى ﷺ سيكون من

(١) القرآن والتوراة/ حسن الباش/ ٢/ ١٥١. (٢) سورة القصص/ الآية ٧.

(٣) سورة طه/ الآية ٣٩.

المرسلين وأنه قد رعاه الله رعاية خاصة واصطفاه.

يقول تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾﴾^(١).

وهذه طبيعة رسالة التوحيد فالله سبحانه يهيئ من يريده أن يكون نبياً، ثم عندما يبلغ أشده ويصبح مؤهلاً لتحمل الرسالة يؤتیه الله الحكمة والعلم والحكم، ويقول تعالى: ﴿فَلَيْسَتْ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَيَّ قَدَرًا يُمُوسَىٰ ﴿١٦﴾﴾^(٢).

وقد منّ الله على موسى ﷺ بأن منحه معجزة العصا، ومعجزة يده التي أمره الله أن يدخلها في جيبه فتخرج بيضاء^(٣).

يقول تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ يَمِينُكَ يَمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَنَازِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلَيْهَا يَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ قَالَ لَقَدْهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَعِيدٌ هَاسِرٌ تَهَاوَىٰ الْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَأَضْمَمَ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾﴾^(٤).

وقد عرف عدد من الأنبياء بمعجزات يقومون بها بأذن الله ومعجزة موسى ﷺ كانت في العصا وفي يده. ويقول تعالى: ﴿وَأَتَيْنَا مُوسَىٰ الْكَلْبَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَنْجِدُوا مِنْ دُونِي وَكَيْلًا ﴿١٠﴾﴾^(٥)، ويقول تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَمُوسَىٰ ﴿١١﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَانْحَرْ لِعَالِيكَ إِنَّا بِالْوَالِدِ الْمُقَدَّسِ طُوبَىٰ ﴿١٢﴾ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ﴿١٣﴾ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٤﴾﴾^(٦). ناداه وكلمه دون وحي لذلك يقال موسى كلیم الله، استناداً إلى قوله تعالى: ﴿وكلم موسى تكليماً﴾. ويبين القرآن الكريم دعوة موسى إذ يقول تعالى: ﴿أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿١٧﴾﴾^(٧)، فموسى ﷺ دُعمت نبوته بكتاب وهو التوراة.

ويقول على لسان موسى: ﴿كَيْ تَسْبَحَكَ كَثِيرًا ﴿٢٣﴾ وَنَذْرَكَ كَثِيرًا ﴿٢٤﴾ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٢٥﴾﴾^(٨) قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَمُوسَىٰ ﴿٢٦﴾﴾^(٨).

(١) سورة القصص/ الآية ١٤.

(٢) قصص الأنبياء/ ابن كثير/ ٣١٣-٣١٤، ودائرة معارف القرن العشرين/ محمد فريد وجدي/ ٩/ ٥٥٠.

(٣) سورة طه/ الآية ١٧-٢٢.

(٤) سورة طه/ الآية ١١-١٤.

(٥) سورة طه/ الآية ٣٣-٣٦.

ومن علاقات نبوة موسى ﷺ قوله تعالى: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فِتْمٍ مِيقَتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾^(١).

وقد امتازت نبوة موسى ﷺ بإيذاء بني إسرائيل له، يقول تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تَقُولُونَ لِمَ تَقُولُونَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾^(٢).

فمن سمات الأنبياء أن أقوامهم كانوا يعاندونهم ويؤذونهم ويتمردون عليهم.

ويقول تعالى: ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِذْ كَانَ مُخْلِصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾^(٣) وَنَدْبَتُهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَوَقَّيْنَهُ نَجِيًّا^(٤) وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا^(٥) . وفي هذه الآية وغيرها من الآيات إشارة واضحة إلى نبوة موسى ﷺ وكذلك نبوة هارون ﷺ، أما في التوراة فتتجلى نبوة موسى ﷺ على الشكل التالي:

(١) (وظهر له ملاك بلهيب نار من وسط عليقة)^(٤)، (فلما رأى الرب أنه مال لينظر ناداه الله من وسط العليقة وقال موسى: فقال: هاأنذا فقال: لا تقترب إلى هاهنا اخلع حذاءك من رجلتك لأن الموضع الذي أنت واقف عليه أرض مقدسة، ثم قال: أنا إله أبيك إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب)^(٥). وتقول التوراة: (فقال له الرب: ما هذه في يدك، فقال: عصا قال: أطرحتها إلى الأرض فطرحها إلى الأرض فصارت حية فهرب موسى منها ثم قال الرب لموسى: مد يدك وامسك بذنبها...)^(٦)، ثم قال له الرب أيضاً: أدخل يدك في عبك فأدخل يده في عبه ثم أخرجها فإذا يده هي بيضاء مثل الثلج)^(٧).

ومن علامات النبوة أيضاً أن بني إسرائيل تدمروا على موسى وكادوا يقتلونه ولهذا ما وجدناه في آيات القرآن الكريم أيضاً^(٨). تقول التوراة: (وتدمر الشعب على

(١) سورة الأعراف/ الآية ١٤٢ .

(٢) سورة مريم/ الآية ٥١ - ٥٣ .

(٣) خروج ٣: ٤ - ٦ .

(٤) خروج ٧٤: ٦ - ٤ .

(٥) حكى الله تعالى عن تدمر هؤلاء على موسى بقوله: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَارْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ [المائدة ٧٠] .

موسى وقالوا: لماذا أصعدتنا من مصر لتميتنا وأولادنا ومواشينا بالعطش فصرخ موسى إلى الرب قائلاً: ماذا أفعل بهذا الشعب بعد قليل يرحمونني^(١). وعن توراة موسى تقول التوراة: (فانصرف موسى ونزل من الجبل وكوِّحاً الشهادة في يده)^(٢).

وتقول التوراة في نبوة موسى: (ولم يُقم بعد نبي في بني إسرائيل مثل موسى الذي عرفه الرب وجهاً لوجه في جميع الآيات والعجائب التي أرسله الرب ليعلمها في أرض مصر بفرعون وبجميع عبده وكل أرضه)^(٣). وقد تكررت عبارة وكلم الرب موسى في هذا السفر عشرات المرات، لتؤكد أن موسى ﷺ كان يكلم الله تكليماً في أغلب أوقاته دون وحي، وقد وردت بعض المقاطع في التوراة تدل على أن موسى ﷺ قد التقى ملاك الرب.

ومما مر معنا في نصوص القرآن الكريم وفي نصوص التوراة نستدل على أن هناك اتفاقاً شبه كامل فيما ورد في الحديث عن النبوة لدى موسى ﷺ، أما منهج الدعوة عنده فهو مجال اختلاف جذري بين الذي ورد في التوراة وما ورد في القرآن الكريم^(٤).

أما النبي هارون ﷺ فقد ورد الحديث عنه في سياق آيات القرآن الكريم وفي نصوص التوراة.

وقد ورد الحديث عن نبوته صراحة في آيات القرآن الكريم، يقول الله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا﴾^(٥). وقد كانت رسالته رسالة التوراة التي أنزلت على النبي موسى ﷺ وقد رافقه في معظم حياته النبوية، حيث ترافقا معاً في دعوة فرعون إلى ديانة التوحيد وكان موسى ﷺ يلقنه تعاليم التوراة يوماً بعد يوم، غير أن التوراة لم تُشر إلى نبوة هارون بل اتهمته بأنه هو الذي كان وراء صنع العجل الذهبي الذي عبده بنو إسرائيل أثناء غياب موسى ﷺ للقاء ربه.

وادعت التوراة أن هارون كان وراء مقتل أخيه حسب ادعاء بني إسرائيل، وعندما نصل إلى معالم النبوة عند النبي داود ﷺ نجد أن القرآن الكريم يشير إلى

(٢) خروج: ٣٢: ١٥.

(١) خروج ١٧: ٣-٤.

(٤) القرآن والتوراة/ حسن الباش/ ٢/ ١٥٤.

(٣) تثنية ٣٤: ١٠-١٢.

(٥) سورة مريم/ الآية ٥٣.

أن الله سبحانه منحه النبوة والملك، وقد أنزل الله عليه كتاباً اسمه الزبور، إلا أن التوراة ركزت على ملكه، واستثنت الحديث عنه كنبى له رسالة وله منهج^(١).

يقول تعالى: ﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ﴾^(٢).

ويقول تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾^(٣).

ويقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّنَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زُبورًا﴾^(٤).

وهذه الآيات الكريمة تشير إلى نبوة داود بشكل واضح، وتشير أيضاً إلى أن الله سبحانه أنزل على داود كتاباً اسمه الزبور. ومن علامات تأييد الله سبحانه لنبوة داود تسخير الجبال والطير يسبحن له. يقول تعالى: ﴿مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾^(٥).

ويقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَنْجِبَالُ أُوْبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ

﴿أَنْ أَعْمَلَ سَبْعَ نَجَاتٍ وَقَدَّرَ فِي السَّرِّ وَأَعْمَلُوا صَليحًا إِيَّيَّ مَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾^(٦).

ويقول تعالى: ﴿أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾^(٧).

ويقول تعالى: ﴿إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾^(٨) وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ

أَوَّابٌ ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَنبَتْنَا الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخُطَابِ﴾^(٨).

وقوله تعالى: وآتيناه الحكمة أي آتيناه النبوة.

ويقول تعالى: ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ

الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ

الْحِسَابِ﴾^(٩).

وداود عليه السلام كان أعدل الناس في عصره وهذه منحة من الله سبحانه له وتقوية

لعلائم نبوته.

(١) القرآن والتوراة/ حسن الباش/ ٢/ ١٥٥.

(٢) سورة البقرة/ الآية ٢٥١.

(٣) سورة النساء/ الآية ١٦٣.

(٤) سورة الإسراء/ الآية ٥٥.

(٥) سورة الأنبياء/ من الآية ٧٩.

(٦) سورة سبأ/ الآيتان ١٠ - ١١.

(٧) سورة ص/ الآية ١٧.

(٨) سورة ص/ الآية ٢٦.

أما في التوراة فتُرد بعض النصوص التي تشير إلى إيمان داود عليه السلام بالله منذ صغره. تقول التوراة: (لأنه يُعيرُ صفوف الله الحي) ^(١)، وتقول: (وأنا أتى إليك باسم رب الجنود إله صفوف إسرائيل) ^(٢).

وتقول على لسان داود: (هَذَا اليوم يحبك الرب في يدي فأقتلك وأقطع رأسك) ^(٣). ثم تأخذ التوراة بالحديث عن سؤال داود للرب فيما يتعلق وتحركاته. ثم تقول التوراة: (وأتى رجال يهوذا ومسحوا هناك داود ملكاً على بيت يهوذا) ^(٤).

ثم تقول: (وجاء جميع شيوخ إسرائيل إلى الملك إلى حبرون فقطع الملك داود معهم عهداً في حبرون أمام الرب ومسحوا داود ملكاً على إسرائيل) ^(٥).

وتتوالى الفقرات التي تشير إلى أن الله تحدث لداود وأرشده في شؤون الحرب والقتال. وفي الإصحاح السابع من سفر صموئيل الثاني مقاطع تدل على مناجاة داود لربه وصلاته له.

وتقول: (فدخل الملك داود وجلس أمام الرب وقال: من أنا يا سيدي الرب وما هو بيتي حتى أوصلتني إلى هنا وقل هذا أيضاً في عينيك يا سيدي الرب) ^(٦). وتقول (لذلك قد عظمت أيها الرب الإله لأنه ليس مثلك وليس إله غيرك حسب كل ما سمعناه بأذاننا) ^(٧).

وتورد التوراة أقوالاً منسوبة إلى النبي داود تدل بشكل واضح على صلته القوية بالله. ليس صلة الملك وإنما صلة الأنبياء على الرغم من أن التوراة تصر على تحييد النبوة عن داود وتركز على كونه ملكاً ^(٨) تقول: (وحي داود بن يتسي ووحى الرجل القائم في العلام مسيح إله يعقوب ومرنم إسرائيل الحلو روح الرب تكلم بي وكلمته على لساني. إذا تسلط على الناس بار يتسلط بخوف الله) ^(٩).

(٢) المصدر نفسه/ ١٧: ٤٥.

(١) صموئيل الأول/ ١٧: ٢٦.

(٤) صموئيل الثاني/ ١ - ٤.

(٣) المصدر نفسه/ ١٧: ٤٦.

(٦) المصدر نفسه/ ٧: ١٨ - ١٩.

(٥) المصدر نفسه/ ٥: ٣.

(٨) ينظر: القرآن والتوراة/ حسن الباش/ ٢/ ١٦٠.

(٧) المصدر نفسه/ ٧: ٢.

(٩) صموئيل الثاني/ ٢٣: ١ - ٣.

ويأتي في التوراة أن داود وصى سليمان عندما قربت وفاته وتقول التوراة: (أحفظ شعائر الرب إلهك إذا تسير في طرقه وتحفظ فرائضه ووصاياهم وأحكامه وشهاداته كما هو مكتوب في شريعة موسى لكي تفلح في كل ما تفعل وحيثما توجهت)^(١).

ومن خلال ما تقدم نرى أن كثيراً من الدلائل تشير إلى أن داود كان مع الله وكان الله معه لكن التوراة لم تشر إلى نبوته. وإنما أشارت إلى مزامير داود التي هي عبارة عن أناشيد وأدعية قالها على آله موسيقية. ولم تشر إلى أن الله سبحانه وتعالى أنزل عليه كتاباً اسمه الزبور ويعتقد كثيرون أن ما قاله داود ﷺ في المزامير ليس سوى الزبور نفسه. ولكن آخرين نفوا ذلك إذ أن هذه المزامير صنع داود ولم تنزل على داود من لدن رب العالمين.

وترتبط شخصية سليمان النبوية بشخصية داود عليهما السلام، فقد أستلم سليمان الملك في أواخر حياة أبيه وتمتع من صغره بالفطنة والذكاء مما أتاح له التعلم من أبيه أصول ديانة التوحيد والحكمة والعلم والملك.

يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ^(٢) وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَأَيُّهَا النَّاسُ عَلِمْنَا مِنْتُمْ مَا طَمَعْتُمْ وَأَوْتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ^(٣).

والمراد بقوله (من كل شيء) كثرة نعم الله تعالى عليه ومنها تعليمه كلاماً لا يعلمه سواه وهذه المنحة لم تذكر في كتب أهل الكتاب. وإنما يذكرون أن سليمان كان عظيم الحكمة ولذلك يسمونه سليمان الحكيم ولا يلقبونه بالنبي أصلاً^(٤). ومن نعم الله عليه لتقوية معالم نبوته تسخير الله له الريح يقول تعالى: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾ ^(٥).

وقوله تعالى: ﴿وَسُلِّمْنَا الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا﴾ ^(٦). وقد آتاه الله ملكاً لم يعطه لنبي قبله أو بعده، وقال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَبْغِي لِأَحَدٍ مِنِّي بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ ^(٦).

(٢) سورة النمل/ الآيتان ١٥ - ١٦.

(١) ملوك الأول/ ٢: ٣.

(٤) سورة ص/ الآية ٣٦.

(٣) قصص الأنبياء/ عبد الوهاب النجار/ ٣٤٦.

(٦) سورة ص/ الآية ٣٥.

(٥) سورة الأنبياء/ الآية ٨١.

وكذلك فقد أرسل الله له عين القطر أي النحاس ليدعم به ما بناه. وقد منَّ الله تعالى عليه وهداه إلى ما لم يهتد إليه أحد من قبله والتوراة خالية من ذلك^(١).

وسخر الله له الجن. يقول تعالى: ﴿وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَّحْرِبٍ وَتَمَثِيلٍ وَّحِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَتٍ ﴿٢﴾﴾.

ولم يمنح نبي قط تسخير الجن له. وهذه ما تخص نبوة سليمان دون غيره من الأنبياء^(٣).

ومن نعم الله عليه أنه دعا ملكة سبأ إلى عقيدة التوحيد فأمنت. وكذلك من نعم الله عليه أنه عندما وافته المنية لم يعرف أحد من الجن والأنس أنه مات وما دلهم على موته سوى دابة الأرض. كما جاء في القرآن الكريم ولم يرد في التوراة.

وقد أوردت التوراة بعضاً من النصوص التي تشير إلى علاقة سليمان كملك بربه.

وتقول التوراة: (وأحب سليمان الرب سائراً في فرائض داود أبيه)^(٤). وتقول:

(في جبعون تراءى الرب لسليمان في حلم ليلاً وقال الله: أسأل ماذا أعطيتك فقال سليمان: إنك قد فعلت مع عبدك داود أبي رحمة عظيمة حسبما سار أمامك بأمانة وبر واستقامة قلب معك)^(٥).

(فأعط عبدك قلباً فهِمًا لأحكم على شعبك)^(٦). (وأميز بين الخير والشر).

وتقول التوراة: (ولما سمع جميع إسرائيل بالحكم الذي حكم به الملك

خافوا الملك لأنهم رأوا حكمة الله فيه لأجراء الحكم)^(٧). وتقول التوراة: (وفاقت

حكمة سليمان حكمة جميع بني المشرق وكل حكمة مصر وكان أحكم من جميع

الناس)^(٨). وتقول: (وكان صيته في جميع الأمم حواليه. وتكلم بثلاثة آلاف مثل

وكانت نشأته ألفاً وخمسة)^(٩).

(١) قصص الأنبياء/ عبد الوهاب النجار/ ٣٥٧. (٢) سورة سبأ/ الآية ١٣.

(٤) ١ مل: ٣: ٣.

(٣) تفسير ابن كثير ٣/ ٤٥٠.

(٦) ١ مل: ٣: ٩.

(٥) ١ مل: ٣: ٥-٦.

(٨) ١ مل: ٤: ٣٠.

(٧) ١ مل: ٣: ٢٨.

(٩) ١ مل: ٤: ٣٣.

وتقول: (وكانوا يأتون من جميع الشعوب ليسمعوا حكمة سليمان من جميع ملوك الأرض الذين سمعوا بحكمته)^(١).

إذاً فقد تبين لنا أن سليمان رأى الله في منامه. بمعنى إنه أوحى إليه، ومنحه الله الملك، ووسعه، وأعطاه منه ما لم يعط غيره، وكان حسب قول التوراة أحكم الحكماء. ومع هذا أكله فإن التوراة لا تقول بنبوته إطلاقاً ولا تأتي على ذكر دعوته التوحيدية وهذا ما يتناقض مع الحقيقة التي أوردتها آيات القرآن الكريم وفصلت في ذكرها.

لقد أوردنا ماذا قال القرآن الكريم بشأن الأنبياء الذي ورد ذكرهم في التوراة وكذلك في القرآن الكريم وتبين لنا أن ما أتت به آيات القرآن الكريم عن نبوة الأنبياء لم تأت به التوراة باستثناء النبي موسى ﷺ^(٢) إذ هو النبي الوحيد المعترف عليه من بين أنبياء العهد القديم أي الأنبياء الذين بدأهم النبي إبراهيم وانتهوا عند النبي سليمان.

وتجدد الإشارة إلى أن التوراة جاءت على ذكر كثير من الأنبياء وسمتهم ولكن هؤلاء الأنبياء كانوا خاصين لبني إسرائيل يخدمون الرب عن طريق تمسكهم بشريعة النبي موسى ﷺ.

ومن هؤلاء صموئيل، حزقيال، دانيال، وارميا. وهؤلاء لهم أسفار في التوراة. وهناك ذكر لأنبياء جاء الحديث عنهم عرضاً مثل النبوة مريم أخت موسى وهارون. ودبورة والنبي ناثان الذي كان مع النبي داود ﷺ. وإيليا التشبي «إلياس»، وأليشع، ونحميا، وأيوب، وأشعيا، ويوثيل، وعاموس، وعوبديا، ويونان بن أمثاي، وميخا، وناحوم وحبقوق، وصفنيا، وحجي وزكريا، وملاخي.

ويرى الكثيرون من المفسرين وبعض المهتمين بالدراسات التوراتية أن إيليا هو النبي إلياس. وأن أيوب هو نفسه الوارد ذكره في القرآن الكريم. وأن يونان هو يونس ﷺ. ولكن زكريا ليس زكريا النبي الذي ورد ذكره في قصة مريم وبعضهم يرى

(١) ١ مل: ٤: ٣٤.

(٢) ينظر: القرآن والتوراة أين يتفقان وأين يتفرقان/ حسن الباش/ ١٦٣/٢.

أن كاهن مدين يثرون هو شعيب عليه السلام باعتباره والد زوجة موسى عليه السلام. وكما قلنا ينفرد القرآن الكريم بذكر صالح وهود وشعيب وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام^(١).

(١) هل النبي شعيب هو نفسه يثرون كاهن مدين؟ ما معالم نبوته في التوراة؟ وما معالم نبوته في القرآن الكريم؟

(٢) هل النبي إيليا هو النبي إلياس؟

(٣) هل النبي أيوب هو نفسه النبي أيوب الذي ورد ذكره في القرآن الكريم؟

(٤) هل النبي يونان بن أمتاي هو النبي يونس؟

جاء في التوراة أن النبي موسى عليه السلام عندما هرب من مصر بعد قتله المصري توجه نحو مدين ووجد فتيات يستسقين لغنمهن فساعدهن. وظهرت أخلاقه الحميدة أمامهن وعندما عُدن تحدثن إلى أبيهن. فبعث واحدةً منهن لتجلب موسى إليه. وقد ذهب موسى إلى ذلك الرجل الذي أطلقت عليه التوراة اسم يثرون ووصفته بأنه كاهن مدين. ثم تزوج موسى من ابنته التي تدعى صفورة. ثم يعود موسى إلى فرعون ليخرج بني إسرائيل من مصر. وعندما يعود إلى الصحراء مع قومه يتذكر حميه يثرون فيزوده ويروي له ما فعل الله بفرعون وجنوده نحمله يثرون ثم أشار عليه أن يقضي لبني إسرائيل ولم تزد التوراة عن ذلك شيئاً.

والواقع أن قصة زواج موسى من بنت يثرون تشبه تماماً القصة التي وردت في القرآن الكريم. فمن المحتمل أن يكون هو شعيب عليه السلام باعتبار أن حدث الزواج ووجود اسم مدين هو نفسه في نص التوراة ونص القرآن الكريم. ومع ذلك لم تبرز أية معالم للنبوة عن يثرون سوى مدحه لإله موسى الذي نجاه من الظالمين^(٢).

بينما نجد في القرآن الكريم معالم النبوة لدى شعيب عليه السلام، فهو نبي مرسل ودعا قومه إلى عقيدة التوحيد فرفضوا فصعقهم الله جزاءً على رفضهم دعوة نبيهم.

يقول تعالى: ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ لَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا نَنْقُوتُ ﴿٧٧﴾ إِنِّي لَكُمْ

(١) المصدر نفسه/ ٢/ ١٦٤.

(٢) القرآن والتوراة أين يتفقان وأين يفترقان/ حسن الباش/ ٢/ ١٦٥.

رَسُولٌ آمِينٌ ﴿١٧٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٧٨﴾^(١)، فهذه الآية تشير بوضوح إلى أن شعبياً كان نبياً مرسلًا، وعقيدته واضحة من خلال الآيات الكريمة فهو يدعو إلى الله الواحد وعبادته.

يقول تعالى: ﴿وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبَّ رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾^(٢).

ثم نهاهم عن فعل السوء الذي تجلى في قوله تعالى: ﴿وَيَقَوْمٌ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾^(٣).

وقد أشار القرآن الكريم في عدة مواضع إلى أن النبي شعبياً بعث لقومه من أهل مدين بقوله تعالى:

﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَنْقُورِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنِّ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾^(٤).

ويروي المفسرون أن قومه كانوا يعبدون الأيكة وهي شجرة الأيك حولها غيطه ملتفة بها، وكانوا يقطعون السبيل ويخيفون المارة، ومن أسوأ الناس معاملة يبخسون المكيال والميزان، ويطففون فيهما ويأخذون بالزائد ويدفعون بالناقص فبعث الله فيهم رجلاً هو رسول الله شعيب عليه السلام^(٥)، ثم حاول قومه أن يطردوه إذا لم يعد إلى ملتهم وضلالهم. ولكن النبي شعبياً رفض كفرهم فعاقبهم الله بعد ذلك، قوله تعالى: ﴿فَأَخَذْتَهُمُ الرِّجْفَ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَثِيمِينَ﴾^(٦).

وهذا الذي نراه في القرآن الكريم لا نراه مطلقاً في التوراة.

أما النبي إلياس كما ورد اسمه بهذا اللفظ في القرآن الكريم فقد ورد اسمه في التوراة باسم (إيليا) وقد ورد في القرآن الكريم صراحة أنه من المرسلين، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾^(٧). وقد بعث إلى قومه الذين هم قسم من بني إسرائيل يدعونهم إلى عبادة الله الواحد وإلى ترك عبادة البعل.

(٢) سورة هود/ ٩٠.

(٤) سورة الأعراف/ ٨٥.

(٦) سورة الأعراف/ الآية ٩١.

(١) سورة الشعراء/ ١٧٦ - ١٧٩.

(٣) سورة هود/ ٨٥.

(٥) قصص الأنبياء/ ابن كثير/ ١٨٦.

(٧) سورة الصافات/ الآية ١٢٣.

تقول بقية الآيات: ﴿أَذْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴿١٢٥﴾ اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَّمَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ إِذْ يَبْسُطُ سُلُوفَهُ ﴿١٣٠﴾ إِنَّكَ كَذَلِكَ تَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾﴾ (١).

وتورد التوراة حديثاً موسعاً عن إيليا وصراعه مع عبده البعل. وتقول أنه وجد في زمن الملك الإسرائيلي الوثني (آخاب بن عمري) الذي تزوج من إيزابيل بنت ملك صيدا وتورد التوراة أن ملاك الرب التقى إيليا عدة مرات ونصره ضد عبده البعل. وأمره بالهروب من وجه آخاب الوثني فهرب وكان الرب معه. وقد ورد أنه أشفى ابن امرأة بعون الله.

تقول التوراة: (وقال إيليا انظري أبنك حيٌّ فقالت المرأة لإيليا هذا الوقت علمت أنك رجل الله وأن كلام الرب في فمك حق) (٢).

وظل الصراع قائماً بين إيليا وعبده البعل حتى أنتصر عليهم وأزال عبادة الأصنام.

أما أيوب عليه السلام فقد أوردت آيات القرآن الكريم أجزاء صغيرة من قصته، وهو نبي بصريح العبارة في القرآن الكريم، يقول تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُوشَعَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآدَمَ دَاوُدَ زُورًا ﴿١٢٣﴾﴾ (٣). وركزت الآيات على ابتلاء أيوب وصبره وحبه لله تعالى، يقول تعالى:

﴿وَأَذْكُرُ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿١٢٤﴾﴾ (٤).

ويقول تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ (٥).

وقد رافقت نبوة أيوب معجزة الماء البارد الذي اغتسل منه فشفى من جميع مرضه.

يقول تعالى: ﴿أَرْكُضْ بِرِحِّكَ هَذَا مُغْتَسِلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿١٢٦﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذَكَرْنَا لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٢٧﴾﴾ (٦). أما التوراة فقد أفردت للنبي أيوب سفرًا خاصاً أمام معالم نبوته في التوراة فإنها لا تظهر إلا في بعض الأمور الجزئية (٧).

(١) سورة الصافات/ من الآية (١٢٤) إلى الآية (١٣٢). (٢) ملوك أول/ ١٧: ٢٤.

(٣) سورة النساء/ الآية ١٦٣. (٤) سورة ص/ الآية ٤١.

(٥) سورة الأنبياء/ الآية ٨٣. (٦) سورة ص/ الآية ٤٢.

(٧) القرآن والتوراة أين يتفقان وأين يفترقان/ حسن الباش/ ١٦٧/٢.

تقول التوراة: (فقال الرب للشيطان: هل جعلت قلبك على عبدي أيوب) (١).

وتقول: (وقال عريانا خرجت من بطن أمي وعريانا أعود إلى هناك. الرب أعطى والرب أخذ فليكن اسمه الرب مباركاً. في كل هذا ما لم يخطئ أيوب ولم ينسب لله جهالة) (٢).

وتقول: (الخير نقبل من عند الله والشر لا نقبل في كل هذا لم يخطئ أيوب بشفتيه) (٣).

وهذه الأقوال تدل بشكل واضح على إيمان أيوب بالله إيماناً كاملاً. فهو كامل ومستقيم يتقي الله ويحيد عن الشر ثم وصفه الله بأنه عبده. وهو مؤمن بخلق الله له وموته وبعثه ثم هو يقبل الابتلاء، وبدأ من الإصحاح الثالث تنسب التوراة لأيوب أقوالاً هي أقرب إلى التجديف على الله والكفر به، أما في الإصحاح الأخير وهو الثاني والأربعون فتورد التوراة أن الله رد لأيوب عافيته ووهب له ضعف ما كان له من الأولاد والأموال. تقول التوراة: (وبارك الرب آخرة أيوب أكثر من أولاده...) (٤).

أما النبي يونس عليه السلام فقد ورد في القرآن الكريم عنه وعن نبوته (٥).

يقول تعالى: ﴿وَإِنَّ يُوسُفَ لِمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢١﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١٢٢﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٢٣﴾ فَالْقَمْعَةُ الْخَوْتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٢٤﴾ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٢٥﴾ لَلَيْثِ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٢٦﴾ فَبَدَّدَتْهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٢٧﴾ وَأَبْلَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ ﴿١٢٨﴾ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ زَبَدْرَدٍ ﴿١٢٩﴾ فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٣٠﴾﴾ (٦).

من خلال هذه الآية الكريمة يتضح لنا أن يونس:

(أ) كان نبياً من المرسلين.

(ب) وكان يسبح الله رغم ابتلائه العظيم.

(ج) وقد أرسل إلى قوم يدعوهم إلى ديانة التوحيد.

أما في التوراة فتورد أن (يونان بن أمتاي) قد تنبأ في أيام برعام الثاني ملك

(١) أيوب/١: ٨. (٢) أيوب/١: ٢١-٢٢.

(٣) أيوب/٢: ١٠. (٤) أيوب/٤٢: ١٢.

(٥) قصص الأنبياء/ ابن كثير/ ٢٨٦. القرآن والتوراة أين يتفقان وأين يفترقان/ حسن الباش/ ١٦٨/٢.

(٦) سورة الصافات/ من الآية (١٣٩) إلى (١٤٨).

السامرة وتنبأ برد حدود السامرة وكان موضوع نبوءته إنفاذاً لبني إسرائيل من ظلم الآراميين، والسوريين.

وتورد التوراة قصة الحوت الذي ابتلع يونان. وفي سفر يونان رموز إلى أمور مستقبلية كقيامه المسيح وتبشير الأمم.

ويقول السفر: (أن الله أمر يونان بالذهاب إلى نينوى عاصمة الآشوريين ليعلن خرابها وحاول التخلص من هذا الواجب فعاقبه الله بأن ركب في سفينة وقعت في عاصفة قوية فألقاه أهل السفينة في البحر بعد إجراء القرعة. فأبتلعه حوت عظيم وبعد ثلاثة أيام قذفه الحوت إلى البر. وبعدها صلى يونان إلى الله شكراً. وأطاع أمر ربه فذهب إلى نينوى فأصغى له سكانها وآمنوا وتابوا وصفح الله عنهم)^(١).

ويعلق مؤلف الكلام في قاموس الكتاب المقدس بقوله: (وليس في سفر آخر في العهد القديم ما يظهر محبة الله بطريقة أعجب من المحبة التي يظهرها هذا السفر. أنه يحمل رسالة دينية لجميع العصور أنه احتجاج على العصبية والعنصرية اليهودية الضيقة ومقتها للشعوب الأخرى مقتاً بشعاً ظهر بنوع خاص بعد عصر السبي. إن الله في نظر مؤلف هذا السفر يهتم بجميع الناس ويغفر لجميع التائبين إليه سواء كانوا أمماً أو يهوداً)^(٢).

ولعل الاتفاق على شخصية النبي يونس عليه السلام (يونان) بين التوراة وبين القرآن الكريم تقع في نبوته. وابتلاع الحوت له. وصبره وإيمانه الراسخ بالله. ثم إرساله إلى قوم يدعونهم إلى التوحيد فأمنوا به ولو إلى حين. وقد قال أكثر المفسرين المسلمين بأن يونس هو نفسه يونان. ويلقب أحياناً بذي النون. أي صاحب الحوت كونه اشتهر من خلال قصة ابتلاع الحوت له.



(١) قصص الأنبياء/ ابن كثير/ ٢٩٠ - ٢٩١.

(٢) قاموس الكتاب المقدس/ د. جورج يوسف/ المطبعة الأمريكية/ ط١/ بيروت/ ١٣٠٤ هـ -

١٨٩٤ م ص ٣٦٠.

المبحث الثالث أنبياء في القرآن الكريم لا وجود لذكرهم صراحة في التوراة

ورد في القرآن الكريم ذكر أنبياء لم توردهم التوراة أو تحدث عنهم. ولعل السبب الأساسي في ذلك أن التوراة دونت تاريخ الأنبياء الذي ينسبون أنفسهم إليهم فلم يذكروا هوداً وصالحاً وقد ذكرهما القرآن الكريم وذكر نبوتهما.

وباعتبار أن التوراة دونت قبل ميلاد المسيح (ﷺ) فإنها لم تأت على ذكر النبي زكريا والنبي يحيى والنبي عيسى (عليهم السلام) على الرغم من أن الثلاثة من أنبياء بني إسرائيل وكذلك لم تأت على ذكر رسولنا الكريم محمد (ﷺ).

وبسبب عدم ذكرهم في التوراة فإننا سنقتصر في الحديث عن معالم نبوتهم بشكل مختصر لنلقي الضوء على معالم النبوة لديهم جميعاً.

أما هود فهو نبي بصريح العبارة وذلك في قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ عَادَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا لَنْتَقُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٨﴾﴾^(١).

ودعا هود إلى عبادة الله الواحد الأحد وذلك في قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَوْطِيعُونَ ﴿١٢٩﴾﴾^(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِن إِلَهٍ غَيْرُهُ ۗ إِن أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿١٣٠﴾﴾^(٣). ويذكر القرآن الكريم أن الله عاقب قوم هود ونجاه. يقول تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣١﴾﴾^(٤). ويقول تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٣٢﴾﴾^(٥).

(١) سورة الشعراء/ من الآية (١٢٣) إلى (١٢٥).

(٢) سورة الشعراء/ الآية ١٢٦.

(٣) سورة هود/ الآية ٥٠.

(٤) سورة الشعراء/ الآية ١٣٩.

(٥) سورة القمر/ الآية ١٩.

أما النبي صالح عليه السلام فقد بعث لقوم ثمود. يقول تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَانِهَا إِذِ ابْعَثَ أَشْقَاهَا ﴿٦٦﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴿٦٧﴾﴾^(١). ويقول تعالى: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ﴿٢﴾﴾.

ويقول تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١١١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١١٢﴾﴾^(٣).

ودعا صالح إلى عبادة الله الواحد، يقول تعالى: ﴿يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴿٤﴾﴾.

ويقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فِرْقَانٍ يَخْتَصِمُونَ ﴿٥﴾﴾. وقد دعم الله نبوته بمعجزة الناقة. كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ﴿٦﴾﴾^(٦). ويقول تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَيْبَةِ الْمُحْضَرِّ ﴿٧﴾﴾^(٧). ويقول تعالى: ﴿وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٨﴾﴾^(٨).

ويرتبط النبي زكريا والنبي يحيى برباط واضح في آيات القرآن الكريم، فيحيى هو ابن زكريا ويستدل من آيات القرآن الكريم أنهما وجدا في الفترة نفسها التي وجد فيها السيد المسيح عليه السلام^(٩). ومن خلال آيات القرآن الكريم يُستدل أن زكريا أوحى إليه من لدن رب العالمين وذلك في قوله تعالى: ﴿يَنْزَكِرِيَا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾﴾^(١٠).

ويصفه القرآن الكريم بأنه عبد الله في قوله: ﴿ذَكَرْ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدُكَ زَكَرِيَّا ﴿١١﴾﴾^(١١). وقد منحه الله ابنه يحيى وهو رجل عجوز وامرأته عاقرة وكان يصلى في المحراب تعبدًا لله الواحد الأحد.

أما يحيى فيأتي القرآن الكريم على ذكره بأنه نبي مرسل وذلك بقوله تعالى:

- | | |
|--|------------------------------|
| (١) سورة الشمس/ من الآية (١١) إلى (١٣). | (٢) سورة الأعراف/ الآية ٧٣. |
| (٣) سورة الشعراء/ الآية (١٤١) إلى (١٤٢). | (٤) سورة الأعراف/ الآية ٧٣. |
| (٥) سورة النمل/ الآية ٤٥. | (٦) سورة الشعراء/ الآية ١٥٥. |
| (٧) سورة القمر/ الآية ٣١. | (٨) سورة النمل/ الآية ٥٣. |
| (٩) دائرة معارف القرن العشرين/ محمد فريد وجدي/ ٤/ ٥٦٨. | |
| (١٠) سورة مريم/ الآية ٧. | (١١) سورة مريم/ الآية ٢. |

﴿يُنزَكِرْنَا إِنَّا نَبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾^(١). وهذا مفسر بقوله تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْحَرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾^(٢).

فيحيى نبي بصريح عبارة القرآن الكريم ثم هو مكلف بتطبيق الكتاب (التوراة) بقوة.

ويقول تعالى: ﴿يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَاَتَيْنَهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾^(٣). وكان يحيى برأ بوالديه وكان تقياً.

وقوله من آل يعقوب: أي كما كان أبواه وأسلافه من ذرية يعقوب أنبياء فأجعله مثلهم في الكرامة التي أكرمهم بها من النبوة والوحي وتروي روايات المفسرين المسلمين أن مهمة زكريا ويحيى كانت عبادة الله الواحد ونشر الدعوة لبني إسرائيل الذين خرجوا عن ديانة التوحيد وحاربوها^(٤).

وقيل: إن بني إسرائيل قد قتلوا زكريا ويحيى لأنهما حاولا إصلاح العقيدة اليهودية بعد أن أفسدوها ودنسوا معبد الرب في القدس.

وقيل: أن اليهود تعاونوا مع الرومان الوثنيين على قتل زكريا ويحيى وترى الأناجيل أن يحيى هو الذي عمّد المسيح في نهر الشريعة وهو الذي مسح بالزيت المقدس على اعتبار أنه نبي قادم لبني إسرائيل وبعض المفسرين اعتبروا نبوة زكريا ويحيى تمهيداً لنبوة المسيح ﷺ.

أما عيسى ﷺ فقد تحدث عنه وعن نبوته القرآن الكريم بشكل مسهب ومفصل وذلك باعتباره ينتمي إلى بني إسرائيل ولأن الله سبحانه أنزل عليه كتاباً هو الإنجيل ومعالم نبوة المسيح ﷺ جاءت متكاملة في القرآن الكريم وإذا نظرنا إلى أخباره في الإنجيل وجدنا أن نبوته أيضاً واضحة على الرغم من محاولات التي أرادت أن تضيفي عليه صفة الألوهية وقد تناول سيرته التلمود بالذم والبهتان والشتم واعتباره مارقاً خارجاً على ديانة بني إسرائيل.

(١) سورة مريم/ الآية ٧.

(٢) سورة آل عمران/ الآية ٣٩.

(٣) سورة مريم/ الآية ١٢.

(٤) تفسير القرآن العظيم/ ابن كثير/ ٣/ ١٠٠.

ويصرح القرآن الكريم بنبوته المسيح (عيسى ابن مريم عليه السلام) وذلك في عدة مواضع.

يقول تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۗ﴾^(١). ويقول تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ۗ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّكُمْ ؕ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِّنَ الطَّيْرِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ﴾^(٢). فهو نبي رسول بصريح العبارة بالقرآن الكريم. قد بُعث إلى بني إسرائيل ثم يصرح القرآن الكريم بأن الله سبحانه يعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل فهو صاحب رسالة والكتاب الذي أنزل عليه هو الإنجيل ثم إن في خلقه من دون أب معجزة لم تحدث إلا مع آدم عليه السلام وقد صرح بذلك القرآن الكريم: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ۗ خَلَقَهُم مِّن تَرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ۗ﴾^(٣).

وكرم الله عيسى عليه السلام بأن وصفه بكلمته ألقاها إلى مريم وهو روحٌ منه. ووصفه بالعبد لله وكذا دأب الأنبياء فأفضل صفه لهم بأنهم عباد الله^(٤).

ثم كرمه الله سبحانه بأنه رفعه إليه ولم يستطع اليهود صلبه. وأنزل الله له ولأتباعه مائدة من السماء. وقد باركه الله وأمره بالصلاة والزكاة مادام حياً. وكان برأ بوالدته ولم يجعله جباراً عصياً أو شقيماً. وقد منحه الله سبحانه بعض المعجزات كأحياء الموتى وشفاء المرضى وقد أوحى إليه من قبل الله سبحانه بواسطة جبريل عليه السلام وهذه المعالم جميعها كانت رداً على من شكك بنبوته أولاً وعلى من أدعى ألوهيته ثانياً.

وقد بشر المسيح عليه السلام بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم ونجد ذلك صريحاً في القرآن الكريم. ويقول تعالى: ﴿يَبْنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۗ﴾^(٥).



(٢) سورة آل عمران/ الآية (٤٨ - ٤٩).

(١) سورة مريم/ الآية ٣٠.

(٣) سورة آل عمران/ الآية ٥٩.

(٤) قصص الأنبياء/ ابن كثير/ ٥٦٩، ودائرة معارف القرن العشرين/ محمد فريد وجدي/ ٦/ ٧٨٣.

(٥) سورة الصف/ الآية ٦.



المبحث الرابع أنبياء في التوراة لم يرد ذكرهم في القرآن الكريم

للتوراة أنبياء كما سمتهم. وهؤلاء الأنبياء لم يرد ذكرهم في القرآن الكريم. إلا أن نبوءاتهم. وما أوردته التوراة عن صلتهم بالله وبملاك الله. يوضح أن لهم منزلة معينة عند بني إسرائيل امتازوا بها من خلال عملهم اللاهوتي وإرشاداتهم وغضبهم على بني إسرائيل لعبادتهم آلهة الشعوب والابتعاد عن عبادة رب إسرائيل.

وتستخدم التوراة للنبي عادة التسمية العبرية (نابي) جمعها نابيم وهذه الكلمة يمكن ترجمتها بأشكال مختلفة منها (المنبي) أو الذي ناداه الله. وقد ظهرت هذه التسمية متأخرة بعد تسربهم إلى فلسطين. ولقد رأينا أن التوراة تجاهلت نبوة إبراهيم وأبنائه وأحفاده. واقتصرت على الاعتراف بنبوة موسى فحسب. وتطلق التوراة أحياناً على النبي الرائي. وقد وردت ذلك في سفر صموئيل الأول^(١). وفي سفر القضاة وجد أنبياء رجال ونبيات من النساء مثل (دبورة). وكان بنو إسرائيل يذهبون إليها للقضاء.

أما أنبياء التوراة فهم كثيرون، أول من ظهر منهم النبي صموئيل. ثم النبي عاموس ثم النبي هوشع ثم النبي إشعيا وميخا والنبي صفنيا والنبي ناحوم والنبي ارميا والنبي حبقوق ثم النبي حزقيال إشعيا الثاني ثم إشعيا الثالث ثم النبي حجي ثم النبي زكريا ثم النبي زكريا الثاني ثم عوبديا ويونان وملافي، ثم نحemia وعزرا ثم دانيال.

أما النبي صموئيل فقد أشارت له آيات القرآن الكريم دون التصريح باسمه.

(١) الإصحاح ٩ الفقرة ٩.

وارتبطت قصته باختيار ملك لبني إسرائيل يقودهم في الجهاد^(١).

يقول تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَكِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ أبعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله قال هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلون قالوا وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلاً منهم والله عليم بالظالمين ﴿٢٤٧﴾﴾^(٢). وكذلك في الآيتين (٢٤٧) و(٢٤٨) من سورة البقرة تنمى للحديث عن النبي الذي أنبأهم أن الله اختار طالوت ملكاً عليهم وبين أن آية ملكة أن يأتيهم التابوت الذي فيه بقية من التوراة.

وقد وافقت قصته في القرآن ما جاء في التوراة. لكن التوراة أوردت اسمه بينما القرآن الكريم لم يورد اسمه وقد قال أكثر المفسرين المسلمين القدامى إن هذا النبي هو صموئيل أو شموئيل ومعناه سمع الله^(٣).

وأهم علامات نبوة صموئيل حسب نصوص التوراة أن أمة وهبته لمعبد الله. وقد تفرغ لعبادة الإله وخدمة معبده. تقول التوراة: (وكبر صموئيل وكان يهوه معه ولم يدع شيئاً من كلامه يسقط على الأرض وعرف جميع إسرائيل من دان إلى بئر السبع أنه قد أوثمن صموئيل نبياً)^(٤) ثم قضى لبني إسرائيل طوال حياته وأشارت التوراة كثيراً إلى أن الرب كان يكلم صموئيل.

أما النبي عاموس فإن التوراة تشير إلى نبوءات له وذلك أيام الملك الإسرائيلي يربعام. تقول التوراة: (لست أنا نبياً ولا أنا ابن نبي بل أنا راع وحياني جميع فأخذني يهوه من وراء الضأن وقال لي يهوه أذهب تنبأ لشعبي إسرائيل)^(٥).

وقد حذر عاموس بني إسرائيل لكثرة خطاياهم فتنبأ بأن الله سيحل عقابه بهم عن قريب وقد تنبأ بموت يربعام بالسيف وسبي بني إسرائيل.

فيرى أيضاً: (لقد أتت النهاية على شعبي إسرائيل لا أعود أصفح له بعد)^(٦).

(١) قصص الأنبياء/ ابن كثير/ ٤٧٨. القرآن والتوراة أين يتفقان وأين يفترقان/ حسن الباش/ ١٧٤/٢.

(٢) سورة البقرة/ الآية ٢٤٦. (٣) البداية والنهاية/ ابن كثير/ ٥/٢.

(٤) صم: ٣-٢٠. (٥) عاموس: ٧: ١٤-١٥.

(٦) عاموس ٢: ٨.

والإله عند عاموس هو إله على كل الكون خالق ومدبر العالم. فهو الذي خلق النجوم في السماء والجبال على الأرض والذي يخلق الليل والنهار ويصنع الرياح وعنه تصدر الزلازل حين تظمر الأرض مثل ماء النهر^(١).

ويتضح من خلال بعض الفقرات في سفر عاموس أن هذا النبي كان يحذر بني إسرائيل من يوم الآخرة حيث الحساب والعقاب. فهو يشير إلى أن الإله سوف يدق الخاطئين بالسيف شخصياً ولن يهرب منه أو ينجو أحد.

ويرى عاموس أن الطبيعة ستقاسي صدمه رهيبه، ستغيب الشمس ظهراً ويغطي الظلام الأرض التي ستبدأ بالارتجاج وهو يعبر عن يوم القيامة بتسمية يوم يهوه أو ذلك اليوم للدلالة على يوم الحساب والعقاب.

أما النبي هوشع فتشير التوراة إلى نبوته بقولها: (قول يهوه الذي صار إلى هوشع بين بشري في أيام عزيا ويوثام وآحاز وحزقيا ملوك يهودا أيام يربعام بن يوأش ملك إسرائيل. وقد عكست نبؤاته الأحداث العاصفة التي جرت في مملكة إسرائيل وقد تنبأ بيوم الله الذي يعاقب فيه بني إسرائيل لأنهم خانوا إلههم. ويعنف هوشع بني إسرائيل ويقرعههم لأنهم ذهبوا وراء الأصنام، وعبدوا العجلين.

ويرى أن انحرافهم سقوط أخلاقي للشعب. ويتنبأ هوشع بسقوط إسرائيل بيد الآشوريين^(٢).

والإله عند هوشع هو إله قبلي متطور. إذ أنه بنظر هوشع يعاقب من يخالف من بني إسرائيل.

ويقول: (من هو حكيم حتى يفهم هذه الأمور وفهيم حتى يعرفها فإن طرق الرب مستقيمة والإبرار يسلكون فيها وأما المنافقون فيعثرون فيها)^(٣).

أما النبي إشعيا فهو أكثر الأنبياء الإسرائيليين شعبيه ويتنبأ هذا النبي بسقوط بابل لأن ملكها كان ظالماً على حد قوله وتقول التوراة أنه بدأ يتنبأ في سنة وفاة

(١) عاموس ٤: ١٣ - ٥: ٨ - ٩: ٥.

(٢) القرآن والتوراة أين يتفقان وأين يفترقان/ حسن الباش/ ١٧٦/٢.

(٣) ملوك ٤٢: ٩ - ١٠.

الملك عزيا وإشعيا نفسه يروي ذلك.

تقول التوراة: (رأيت يهوه جالساً على كرسي عالٍ ومرتفع وأذباله تملأ الهيكل... عندها أصيب إشعيا بالهلع فقال: ويل لي إني هلكت لأنني إنسان نجس الشفتين وأنا ساكن بين شعب نجس الشفتين لأن عيني قد رأتا يهوه رب الجنود)^(١).

وبقية الأنبياء ميخا وصفتيا وناحوم وحبقوق وإشعيا الثاني وإشعيا الثالث والنبى حجي وزكريا وعوبديا ويوثيل وملاخي ونحميا وعزرا تنبؤوا بأمر سيئة ستحدث لبني إسرائيل لأنهم خرجوا عن تعاليم الرب وانحازوا إلى عبادة الأصنام. وكان صراع مستمر قد حدث بينهم كأنبياء وبين الملوك الذين تسلطوا على يهودا وإسرائيل.

وقد اقتصر نبوءاتهم على هذا الجانب. فكانوا إصلاحيين يريدون أن يعود اليهود إلى عبادة الرب الواحد والابتعاد عن عبادة الأوثان والأصنام^(٢).

ويبرز لنا ثلاثة أنبياء كبار لدى بني إسرائيل كان لهم دور في تطوير مفهوم الألوهية. وقد تنبأ الواحد منهم بأمر كثيرة. وقد وصفتهم التوراة بأنهم كانوا مع الله وقد تراءى لهم جميعاً ملاك الرب.

وعانوا الويلات من عذاب وسجن من قبل ملوك اليهود وهؤلاء الأنبياء هم ارميا وحزقيال ودانيال.

أما ارميا فيروي هو نفسه كيف أصبح نبياً فقد كانت إليه كلمة يهوه في أيام يوشيا ابن آمون ملك يهوذا. ويعرض ارميا مضمون كلمة يهوه بقوله: (قبلما صورتك في البطن عرفتك وقبلما خرجت من الرحم قدستك. جعلتك نبياً لشعوب. فقلت آه يا سيد الرب إني لا أعرف أن أتكلم لأنني ولد.

فقال: يهوه لي لا تقل: إني ولد لأنك إلى كل من أرسلك إليه تذهب وتتكلم بكل ما أمرك به)^(٣).

(١) ملوك ٦٢: ٩ - ١٢.

(٢) ألقرآن والتوراة أين يتفقان وأين يفترقان/ حسن الباش/ ١٧٦/٢.

(٣) ارميا ١: ٥ - ٨.

وقد انتقد ارميا اليهود انتقاداً عنيفاً لأنهم انحازوا عن طريق الرب واعتبرهم زناة مع الآلهة الغربية.

ويهاجم ارميا أخلاقهم وظلمهم الاجتماعي. ولم ينج من لسانه بعض الذين ادعوا النبوة.

فانتقد جمعهم للمال وممالاتهم للملوك وخيانتهم لتعاليم الشريعة وقد نقل ارميا بعض الأمور في العقيدة اليهودية إلى تطور جديد حينما يصف الله بأنه كلي الجبروت وحكيم وعادل ومنصف يعاقب على الشر ويكافئ على الخير. وقد تنبأ ارميا بسقوط الإسرائيليين في يد البابليين باستمرار حتى أن الملك الإسرائيلي (يهوياقيم) قد سجنه في بئر وعذبه وأراد قتله إلا أن مجيء البابليين إلى فلسطين خلصه من الموت.

أما حزقيال فقد تنبأ أيام السبي وكان من بين المسبيين^(١). وقد أوردت التوراة في سفر حزقيال أول لقاء بين حزقيال وبين الرب أو ملاك الرب.

وعندما رأى حزقيال ربه. خر ساجداً على وجهه. لكن الإله أمره بالنهوض وقال له: (يا ابن آدم قم على قدميك أنا مرسلك إلى بني إسرائيل إلى أمة متمردة قد تمردت علي. هم وآباؤهم عصوا علي إلى ذات هذا اليوم. وهم إن سمعوا وإن امتنعوا لأنهم بيت متمرد يعلمون إن كان نبياً بينهم)^(٢).

وقد أوحى الآلهة له مرات عدة وهو على ضفاف الفرات وقد عنف حزقيال سلوك بني إسرائيل، خاصة انحرافهم إلى العبادات الوثنية وتركهم إلههم. ويشخص أورشليم والسامرة كزانيتين تخونان على الدوام زوجهما (يهوه) مع عشاق آشوريين ومصريين. ويرمز حزقيال بذلك إلى خيانة الإسرائيليين لعقائدهم.

أما دانيال فتقول التوراة: (إنه حكيم ونبى عاش في القرن السادس قبل الميلاد في بابل وقد حافظ على ديانة التوحيد رغم أنه شغل مناصب عدة في بلاط ملوك وثنيين، وقد تنبأ دانيال بسقوط بابل وانتقالها إلى يد الفرس وتحطيم الدولة الفارسية

(١) القرآن والتوراة أين يتفقان وأين يفترقان/ حسن الباش/ ١٧٧/٢.

(٢) حزقيال ٢: ١ - ٥.

من قبل الإسكندر المقدوني وتفكك المملكة بعد موته، والحروب التي جرت بين الذين شقوا دولته.

وقد تنبأ دانيال بمجيء المسيح المخلص. وكذلك بالقيامة والحساب والعقاب تقول التوراة:

(كثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون هؤلاء إلى الحياة الأبدية، وهؤلاء إلى العار للآزدرء الأبدى)^(١).

وفكرة قيامة الموتى تعتبر تطوراً هائلاً في العقيدة اليهودية. إذ أن التوراتيين يتعدون كثيراً عن تصور يوم البعث^(٢). ومن خلال قراءة أسفار التوراة التي تتحدث عن أنبياء بني إسرائيل نرى أنهم جميعاً حاولوا جاهدين إرجاع بني إسرائيل إلى عقيدة التوحيد ولم يفلحوا إلا في فترات زمنية قليلة. والواقع أنهم بعد نزول توراة النبي موسى ﷺ لم ينزل عليهم كتاب آخر. وقد كانت سمة التنبؤ لديهم تكمن فقط في قولهم أن الرب تراءى لهم وأمرهم بتصحيح اعوجاج قومهم.



(١) دانيال ١٢ : ٢.

(٢) القرآن والتوراة أين يتفقان وأين يفترقان/ حسن الباش/ ١٧٨ / ٢.



المبحث الخامس نبوة محمد (ﷺ) في التوراة والقرآن

محمد ﷺ خاتم النبيين وآخر سلسلتهم. ورسالته أكمل الرسالات وأعمها جاءت لتجمع كافة خصائص التوحيد التي سبقت منذ آدم ونوح وإبراهيم (عليهم السلام) حتى المسيح (ﷺ).

وقد نص القرآن الكريم على نبوته وعالميه دعوته في كثير من الآيات القرآنية الكريمة. أنزل عليه القرآن الكريم من الله سبحانه عن طريق الوحي الأمين جبريل (ﷺ) خلال ثلاث وعشرين سنة. وانتشر الإسلام في كافة أصقاع الدنيا وجميع المسلمين يرفعون شعار التوحيد (لا إله إلا الله محمد رسول الله) وتمتاز خصائص نبوته بشموليتها وتكاملها، إن كان ذلك على المستوى الشخصي، أو كان على المستوى الغيبي أو على مستوى الدعوة^(١).

(١) فقد اصطفاه الله سبحانه ليكون آخر الأنبياء وخاتمهم.

(٢) حياته قبل النبوة أربعون عاماً من التعب والتفكير والحماية الإلهية.

(٣) أوحى إليه وكان الوحي جبريل (ﷺ).

(٤) اصطفاه الله بكتاب هو (القرآن الكريم) الذي تحدى الأنس والجن أن يأتوا بمثله.

(٥) بدأ الدعوة فرداً وصمد في وجه الكفار حتى النهاية، ونشر الدعوة حتى عمت فأصبحت عقيدة إنسانية لا تقتصر على أمة أو شعب.

وعلى مدار التاريخ البشري عرفنا أنبياء حدثنا عنهم القرآن الكريم. فوجدنا بشراً، ولكنهم يختلفون عن البشر، حيث اصطفاهم الله سبحانه ليكونوا أنبياء. ومن

(١) القرآن والتوراة أين يتفقان وأين يفترقان/ حسن الباش/ ٢/ ١٨٩.

يصطفيه الله سبحانه لا بد أن يكون الاصطفاء. واقعاً فالنبي محمد عليه الصلاة والسلام اختاره الله سبحانه ليكون نبي آخر الزمان وخاتم النبيين ولم يدع من نفسه النبوة أو يتمثلها بدافع شخصي ذاتي. يقول تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾^(١). فالآية الكريمة توضح أن الله اختار هذا الإنسان ليكون خاتم النبيين ورسالته خاتمة الرسالات. ويقول تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٢).

وهذا الاختيار الرباني لا يأتي عبثاً. فالنفوس التي يختارها الله لتحمل رسالة السماء هي نفوس تربيتها الذات الإلهية تربية خاصة مميزة. وقد تربي النبي (ﷺ) لا أمُّ ترعاه ولا أب. وكانت رعاية الله هي التي حفظته لأنها اختارته ليولد في هذا العالم ليكون أول نبي وآخر نبي يبعث للناس كافة وليس لقوم محددين والفرق بين من يختاره الله ليكون نبياً، وبين من يظن ظناً أنه سيكون نبياً فرق شاسع فقد أنتظر بعض الموحدين أن ينزل عليهم الوحي، ومن هؤلاء (أمية بن أبي الصلت) ولكن أراد الله التي أوجدت محمداً اصطفته ليكون نبياً. وخلقت ظروفها اجتماعية وتاريخية ونفسية ليكون خاتم الأنبياء هو الشخص بعينه في تاريخه قبل البعثة، عرف بالصدق والأمانة والاستقامة. لم يعبد الأوثان والأصنام. ولم ينحرف في مسيرة حياته، فكان المثل الأعلى في المجتمع الجاهلي المكي، وكانت تلك المسيرة الكريمة حجه على قريش والعرب والناس جميعاً. فصاحب الرسالة معروف بنسبه وسلوكه وأخلاقه.

لم يكن الرسول محمد (ﷺ) يعرف أنه سيكون نبي آخر الزمان. وخاتم المرسلين. فلذلك راعه وأرعبه نزول الوحي عليه فذهب إلى زوجته يرتجف.

قال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُو أَن يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَافِرِينَ﴾^(٣). فالتطلع إلى الرسالات العظيمة ليس بالتمني والأمل ولكن بالاختيار الرباني والطاقة عليها. وكم من طامحين لا يملكون إلا

(٢) سورة سبأ/ الآية ٢٨.

(١) سورة الأحزاب/ الآية ٤٠.

(٣) سورة القصص/ الآية ٨٦.

الجرأة على الأمل. وكمن راسخين يطويهم الصمت حتى إذا كلفوا أتوا بالعجب العجاب.

نزل عليه الوحي وهو في سن النضج والاكتمال سن الأربعين وأنزل الله عليه القرآن ليتحدى ويعجز العقول والألباب. وتوالى نزول القرآن على قلبه حتى أكتمل بعد ثلاثٍ وعشرين سنة.

امتاز رسول الله (ﷺ) بأنه شاهد ومبشر ونذير. وقد عرف ذلك أهل الكتاب من اليهود والنصارى فأكثرهم حرّف الصدق وقليل منهم أنصف وصدق^(١).

لقد أنزلت التوراة الحقيقية على موسى (ﷺ) قبل نزول القرآن على محمد (ﷺ) بحوالي (١٨٠٠ عام)، وأنزل الإنجيل على المسيح (ﷺ) قبل نزول القرآن بحوالي (٥٧٠ عاماً). ولكن سلسلة الأنبياء الربانيين سلسلة واحدة (عقيدتها التوحيد). وكل نبي يمهد الطريق أمام النبي الآتي بعده، ويبشر قومه بقدمه ولو بعد زمن طويل. وهذا ما حدث فعلاً.

لقد بشرت التوراة بقدوم سيد المرسلين محمد (ﷺ). وكتبت أوصافه في ذلك الكتاب وجاءت هي نفسها الأوصاف التي جاء بها القرآن الكريم. وبشر بقدمه المسيح (ﷺ). ولكن اليهود أنكروا وهم يعرفون وأخفوا الحقائق وهم يدركون.

ومما بشرت به التوراة عن النبي محمد (ﷺ) ما ورد في سفر التثنية في الإصحاح الثامن تقول: (وسوف أقيم لهم نبياً مثلك من بين أخوتهم وأجعل كلامي في فمه ويكلمهم بكل شيء أمره به ومن لم يطع كلامه الذي يتكلم به باسمي فأنا الذي أنتقم منه فأما النبي الذي يجترئ على الكبرياء ويتكلم باسمي بما لم به أو باسم آلهة أخرى فليقتل. وإذا أحببت أن تميز بين النبي الصادق والكاذب فهذه علاقتك إن ما قاله ذلك النبي باسم الرب ولم يحدث فهو كاذب يريد تعظيم نفسه ولذلك لا تخشاه). وقد قال اليهود: أن هذه البشارة ليوشع بن نون. ولكنهم يعرفون أن يوشع ليس كموسى. ومع أنهم كانوا ينتظرون في مدة المسيح نبياً آخر غير

(١) القرآن والتوراة/ حسن الباش/ ٢/ ١٩١.

المسيح^(١). وقد أرسلوا ليوحنا المعمدان (يحيى) يسألونه عن نفسه فقالوا له أنت إيليا فقال: لا فقالوا أنت المسيح فقال: لا فقالوا أنت النبي فقال: لا فقالوا ما بالك إذا تعمد إذا كنت لست إيليا ولا المسيح ولا النبي فهذه تدل على أن التوراة تبشر بإيليا والمسيح ونبي لم يأت بعد وحتى زمن المسيح. ثم أن التوراة تقول في صفة النبي أنه مثل موسى وقد نصت في آخر سفر التثنية على أنه لم يقم في بني إسرائيل نبي مثل موسى وورد في هذه البشارة أن النبي الذي يفترى على الله يقتل. ونبينا مكث بين أعدائه الألداء المشتركين واليهود ثلاثاً وعشرين سنة يدعوهم فيها إلى الله. ومع ذلك عصمه الله منهم كما قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْصُمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾^(٢).

وقد أخبرتنا هذه البشارة عن العلامة التي نعرف بها صدق النبي من كذبه وهي الأخبار بما سيأتي.

وقد أخبر النبي (ﷺ) عن أشياء كثيرة فحدثت كما أخبر عنها كغلبة الروم على الفرس.

وروى القاضي عياض في الشفاء أن عطاء بن يسار سأل عبد الله بن عمر بن العاص عن صفة رسول الله (ﷺ) فقال: أجل والله أنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن: ﴿بَيَّأُهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾^(٣). إذ تقول التوراة وحرزاً للأمين أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس يقظاً وغلظاً ولا صحاباً في الأسواق. ولا يدفع السيئة بالسيئة. ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله حتى يقيم ربه الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله ويفتح به أعيناً عمياً وأذناناً صماً وقلوباً غلفاً^(٤). وتقول التوراة في ذلك: (نابي أقيم لا يقيم مقارب أحيهم كاموخوا إيلارتشماعون) وتفسيره (نبينا أقيم له من وسط أخوتهم مثلك به فليؤمنوا).

ويعلق (السؤال بن يحيى المغربي)^(٥). على ذلك بقوله إنما أشار إلى أنهم

(١) المصدر السابق نفسه/ ٢/ ١٩٢. (٢) سورة المائدة/ الآية ٦٧.

(٣) سورة الأحزاب/ الآية ٤٥.

(٤) رواه البخاري في البيوع باب كراهية الصخب في الأسواق/ رقم ٢١٢٥.

(٥) السؤال بن يحيى المغربي: حبر من أخبار اليهود في القرن السابع الهجري أسلم ورد على اليهود بكتاب مهم جداً أسمه (غاية المقصود في الرد على النصارى واليهود) وتوفي من مراغة من أعمال أذربيجان.

يؤمنون بمحمد (ﷺ)، فإن قالوا: (إنه قال من وسط إخوتهم، وليس في عادة كتابنا أن نعني بقوله إخوتكم إلا بني إسرائيل. قلنا: بلى قد جاء في التوراة إخوتكم بنو العيص وذلك في الجزء الأول من السفر الخامس قوله: أنتم عابرون في تخم إخوتكم بني العيص المقيم في سعير إياكم أن تطمعوا في شيء من أرضهم). فإذا كان بنو العيص إخوة لبني إسرائيل لأن العيص وإسرائيل ولدا فلذلك بنو إسماعيل إخوة لجميع ولد إبراهيم. وإن قالوا إن هذا القول إنما أشير به إلى شموائل النبي (ﷺ) لأنه قال من وسط إخوتكم مثلك وشموائل كان مثل موسى من أولاد ليوي. يعنون من السبط الذي كان منه موسى فلنسألهم. فإن كنتم صادقين فأى حاجة بكم إلى أن يوصيكم بالإيمان بشموائل وأنتم تقولون أن شموائل لم يأت بزيادة ولا ينسخ أشفق من أن لا تقبلوا لأنه أرسل ليقوي أيديكم على أهل فلسطين وليردكم إلى شرع يخالف تكذيبكم من ينسخ مذهبكم ويغير أوضاع ديانتكم. فالوصية بالإيمان به مما لا يستغني مثلكم عنه. ولذلك لم يكن بموسى حاجة أن يوصيكم بالإيمان بنبوة يرميا ويشعيا. وغيرهما من الأنبياء. وهذا يدل على أن التوراة أمرتهم في هذا الفصل بالإيمان بالمصطفى (ﷺ) وأتباعه^(١).

ويرى البروفيسور عبد الأحد داود^(٢). أن الكلمات الواردة في التوراة في الفصل ٣٣ والجمل ٢ تنص على ما يأتي:

وجاء الرب في سيناء وأشرق لهم من سعير وتلاًلاً قادماً من جبل فاران وجاء معه عشرة آلاف قديس ومن يده اليمنى يروق نار شريعة لهم.

ولم تكن لأي واحد من الإسرائيليين بما فيهم المسيح أية علاقة بفاران فإن هاجر مع ولدها إسماعيل تجولا في متاهات بئر السبع وهم الذين سكنوا بعد ذلك في قفار فاران.

وقد أفرد البروفيسور عبد الأحد داود كتاباً خاصاً تحت عنوان. محمد في

(١) غاية المقصود في الرد على النصارى واليهود. السموال بن يحيى الغربي. مخطوط ص ٢٧.

(٢) عبد الأحد داود: هو كاهن مسيحي آشوري اسمه الأصلي بنجامين كلداني. أستاذ في علم اللاهوت وفس سابقاً وهو من ديجالاً في إيران. اعتنق الإسلام (١٩٠٥ م) في استانبول.

الكتاب المقدس. حلل فيه كافة النبوءات الإشارات التوراتية والتي تشير إلى رسول الله محمد (ﷺ). كما حلل نصوص الإنجيل المرتبطة بالنبوءة الخاصة التي تقول بمجيء الرسول محمد (ﷺ).

وقد فضح القرآن الكريم تزييف أهل الكتاب للحقائق المتعلقة بنبوة النبي محمد (ﷺ). فهم يعرفون صفاته ومهامه من خلال كتابهم التوراة ومن خلال وصايا أنبيائهم بأتباعه والسير على طريقه. يقول تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (١). ويقول تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٢).

ويقول تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُوْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (٣).

ويقول تعالى: ﴿لَكِنَّ الرِّسْحُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (٤). ويقول تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (٥). ويقول تعالى: ﴿يَتَاهَلُ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَسْهَدُونَ﴾ (٦). يتاهل الكتاب لِمَ تَكْفُرُونَ بِالْبَطْلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٦). ويقول تعالى: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَسَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (٧).

(١) سورة البقرة/ الآية ١٤٦.

(٢) سورة الأعراف/ الآية ١٥٧.

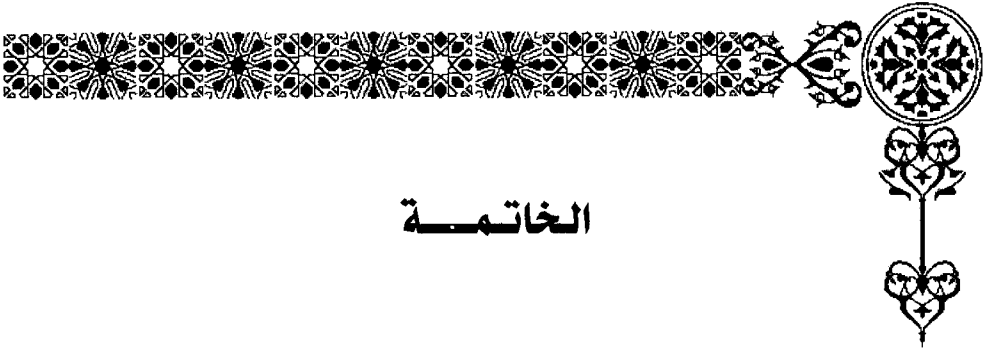
(٣) سورة البقرة/ الآية ٩١.

(٤) سورة النساء/ الآية ١٦٢.

(٥) سورة البقرة/ الآية ٨٩.

(٦) سورة آل عمران/ الآية (٧٠ - ٧١).

(٧) سورة آل عمران/ الآية ٨٦.



الخاتمة

وبعد أن وصلنا إلى نهاية هذه الدراسة، نذكر بعض ما توصلنا إليه من نتائج وتوصيات ومن أهمها:

أولاً: أهم النتائج:

(١) إن التوراة التي بين أيدينا اليوم، لا علاقة لها بالتوراة المنزلة على موسى (عليه السلام) في حوالي القرن الثالث عشر قبل الميلاد. ولم يتحقق العلماء حتى الآن من لغتها والخط الذي دونت به لأنها فقدت بعد موسى (عليه السلام).

(٢) إنه توجد توراتان: إحداهما للسامريين والأخرى للebraانيين. بينما الاختلاف كبير خاصة في عمر الآباء الأقدمين مع أن مضامين كلتا التوراتين تتناقضان مع الحقائق العلمية الحديثة، وتوراة السامريين لم نتحقق من الزمان الذي دونت فيه، أما توراة العبرانيين فأنها ترجع إلى عهد عزرا في أواسط القرن الخامس قبل الميلاد.

(٣) إن التوراة التي بين أيدينا اليوم لا علاقة لها بالتوراة المنزلة على موسى (عليه السلام) وأنها محرفة كتبها اليهود في السبي البابلي - بعد زمان موسى بوقت طويل - سعياً نحو هدف أساسي وهو ترسيخ الخرافات في أذهان اليهود وإقناعهم بحق مكذوب في أرض غريبة عنهم.

(٤) إن اليهود الأقدمين الذين سكن بعضهم فلسطين وأقام مملكة يهودية لفترة من الزمن فيها لا علاقة لهم بيهود اليوم الذين يغتصبون فلسطين بدعوى: «وعد الرب في أرض الميعاد»، حيث أنهم خليط من شتى بقاع العالم.

(٥) إن اليهود قد سخروا توراتهم المحرفة خدمة لأغراضهم التوسعية

والعدوانية وروح التعالي على حساب مصالح الشعب العربي.

٦) إن مقارنة بين ما جاء في القرآن الكريم والتوراة - من حقائق تاريخية وعلمية - تظهر أن بينهما اختلافاً شاسعاً؛ لكون التوراة قد تعرضت للتحريف مرات عديدة، أما القرآن الكريم فقد تكفل الله تعالى بحفظه وصيانتته من كل غش وتلاعب.

ثانياً: التوصيات:

١) تشجيع الباحثين للدراسة والتوسع في العلوم التي تتناول الأديان الأخرى. وتوفير الوسائل المساعدة للبحث ليتمكن الباحث بالوصول إلى النتائج المرجوة من ذلك.

٢) أن يدرس الباحث مادة التاريخ في عصوره المختلفة. لكون التاريخ مرتبط ارتباطاً وثيقاً في كثير من العلوم التي تتناول الأديان السماوية.

٣) ترجمة بعض الكتب الأجنبية إلى اللغة العربية حتى لا يكون الباحث في حيرة من أمره.





المصادر

☪ القرآن الكريم.

أ - الكتب المقدسة:

(١) إنجيل يسوع المسيح ل لوقا، دار المعارف القاهرة ١٩٧٨م ترجمة (لجنة اعتمدت تشكيل البابا كيرلس السادس مكون من: الأنباغريغوريوس وزكي شنوده ود.بأهور ليب ومحلي مراد.

(٢) التوراة السامرية (باللغة العربية) مطبعة دار البيان القاهرة/١٩٧٨م ترجمة الكاهن السامري أبو حسن إسحاق الصوري وأعداد ودراسة د.أحمد حجازي السقا.

(٣) التوراة العبرانية (باللغة العربية). مطبعة دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط/١٩٨٥.

(٤) الكتاب المقدس (العهد العتيق والعهد الجديد) ط٢ مطبعة الآباء المرسلين اليسوعيين - بيروت - ١٨٨٢م.

(٥) الكتاب المقدس (العهد القديم والعهد الجديد). إصدار جمعية الكتاب المقدس في الشرق الأدنى - بيروت ١٩٧٧م.

ب - الكتب والرسائل:

(١) إسرائيل والتلمود/ إبراهيم خليل أحمد/ القاهرة، مكتبة الواعي العربي، ط٢، ١٩٨٣.

(٢) إسرائيل فتنة الأجيال/ القاهرة/ ١٩٨٥.

(٣) إسرائيل حرفة الأناجيل والأسفار المقدسة/ د.أحمد عبد الوهاب/ ط١/ مطبعة

- الاستقلال الكبرى - القاهرة - ١٩٧٢ م.
- (٤) أصول الدين في الدين اليهودية، د. إسماعيل راجي الفاروقي/ القاهرة، ١٩٦٣ م/ ١٩٦٤ م.
- (٥) أزيلوا إسرائيل هذا هو الحل/ د. آيلين بيتي/ دار العلم للملايين بيروت ط ١ سنة ١٩٥٧ م.
- (٦) إظهار الحق، رحمة الله بن خليل الرحمن العثماني الكيرانوي الهندي (الإمام العلامة الشيخ، ت ١٣٠٨ هـ - ١٨٨١ م)، مطبعة الرسالة - القاهرة/ ١٩٦٤ م.
- (٧) الأسس التاريخية للعقيدة اليهودية/ سامي سعيد الأحمد/ مطبعة الإرشاد - بغداد - سنة ١٩٦٩ م.
- (٨) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (المشهور بتفسير البيضاوي)/ عبد الله بن عمر البيضاوي (ناصر الدين أبو الخير، ت ٧٩١ هـ)/ ط ٢/ مطبعة مصطفى البابي الحلبي/ القاهرة/ ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م.
- (٩) الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة/ عبد القادر شيبه الحمد/ مؤسسة الطباعة والصحافة والنشر/ جدة/ السعودية/ ١٣٨٧ هـ.
- (١٠) الأيدلوجية الصهيونية/ عبد الوهاب محمد المسيري (الدكتور) - الكويت - سلسلة عالم المعرفة/ المجلس الوطني للثقافة والفنون/ ط/ ١٤٠٣ - ١٩٨٣ م.
- (١١) الاقتصاد السياسي الإسرائيلي: فؤاد مرسي (الدكتور).
- (١٢) الأصيل والدخيل في نص العهد القديم: يوسف داغر المخلص (الأب)، بحث منشور في مجلة (الرسالة المخلصية) ص ٢٣ ع ٣ (آذار ١٩٥٦ ص ٢٣٥ - ٢٥٠).
- (١٣) الاستعمار والصهيونية العالمية: محمد مصباح حمدان/ المكتبة العصرية/ ١٩٦٧ (لم يذكر مكان الطبع).
- (١٤) الادعاءات الصهيونية والرد عليها/ عبد الحميد رشوان/ القاهرة/ الهيئة المصرية العامة للكتاب/ ١٩٧٧ م.
- (١٥) إسرائيل قيامها واقعتها مصيرها: محمد كمال الدسوقي (الدكتور)

- وعبد التواب عبد الرزاق، دار المعارف/ مصر/ القاهرة/ ١٩٦٨ م.
- (١٦) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم المشهور بتفسير أبو السعود: محمد بن محمد العمادي (القاضي أبو السعود ت ٩٥١)، طبعة جديدة، دار إحياء التراث العربي - بيروت (د.ت).
- (١٧) أوضح التفاسير: محمد بن محمد عبد اللطيف بن الخطيب، ط ٧ - المطبعة المصرية ومكبتها - القاهرة (د.ت).
- (١٨) بذل المجهود في إفحام اليهود/ السموأل بن يحيى بن عباس المغربي (أبو العباس ت ٥٧٠ هـ)/ مطبعة الفجالة الجديدة/ القاهرة/ (د. ت). تقديم: محمد الشامي.
- (١٩) بنو إسرائيل بين نبأ القرآن الكريم وخبر العهد القديم/ بيروت/ عالم الكتب/ ط ١/ ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤ م.
- (٢٠) بروتوكولات حكماء صهيون/ عجاج نهويض/ بيروت/ من منشورات مجلة فلسطين المحتلة/ ط ٢/ ١٩٨٠ م.
- (٢١) بصائر ذوي التمييز في الطائف الكتاب العزيز: محمد بن يوسف الفيروزآبادي (مجد الدين ت ٨١٧ هـ)، مؤسسة دار التحرير - القاهرة ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م، تحقيق: جماعة من العلماء.
- (٢٢) بن غوريون وبناء إسرائيل: محمود العائدي/ منشورات وزارة الثقافة والإعلام، المطبعة الأردنية، عمان/ ١٩٦٩ م.
- (٢٣) البيان في تفسير القرآن: محمد بن الحسن الطوسي (شيخ الطائفة أبو جعفر ٣٨٥ - ٤٦٠ هـ، المطبعة العلمية - النجف الأشرف ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م، تحقيق وتصحيح أحمد حبيب قيصر العاملي وأحمد شوقي الأمين.
- (٢٤) بنو إسرائيل في القرآن والسنة (رسالة دكتوراه): محمد سيد طنطاوي (الدكتور)، ط ١، دار حراء - القاهرة - ١٣٨٨ هـ - ١٩٨٦ م.
- (٢٥) البشارات والمقارنات بين القرآن والعهدين: محمد الصادقي الطهراني (اندكتور)، ط ١، مطبعة الغربي الحديثة - النجف الأشرف ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٩ م.
- (٢٦) بشرى الخلاص (حياة سيدنا المسيح من خلال الأنجيل الأربعة): يوسف

- نعمات (الأب)، ط٢، البطركية اللاتينية الأورشليمية سنة ١٩٨١م.
- (٢٧) التلمود والصهيونية/د.أسعد رزوق/منظمة التحرير الفلسطينية - مركز الأبحاث - القاهرة - ١٩٧٠م - سلسلة فلسطينية رقم (٣).
- (٢٨) توازن القوى بين العرب وإسرائيل/أمين النفوري/دار الاعتدال للطباعة والنشر/دمشق، ط١، سنة ١٩٦٨م.
- (٢٩) التوراة - العقل - العلم والتاريخ/بدران البدران/القاهرة.
- (٣٠) تفسير القرآن العظيم المسمى بالسراج المنير، الخطيب الشربيني (الفقيه الشافعي ت ٩٧٧هـ - ١٥٦٩م) // ط٢ / (بالأوفسيت) دار المعارف بيروت (د. ت).
- (٣١) تاريخ شعب العهد القديم، ديلي (الأب) / المطبعة الكانوليكية بيروت ١٩٦٢ - عربيه: الأب جرجس ما رديني.
- (٣٢) تدوين الكتب المقدسة (التوراة - الإنجيل - القرآن)، حميد عادل يزيدين: (رسالة ماجستير)، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م - جامعة بغداد/ كلية العلوم الإسلامية.
- (٣٣) تاريخ شعب إسرائيل/ارنيست رينان.
- (٣٤) تاريخ الديانتين اليهودية والمسيحية/ سعدون الساموك (الدكتور). ورشدي عليان/ مديرية دار الكتب للطباعة والنشر/ جامعة الموصل/ ١٩٨٨م.
- (٣٥) التاريخ في العهد القديم/ سكرور.
- (٣٦) التوراة، تاريخها - وغايتها (ترجمة) ط٢ / سهيل ديب - دار النفائس - بيروت، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.
- (٣٧) تاريخ العالم/ السيرجون. أ. هامرتن/ القاهرة/ مجلد ٢ / ط٢ / ١٩٥٩م.
- (٣٨) تاريخ إسرائيل/ شاهين ميكاريوس، ت (١٨٥٣ - ١٩١٠ م) / مطبعة المقطف - القاهرة/ ١٩٠٤م.
- (٣٩) التلمود، أصله، وتسلسله، وآدابه (ترجمة وشرح) / شمعون يوسف مويال (الدكتور) / مطبعة العرب (بدون ذكر مكانها) / سنة ١٩٠٩ م / سنة ٥٧٦٩ للخليفة.
- (٤٠) التعليم المقدس أو تعاليم الحاخامين اليهود/ (أ) أبو صادق/ دار منشورات البصري/ بغداد ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.
- (٤١) التراث اليهودي والفكر الفرويدي/ أضواء على الأصول الصهيونية/ صبري

- جرجس/ عالم الكتب مطبعة مخيمر/ القاهرة/ ١٩٧٠م.
- (٤٢) تفسير القرآن العظيم - عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي (الإمام الجليل الحافظ..) ت ٧٧٤ هـ/ دار العلم بيروت - لبنان (د.ت).
- (٤٣) التوراة الهيروغليفية: فؤاد حسنين علي (الدكتور)، دار الكاتب العربي - القاهرة (د.ت).
- (٤٤) تنقيح الأبحاث للملل الثلاث: ابن كمونة الإسرائيلي.
- (٤٥) التلمود شريعة بني إسرائيل: محمد صبري/ القاهرة/ مكتبة مدبولي (د.ت).
- (٤٦) تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم: محمد عزة دروزة، مكتبة نهضة مصر، الفجالة ١٣٧٧ - ١٩٥٨.
- (٤٧) التفسير الحديث، دار إحياء الكتب العربية/ القاهرة/ ١٣٨١ - ١٩٦٢م.
- (٤٨) التفسير الكبير المسمى بالبحر المحيط: محمد بن يوسف بن علي بن حيان الأندلسي (٦٥٤ - ٧٥٤هـ)، مكتبة ومطابع النصر الحديثة - الرياض (د.ت).
- (٤٩) التوراة والإنجيل والقرآن والعلم/ ط١/ (ترجمة نخبة من الدعاة) وأشرفت على هذه الترجمة (مجلة الفكر الإسلامي) الصادرة عن دار الفتوى في الجمهورية اللبنانية - بيروت - ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م
- (٥٠) تاريخ سينا القديم والحديث وجغرافيتها: نعوم بك شقير/ مطبعة المعارف/ مصر/ القاهرة (د.ت).
- (٥١) تاريخ سورية الدنيوي والديني: يوسف إلياس الدبس الماروني (المطران ١٨٣٣ - ١٩٠٧ م)، المطبعة العمومية الكاثوليكية المارونية - بيروت ١٨٩٣ - ١٩٠٥ م.
- (٥٢) الجواهر في تفسير القرآن الكريم/ طنطاوي جوهرى (الشيخ)/ ط٢/ مطبعة مصطفى البابي الحلبي/ القاهرة/ ١٣٥٠ هـ.
- (٥٣) الجذور الأيدلوجية للمفاهيم الإسرائيلية حول الحدود/ عمر الخطيب/ مجلة مركز الدراسات الفلسطينية/ بغداد/ عدد ٣٤ - ٣٥/ ١٩٧٩ م.
- (٥٤) جذور البلاء/ عبد الله التل (الدكتور)/ ط١/ مطابع دار القلم - بيروت، ١٣٩٠ هـ - ١٩٧١ م.

- (٥٥) جامع العلوم في إصلاحات الفنون/ عبد النبي عبد الرسول الأحمد (القاضي فكري).
- (٥٦) الجامع لأحكام القرآن: محمد بن أحمد بن أبي بكر (أبو عبد الله القرطبي ت ٦٧١ هـ)، دار الكتاب العربي - القاهرة ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م.
- (٥٧) حياة إبراهيم: محمود شلبي، مكتبة القاهرة ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م.
- (٥٨) الخطر اليهودي (بروتوكولات حكماء صهيون): محمد خليفة التونسي/ مطبعة السنة المحمدية/ القاهرة/ ١٩٧٢ م.
- (٥٩) دائرة المعارف/ بطرس البستاني (المعلم ١٨١٩ - ١٨٨٣ م) مطبعة المعارف بيروت ١٨٧٦ م.
- (٦٠) دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة (مترجم): موريس بوكاي (الطبيب الفرنسي)، ط ٤، دار المعارف - القاهرة - ١٩٧٧ م.
- (٦١) دراسة الأسفار والتوراة والعهد القديم/ عمر الطيبي/ المطبعة التعاونية (بدون ذكر محلها) سنة ١٣٨١ هـ - ١٩٦١ م.
- (٦٢) دعوى الصهيونية في حكم القانون الدولي: محمد طلعت الغنيمي (الدكتور)/ مطبعة جامعة الإسكندرية/ مصر/ ١٩٧٠ م.
- (٦٣) دليل القضية الفلسطينية/ إبراهيم العابد (أسئلة وأجوبة)
- (٦٤) رسالة اللاهوت والسياسة. حسن حنفي (الدكتور) (ترجمة وتقديم)/ مراجعة د. فؤاد زكريا
- (٦٥) روح الدين الإسلامي - عفيف عبد الفتاح طيارة، ط ٢١، دار العلم للملايين - بيروت - ١٩٨١
- (٦٦) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: محمود البغدادي الآلوسي (أبو الفضل شهاب الدين ت ١٢٧٠ هـ)، المطبعة المنيرية، القاهرة - ١٣٤٥ هـ.
- (٦٧) رد على اليهودية واليهودية المسيحية: ندره اليازجي، ط ١، مطبعة الآداب والعلوم - دمشق - ١٩٦٩ م.
- (٦٨) زاد المسير في علم التفسير/ عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (أبو

- الفرج جمال الدين البغدادي ٥٠٨ - ٥٩٧ هـ / ط ١ / المكتب الإسلامي / دمشق
وبيروت / ١٣٧٨ هـ - ١٩٦٧
- (٦٩) الشخصية اليهودية عبر التاريخ / جودة السعد / ط ١ / المؤسسة العربية
للدراسات والنشر / بيروت / ١٩٨٥ م.
- (٧٠) الشخصية اليهودية الإسرائيلية - العدائية، رشاد عبد الله الشامي (الدكتور) -
سلسلة عالم المعرفة.
- (٧١) صبح الأعشى / أحمد بن علي بن أحمد القلقشندي (الشيخ أبو العباس) ت
٨٢١ / المطبعة المنيرية / القاهرة - ١٣٣٧ - ١٩٢٨ م.
- (٧٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣ هـ
- ١٠٠٥ م) ط ٢٠، دار العلم للملايين - بيروت ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م تحقيق.
أحمد عبد الغفور عطار.
- (٧٣) الصراع العظيم في سيرة الآباء والأنبياء / الزهوايت.
- (٧٤) الصهيونية وريبتها إسرائيل - عمر رشدي / مكتبة النهضة العربية، القاهرة،
ط ٢، ١٩٦٥ م.
- (٧٥) الصهيونية العالمية... وأرض الميعاد، علي إمام عطية، ط ١، مطابع دار
الشعب - القاهرة ١٣٨٣ هـ.
- (٧٦) الصهيونية والعنصرية: فايز صايغ / حول قرار الأمم المتحدة التاريخي.
- (٧٧) الصهيونية في الكتاب المقدس: الفريد جيوم.
- (٧٨) العلم والمدنية: محمد علي صبح.
- (٧٩) عروبة فلسطين في التاريخ / محمد أديب العامري / المكتبة العصرية -
بيروت / ١٩٧٤ م.
- (٨٠) العقائد، محمد عنایت، مطبوعات مجلة العصور لنشر المعرفة والآداب / سنة
١٩٢٨.
- (٨١) العبور إلى القدس / عرفات حجازي / ط ١ / سنة ١٩٧٤ م / (لم يذكر مكان الطبع).
- (٨٢) العلاقات السياسية والحضارية بين العرب واليهود في العصور القديمة
والإسلامية - علي حسين الخربوطلي، معهد البحوث والدراسات

العربية/ القاهرة/ ١٩٦٩م.

(٨٣) فضح اليهود (تعاليم الحاخامات السرية)/ برناليثس (أي. بي. برناليثس) (ط١/ بيروت - ١٩٧٤م أعداد زهري الناتج.

(٨٤) الفولكلور في العهد القديم، جيمس جورج فريزر (١٨٥٤ - ١٩٤١ م)/ الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة ١٩٧٢م، ترجمة د. نبيلة إبراهيم. ومراجعة د. حسن ظاظا.

(٨٥) في مواجهة إسرائيل/ إسماعيل صبري عبد الله، سلسلة أقرأ ٣١٩، دار المعارف، مصر، القاهرة/ ١٩٦٩م.

(٨٦) الفكر الديني الإسرائيلي (أطواره ومذاهبه)، حسن ظاظا (الدكتور)، معهد البحوث والدراسات الفلسطينية، سنة ١٩٧١م.

(٨٧) فلسطين في ضوء القانون الدولي، حسن الجلبي (الدكتور)/ معهد البحوث والدراسات العربية سنة ١٩٦٩م.

(٨٨) في سوسيولوجية الصراع العربي الإسرائيلي/ سعد الدين إبراهيم/ ط١/ دار الطلبة للطباعة والنشر بيروت/ ١٩٧٧م.

(٨٩) فتح البيان في مقاصد القرآن/ صديق حسن خان (العلامة المحقق، ت ١٣٠٧ هـ - ١٨٨٩ م) مطبعة العاصمة/ القاهرة/ (د. ت)/ الناشر عبد المحي علي محفوظ.

(٩٠) فصول من الكتاب المقدس/ عزرا حداد، ط١، مطبعة الاعتماد - بغداد - ١٩٤٧ - إصدار لجنة المدارس الإسرائيلية ببغداد.

(٩١) الفصل في الملل والأهواء والنحل - علي بن حزم الأندلسي الظاهري (الإمام أبو محمد ٣٨٤ - ٤٥٦ هـ) - مكتبة المثنى ببغداد.

(٩٢) في الطريق إلى الإسلام/ د. أحمد نسيم سوسه/ المطبعة السلفية - القاهرة، ١٣٥٥ هـ - ١٩٣٦ م

(٩٣) قاموس الكتاب المقدس، جورج يوسف (الدكتور ١٨٣٨ - ١٩٠٩)/ ط١، المطبعة الأميركية - بيروت ١٣٠٩ - ١٨٩٤م.

(٩٤) القرآن والتوراة أين يتفقان وأين يتفرقان، حسن مصطفى الباش// دمشق/ دار

قتيبة/ ط١/ ١٩٩٧م.

(٩٥) قصص الأنبياء/ عبد الوهاب النجار/ ط٣/ دار إحياء التراث العربي - بيروت - (د. ت).

(٩٦) قصص الأنبياء/ منشورات مكتبة النهضة - بغداد - ١٩٨٣.

(٩٧) القدس ومعاركنا الكبرى: محمد صبيح حمدان، دار الشعب، القاهرة (د. ت).

(٩٨) قاموس الكتاب المقدس: نخبة من الأساتذة ذوي الاختصاص ومن

اللاهوتيين، ط٢، مجمع الكنائس في الشرق الأدنى - بيروت - ١٩٧١م.

(٩٩) قصة الحضارة: ول ديورانت، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة

- ١٩٦٤، ترجمة جماعة من العلماء.

(١٠٠) كيف وصلنا العهد القديم/ أحد الآباء الرهبان/ بطريقة الأقباط الأرثوذكس -

القاهرة ١٩٨٣

(١٠١) كتابنا المقدس/ بيشوي (الراهب مكسيموس)

(١٠٢) الكشاف الفريد في معادل الهرم ونقائض التوحيد، خالد محمد علي

الحاج/ - مطابع الدوحة الحديثة في قطر ١٩٨٣م.

(١٠٣) الكتاب المقدس كتاب كل العصور/ غريغوريوس (الأنبا)، أسقفية الدراسات

العليا والثقافة القبطية والبحث العلمي - القاهرة - ١٩٧٣.

(١٠٤) الكتاب المقدس والمكتشفات الحديثة: فكتور (الأب)، ط١/ ١٩٩٠.

(١٠٥) كتاب جمهرة اللغة: محمد بن الحسن بن دريد (٢٢٣ - ٣٢١هـ)، ط١، دائرة

المعارف - حيدرآباد بالهند - ١٣٤٤هـ.

(١٠٦) الكتب التاريخية في العهد القديم: مراد كامل (الدكتور)، المطبعة الفنية

الحديثة - القاهرة - ١٩٦٨م.

(١٠٧) كيف نما الشعب اليهودي: مردخاي آي سولوف.

(١٠٨) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل:

محمود بن عمر الزمخشري (الإمام جار الله ت٥٣٨هـ)، نشر دار الكتاب

العربي ببيروت (د. ت).

(١٠٩) الكنز المرصود في قواعد التلمود (ترجمة) يوسف نصر الله/ ط٢، بيروت

١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.

- (١١٠) لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور (٦٣٠ - ٧١١ هـ)، دار صادر ودار بيروت - ١٣٧٤ - ١٩٥٥م.
- (١١١) مفصل العرب واليهود في التاريخ (حقائق تاريخية تظهرها المكتشفات الأثرية)، احمد سوسة ط ٥ - دار الحرية - بغداد - ١٩٨١م
- (١١٢) الملل المعاصرة في الدين اليهودي، د. إسماعيل راجي الفاروقي/ القاهرة، مكتبة وهبة، ط ٢، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
- (١١٣) محيط المحيط/ طبع ببيروت ١٢٨٦هـ - ١٨٧٠م أعادت نشره لبنان بيروت.
- (١١٤) موسوعة تاريخ الأقباط والمسيحية/ زكي شنودة المحامي/ ط ١/ مكتبة النهضة المصرية/ القاهرة/ ط ١٩٧٣م.
- (١١٥) المرشد إلى الكتاب المقدس/ سيكل سيل (القس)/ بيروت/ ١٩٥٨م / الجزء الثاني والثالث
- (١١٦) الماسونية بلا قناع/ مطبعة دار البصري - بغداد/ ١٩٦٧م.
- (١١٧) الماسونية ذلك العالم المجهول/ عبد الحلیم إلياس (الخوري)/ دار العلم للملايين/ بيروت
- (١١٨) الملل والنحل/ عبد الكريم الشهرستاني (أبو الفتح ت ٥٤٨ هـ) (مطبوع مع كتاب الفصل لأبن حزم الأندلسي).
- (١١٩) مدارك التنزيل وحقائق التأويل/ عبد الله بن أحمد النسفي (الإمام حافظ الدين، ت ٧٠١ هـ)/ المطبعة البهية المصرية/ القاهرة/ ١٣١٨ هـ/ (مطبوع على هامش تفسير الخازن).
- (١٢٠) موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية/ عبد الوهاب المسيري (الدكتور)، وسوسن حسين/ مطبعة الأهرام/ القاهرة/ ١٩٧٤م.
- (١٢١) محنة التوراة على أيدي اليهود/ عصام الدين حنفي ناصف/ القاهرة/ دار العلم الجديد/ ط ١/ ١٩٧٥م.
- (١٢٢) مروج الذهب ومعادن الجوهر - علي بن الحسين بن علي المسعودي - أبو الحسن ٣٤٦هـ، ط ٤ مطبعة السعادة - القاهرة ١٣٨٤ - ١٩٦٤م، تحقيق

محمد محي الدين عبد الحميد.

(١٢٣) ميزان الحق: فاندر (الدكتور).

(١٢٤) مجمع البيان في تفسير القرآن: الفضل بن الحسين الطبرسي (الشيخ أبو علي ت ٥٤٨ هـ)، ط ٢، نشر: دار الفكر ودار الكتاب اللبناني، بيروت ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٧ م.

(١٢٥) مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً: ليلي حسن سعد الدين.

(١٢٦) مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (ت ٦٦٦ هـ)، دار الكتاب العربي - بيروت، (١٤٠ هـ - ١٩٨١ م).

(١٢٧) المنطق (مجموعة محاضرات): محمد رضا المظفر/ ط ١ / مطبعة الزهراء - بغداد - ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٧ م.

(١٢٨) موقع العقيدة من الفكر الصهيوني: محمد محمود ربيع (الدكتور) / مجلة مركز الدراسات الفلسطينية، بغداد، عدد ٤٢ - ٤٣ / ١٩٨١ م.

(١٢٩) مدى مشروعية أسانيد السيادة الإسرائيلية في فلسطين: محمد إسماعيل السيد/ عالم الكتب، القاهرة/ ١٩٧٥ م.

(١٣٠) المستصفى من علم الأصول: محمد بن محمد أبو حامد الغزالي، ت ٥٠٥ هـ، دار صادر بيروت، ط (١) ١٩٩٥.

(١٣١) المشكلة اليهودية وهل تحلها إسرائيل: محمود نعاة/ دار الاعتدال للطباعة والنشر/ دمشق/ ط ١ / ١٩٦٨ م.

(١٣٢) مرشد الطالبين إلى الكتاب المقدس الثمين، ط ٧ (منقحة) المطبعة الأمريكية - بيروت - ١٩٣٧

(١٣٣) المنجد في اللغة: المطبعة الكاثوليكية.

(١٣٤) المورد (قاموس انكليزي - عربي): منير البعلبكي، ط ١، دار العلم للملايين - بيروت ١٩٦٧ م

(١٣٥) مقتنيات الدرر: مير سيد علي الحائري الطهراني (المعروف بالمفسر)، مطبعة الحيدري - طهران ١٣٣٧ هـ. ش.

- (١٣٦) المفسدون في الأرض: ناجي (س. ناجي)، ط ٢، العربي - دمشق ١٩٧٣ م.
- (١٣٧) مصر والشرق الأدنى القديم: نجيب إبراهيم ميخائيل (الدكتور) - سورية/ ط ١، دار المعارف - القاهرة/ ١٩٥٩ م. المدخل إلى العهد القديم: هيريال شتراك.
- (١٣٨) مدخل إلى قراءة الإنجيل: ميخائيل جميل (الأب)، بحث منشور في مجلة (الفكر المسيحي) ص ١٢ ع ١١٣ و ١١٤ و ١١٥ (آذار ونيسان وأيار ١٩٧٦) ص ١١٨ - ١٢٤ و ١٥٠ - ١٥٥ و ٢١٠ - ٢١٤ على التوالي.
- (١٣٩) مجلة الأبحاث الدينية: مور (الأب).
- (١٤٠) المسيح في مصادر العقائد المسيحية/ دار غريب للطباعة - ط ١/ ١٩٧٨ - القاهرة.
- (١٤١) نظرة على الخطر الصهيوني، حاتم صادق، دار المعارف - مصر - القاهرة/ ١٩٦٨ م.
- (١٤٢) النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية: لويس شيخو اليسوعي (الأب ١٨٥٩ - ١٩٢٧ م)، مطبعة الآباء المرسلين اليسوعيين - بيروت ١٩١٢.
- (١٤٣) همجية التعاليم الصهيونية بولص حنا مسعد/ تقدم محمد خليفة التونسي/ دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٩٦٩ م.
- (١٤٤) الهدى إلى دين المصطفى: محمد جواد البلاغي (الشيخ ت ١٩٣٣ م)، ط ٢، المكتبة الحديثة، ومطبتها النجف الأشرف ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م.
- (١٤٥) هؤلاء اليهود بين الإسلام والمبادئ والأديان: محمد بن المهدي الحسيني الشيرازي، مطبعة الآداب - النجف الأشرف (د.ت).
- (١٤٦) الوحداية مع دراسة في الأديان والفرق/ د.بركات عبد الفتاح دويدار.
- (١٤٧) وثيقة الصهيونية في العهد القديم، جورج كنعان (الدكتور) س بيروت/ ط ١/ ١٩٨٢.
- (١٤٨) وعد الله ليس لبني إسرائيل: محمود عبد الرحمن عبد اللطيف، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ط ١٩٧١ م.
- (١٤٩) اليهود في القرآن/ السيد سابق/ القاهرة/ الفتح للإعلام العربي -

ط ٣/١٣١١هـ - ١٩٩٢ م

- (١٥٠) اليهود بين الدين والتاريخ/ صابر طعيمة/ ط ١/ دار الجيل - بيروت - ١٩٧٦ م.
- (١٥١) اليهودية والصهيونية وإسرائيل/ عبد الوهاب محمد المسيري (الدكتور) - المؤسسة العربية للدراسات والنشر/ ط ١/ ١٩٧٥ م.
- (١٥٢) اليهود في تاريخ الحضارات الأولى/ غوستاف لوبون (الدكتور)، عيسى البابي الحلبي - القاهرة ١٩٧٠ ترجمة عادل زعيتر.
- (١٥٣) اليهود ٥٠٠ قديماً وحديثاً: محمد إبراهيم الجنابي (الشيخ)، مطبعة الآداب - النجف الأشرف ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧ م.
- (١٥٤) اليهودية، د. احمد شلبي/ مطبعة النهضة المصرية/ القاهرة/ سلسلة مقارنة الأديان رقم (١). ط (١) ١٩٦٩.

ج - المقالات والبحوث

- (١٥٥) (١٥٣) (كلمة توراة) بحث منشور في مجلة (المشرق): أوغسطين مرمرجي الدومنيكي (الأب) ٢٩م لسنة ١٩٣١ ص ٤١١ - ٤١٨ و ٤٩٨ - ٥٠٤.
- (١٥٦) (١٥٤) الجامعة (مجلة) مقال (الفلسفة التناشحية) س ١ ع ٢ ص ٩٧ - ١١٢، مطبعة العراق - بغداد (شوال ١٣٤٤هـ نيسان ١٩٢٦ م).
- (١٥٧) (١٥٥) العربي (مجلة) استطلاع عن نابلس (السامريون طائفة لا نظير لها في العالم) ٢٩ع لسنة ١٩٦١ ص ٨٣ - ٨٦.



فهرس المحتويات

١٦٤ ..	المبحث الثاني: أثر التناقض في الأعمال السلبية ..	١١	✽ الفصل التمهيدي
١٦٦	المطلب الأول: أرض الميعاد	١٣	المبحث الأول: نزول التوراة
١٨٤	المطلب الثاني: شعب الله المختار	١٦	المبحث الثاني: تدوين التوراة
١٩٥ ...	المطلب الثالث: أثر التناقض في فساد عقيدتهم ...	٣٥	المبحث الثالث: موقف العلماء من التوراة
١٩٥	أولاً: مع الله تعالى	٥٠	المبحث الرابع: بنو إسرائيل والتوراة
١٩٨	ثانياً: مع الأنبياء (عليهم السّلام)	١١٠	✽ الفصل الأول: تعريفات التناقض وبيان الألفاظ
٢٠٣	المطلب الرابع: أثر التناقض في فساد أخلاقهم	١١٠	المرادفة له
٢٠٣	أولاً: علاقتهم مع الآخرين	١١٠	المبحث الأول: تعريف التناقض لغةً واصطلاحاً
٢٠٧	ثانياً: علاقتهم مع أنفسهم	١١٠	المطلب الأول: التناقض في اللغة
٢١١	✽ الفصل الثالث: المقارنة بين ما جاء في التوراة	١١٠	المطلب الثاني: التناقض اصطلاحاً
٢١٣	والمطلب الرابع: المقارنة بين ما جاء في التوراة	١١٠	المبحث الثاني: تعريف التوراة لغةً واصطلاحاً
٢١٥	والمطلب الخامس: المقارنة بين ما جاء في التوراة	١١٠	المطلب الأول: التوراة لغة
٢١٧	والمطلب السادس: المقارنة بين ما جاء في التوراة	١١٠	المطلب الثاني: التوراة اصطلاحاً
٢٢٦	والمطلب السابع: المقارنة بين ما جاء في التوراة	١١٠	المبحث الثالث: الألفاظ المرادفة للتناقض
٢٢٦	والمطلب الثامن: المقارنة بين ما جاء في التوراة	١١٠	المبحث الرابع: التوراة في القرآن الكريم
٢٥٦	والمطلب التاسع: المقارنة بين ما جاء في التوراة	١١٠	المطلب الأول: التوراة في القرآن الكريم
٢٥٦	والمطلب العاشر: المقارنة بين ما جاء في التوراة	١١٠	المطلب الثاني: كتاب التوراة
٢٦٠	والمطلب الحادي عشر: المقارنة بين ما جاء في التوراة	١١٧	✽ الفصل الثاني: التناقض في الأسفار الخمسة وأثره
٢٦٦	والمطلب الثاني عشر: المقارنة بين ما جاء في التوراة	١١٩	المبحث الأول: التناقض في الأسفار الخمسة
٢٧٣	والمطلب الثالث عشر: المقارنة بين ما جاء في التوراة	١١٩	المطلب الأول: التناقض في سفر التكوين
٢٧٥	والمطلب الرابع عشر: المقارنة بين ما جاء في التوراة	١٢١	والخروج
			المطلب الثاني: التناقض في أسفار اللاويين
			والعدد والتثنية
			١٥٢
			المصادر

- ١ - ضرورة التعريف بحقيقة زيف وتعريف التوراة.
 - ٢ - الكشف عن العقيدة اليهودية الزائفة والمنحرفة.
 - ٣ - الكشف عن الأثر السلبي في أعمال الشخصية اليهودية.
 - ٤ - تسليط الضوء على الأطماع الصهيونية وفق ما جاء في التوراة المحرّفة.
 - ٥ - قلة الدراسات الجادة التي تنطلق من الفهم العربي والإسلامي لمخاطر هذا التعريف وفق تصور العقل الصهيوني المعاصر.
 - ٦ - محاولة لفت أنظار الباحثين للمركز على مثل هذه الدراسات. وخاصة في هذا الزمن الصعب، زمن العلو الصهيوني الاستعماري الأمريكي.
- وقد توصل الباحث في خاتمة بحثه إلى جملة من النتائج والتوصيات، وهي:
- أولاً: أهم النتائج:

(١) إن التوراة التي بين أيدينا اليوم، لا علاقة لها بالتوراة المنزلة على موسى عليه السلام في حوالي القرن الثالث عشر قبل الميلاد. ولم يتحقق العلماء حتى الآن من لغتها والخط الذي دونت به لأنها فقدت بعد موسى عليه السلام.

(٢) إنه توجد توراتان: إحداهما للسامريين والأخرى للعبرانيين بينما الاختلاف كبير خاصة في عمر الآباء الأقدمين مع أن مضمين كلتا التوراتين تتناقضان مع الحقائق العلمية الحديثة، وتوراة السامريين لم تتحقق من الزمان الذي دونت فيه، أما توراة العبرانيين فإنها ترجع إلى عهد عزرا في أواسط القرن الخامس قبل الميلاد.

(٣) إن التوراة التي بين أيدينا اليوم لا علاقة لها بالتوراة المنزلة على موسى عليه السلام وأنها محرّفة كتبها اليهود في السبي البابلي - بعد زمان موسى بوقت طويل - سعياً نحو هدف أساسي وهو ترسيخ الخرافات في أذهان اليهود وإقناعهم بحق مكذوب في أرض غريبة عنهم.

(٤) إن اليهود الأقدمين الذين سكن بعضهم فلسطين وأقام مملكة يهودية لفترة من الزمن فيها لا علاقة لهم بيهود اليوم الذين يغتصبون فلسطين بدعوى: «وعد الرب في أرض الميعاد»، حيث إنهم خليط من شتى بقاع العالم.

(٥) إن اليهود قد سخرُوا توراتهم المحرّفة خدمة لأغراضهم التوسعية والعدوانية وروح التعالي على حساب مصالح الشعب العربي.

(٦) إن مقارنة بين ما جاء في القرآن الكريم والتوراة - من حقائق تاريخية وعلمية - تظهر أن بينهما اختلافاً شاسعاً؛ لكون التوراة قد تعرضت للتحريف مرات عديدة، أما القرآن الكريم فقد تكفل الله تعالي بحفظه وصيانتته من كل غش وتلاعب.

ثانياً: التوصيات:

(١) تشجيع الباحثين للدراسة والتوسع في العلوم التي تتناول الأديان الأخرى. وتوفير الوسائل المساعدة للبحث ليتمكن الباحث من الوصول إلى النتائج المرجوة من ذلك.

(٢) أن يدرس الباحث مادة التاريخ في عصوره المختلفة. لكون التاريخ مرتبط ارتباطاً وثيقاً في كثير من العلوم التي تتناول الأديان السماوية.

(٣) ترجمة بعض الكتب الأجنبية إلى اللغة العربية حتى لا يكون الباحث في حيرة من أمره.

دار الكتب العلمية

أسسها محمد علي بيضون سنة 1971

11 - 9424 Beirut-Lebanon +961 5 804 810/11/12
1107 2290 Riyadh-Saudi-Arabia +961 5 804 813

http://www.al-ilmiyah.com info@al-ilmiyah.com
E-mail: sales@al-ilmiyah.com

1326 619 2 7911 5146 5 9 0000

9 782745 551463

DESIGN & PRINTED BY : D.K.I.